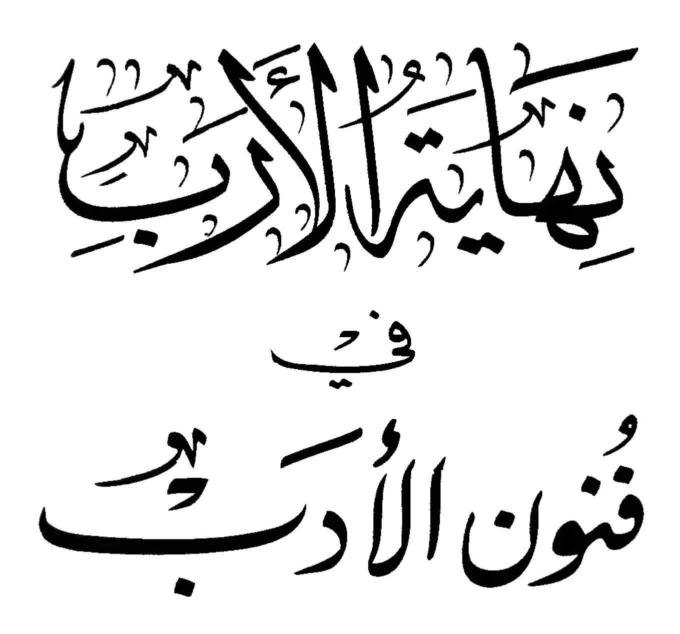


نهاية الأرب في فنون الأدب

تأليف

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري

المتوفى ٧٣٣هـ

الجزء الحادي عشر

تحقيق

الدكتور يحيى الشامي

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وبه التوفيق والإعانة
وصلّى الله على سيّدنا محمد
وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا

الفنّ الرابع

في النّبات

وهذا الفنُّ وإن جلَّ مقدارُه، وحسنت آثارُه، وأشرقتْ أنوارُه، وزها نُوّاره[(١)]، وتفيّأتْ خامات[(٢)] زروعه، ونبتت أصولُه تحت فروعه، وتدبّجت خمائلُه[(٣)]؛ وتأرّجت[(٤)] بُكَرُه[(٥)] وطابت أصائلُه[(٦)]، وابتهج إغريضُه[(٧)]، واتّسق نضيدُه[(٨)]، وتسلسلت غُدرانُ مائه وزهت أرضُه على سمائه، وتعدّدت منافعُه، وعذُبتْ منابعُه؛ وكان منه ما هو للنفس قوتًا، وما حكت ألوانُه زمرّدًا وياقوتًا، وما أشبه اللُّجَيْن[(٩)] والعِقْيان[(١٠)]، وما غازل بعيونه مُقَلَ[(١١)]

(١) زها نوّاره: تاه وتعاظم زهره، وواحدة النوّار نُوّارة.
(٢) خامات الزروع: الطاقات الفضّة منها واللينة.
(٣) تدبّجت خمائله: تزيّنت، والخمائل، واحدتها خميلة، وهي الشجر الكثير الملتفّ.
(٤) تأرّجت: فاحت.
(٥) البكر، جمع بكرة، وهي أول النهار إلى طلوع الشمس.
(٦) الأصائل والآصال، جمع أصيل، وهو الوقت الذي تصفرّ فيه الشمس لمغربها.
(٧) الإغريض: ما ينشقّ عنه الطّلع في النّبت.
(٨) نضيده: منضوده، وهو ما اتّسق وائتلف من طلع النخل وغيره.
(٩) اللجين: الفضّة. (١٠) العقيان: الذهب الخالص.
(١١) المقل: العيون كلّها، جمع مقلة.

الحِسان، وما نُسِبَتْ إليه الوَجَناتُ في احمرارِها، وألوانُ العشّاق في اصفرارِها؛ وأشبهتْه القدودُ عند تمامِها، والثغورُ في انتظامِها، والنّهودُ في بروزِها وارتفاعِها والخصورُ في هَيْفِها[1] والسُّرَر[2] في اتّساعِها، وما اختلفتْ ألوانُه وطعومُ ثمارِه وإن ائتلفَتْ أراضي مَغارِسه ومجاري أنهارِه، وما تَضَوَّعَ عَرْفُه[3] وفاح نشرُه[4]، وحَسُنَ وصفُه ولاح بِشرُه، وبقيتْ آثارُه بعد ذُبوله أحسنَ منها يوم رِفافِه، وحصل الانتفاع به في حالتَي غَضاضتِه[5] وجَفافِه، ووصفَه الطبيبُ في دوائه وعلاجِه، ونَصَّ عليه الحكيمُ في أقْراباذِينِه[6] ومنهاجِه؛ وكان هذا الفنّ أحدَ شطرَي النّامِي، وقَسيمَ النوعِ الحيواني؛ فإنّا لم نقصدْ بإيرادِه استيعابَ نوعِه، واستكمالَ جنسِه، واستيفاءَ منافعِه والإحاطةَ بمجموعِه، ولا تصدّينا لذلك، ولا تعرّضنا لخوض هذه اللّجج[7] وطُروقِ هذه المهالك، لأمور: منها تعذُّرُ الإمكان، وضيقُ الزمان؛ ولأنّ هذا الفنّ عجز عن حصرِه فلاسفةُ الحكماء، ومشاهيرُ الأطباء، وسكّانُ البوادي، ومن جمعتْهم الرّحابُ وضمّتْهم النّوادي، ومن لازموا النبات من حين استهلّت عليه الأنواءُ[8] وباكرتْه الغَوادي[9]، فاطّلَعَ كلُّ منهم على ما لم يطّلع الآخَرُ عليه، وشاهَدَ ما لم تنته فكرةُ غيرِه إليه؛ وعَلِم التُّرْكُماني[10] منه

---

(١) هيف الخصور: دقّتها.

(٢) السّرر: جمع سرّة، وهي النقرة في البطن.

(٣) تضوّع عرفه: فاح نشره ورائحته.

(٤) فاح نشره: انتشرت رائحته الطيّبة.

(٥) الغضاضة: الطراوة والنّضرة.

(٦) الأقراباذين: لفظة فارسية، وهي تعني علم الصيدلة، وتركيب الأدوية.

(٧) اللجج: جمع لجّة، وهي معظم الماء.

(٨) الأنواء: وعدّتها ثمانية وعشرون نوءًا، وهي المنازل التي ينزل بها القمر والشمس. والنوء، لغةً، النجم الطالع صباحًا، وقيل: هو النازل مساءً، وكانوا يعتقدون أن الأمطار إنما هي بفعل تأثير تلك الأنواء.

(٩) الغوادي، جمع غادية، وهي السحابة الممطرة في الغداة، أي صبحًا.

(١٠) التركماني، نسبة إلى التركمان، الشعب المعروف بهذا الاسم، وهو خلاف العربي.

ما لم يعلمه البَدَويّ، وعَرَف الجبليُّ ما لم يعرفه النَّبَطيُّ[1]؛ وصنّف فيه الحكماءُ الكتبَ المطوَّلة، وأظهروا من منافعِه ومضارِّه كلَّ فائدة خفيّةٍ وخاصيّةٍ مهمَلة، وتعدّدتْ فيه تصانيفُهم، وتواردتْ واشتهَرتْ تآليفُهم، ومع ذلك فما قَدَروا على حصرِه، ولعلّهم لم يقفوا إلّا على جزءٍ يسيرٍ من شطرِه، بل قصدْنا بإيرادِه أن نذكرَ منه ما عليه وصفٌ للشّعراء، ورسائلُ للبلغاء والفضلاء؛ لأنّ ذلك ممّا لا يستغني عنه المُحاضِر، ويُضطرُّ إليه الجليسُ والمُسامِر[2]؛ وينتفع به الكاتبُ في كتابتِه، ويتّسع به على المنشيء مجالُ بلاغتِه، فأوردنا منه ما هو بهذه السبيل، واستقصَينا ما هو من هذا القَبيل؛ وإن كنّا زدنا في بعضِه على هذا الشّرط، وخرجنا عن هذا الخطّ، وتعدَّينا من وصفِه إلى ذكر منافعِه ومضارِّه، وانتهينا إلى إيراد باردِه وحارِّه، ورطَبِه ومعتدِلِه ومحرِقِه وقابِضه وملَيِّنِه ومطلِقِه، ونبّهنا على توليدِه وأصلِه، وخساستِهِ وفضلِه؛ فهذه الزيادةُ إنما وردت على سبيل الاستطراد، لا على حُكْم الالتزامِ والاستعداد، وهي مما تزيد هذا الفنّ إلى حُسْنِه حُسْنًا، وتبدو بها فضائلُه فُرادَى ومَثْنَى، ووصلْنا فنّ النباتِ بالصُّموغ والأمنان[3]، لأنّهما من توابِعه وفروعِه، وحلبْنا ألبانَ التكملة له بهما من ضُروعِه، وألحَقْنا ذلك بقسمٍ يشتمل على أصنافِ الطِّيبِ والبَخُورات، والغوالي[4] والمستقطَرات، فختمْنا الفنَّ منه بمِسك، ونظمناه معه في سلك، وحصرنا هذا الفنَّ وما يتعلّق به في خمسة أقسامٍ تندرج تحتها أبواب، ولخّصناه من أكرمِ أصولٍ وأعرقِ أنسابٍ وأوثقِ أسباب.

---

(١) النبطي، نسبة إلى النبط، الشعب المعروف بهذا الاسم.

(٢) المسامر: رفيق السمر، وهو الحديث ليلًا.

(٣) الأمنان: جمع منّ، وهو ضرب من الصّمغ قيل إنه ينعقد بفعل تأثير السماء.

(٤) الغوالي: جمع غالية، وهي ضرب من أخلاط الطيب كالمسك والعنبر وغيرهما.



القسم الأول

من هذا الفنّ في أصل النبات
وما تختصّ به أرضٌ دون أرض
وتتّصل به الأقوات والخَضْراوات والبُقولات

وفيه ثلاثة أبواب:

الباب الأوّل

من هذا القسم من هذا الفنّ
في أصل النّبات وترتيبه

قال المسعوديُّ في كتابه المترجَم (بمروج الذهب ومعادن الجوهر): إن آدمَ عليه السلامُ لمّا أهبطه الله تعالى إلى الأرض خرج من الجنّة ومعه ثلاثون قضيبًا مودَعةً أصنافَ الثمرة، منها عشرةٌ لها قشر، وهي الجَوْز واللَّوْزُ والجِلَّوْزُ[1] والفُسْتُق والبَلُّوط والشَّاهبَلُّوطُ[2] والصَّنَوْبَرُ والنَّارَنْجُ[3] والرُّمّانُ والخَشْخَاش[4].

ومنها عشرةٌ لثمرِها نوًى[5]، وهي الزّيتون والرُّطَبُ والمِشْمِشُ والخَوْخ والإجّاصُ والغُبَيْرَاءُ[6] والنَّبِقُ[7] والعُنّابُ[8] والمُخَيَّطُ[9] والزُّعْرُور[10]؛ ومنها عشرةٌ

---

(١) الجلّوز: البندق. (٢) الشاهبلوط: الكستناء.

(٣) النارنج: ضرب من الشجر المثمر من الفصيلة السذّابية، دائمة الخضرة، رائحتها عطرية، يتّخذ من أزهارها العطرية ماء الزهر، ومن ثمرها يصنع المربّى.

(٤) الخشخاش: نبات حوليّ من الفصيلة الخشخاشية يستخرج الأفيون من ثماره.

(٥) النوى: جمع نواة، وهي الحبّة في الثمرة، وتسمّى البذرة أو اللّب.

(٦) الغبيراء: ضرب من الشجر من فصيلة الورديّات، ثماره صغيرة ذات بزرات تؤكل أحيانًا.

(٧) النّبق: ضرب من الشجر من الفصيلة السّدريّة، أغصانها ملس بيض اللّون، وأزهارها صغيرة متجمّعة إبطيّة، ويؤكل ثمرها.

(٨) العنّاب: شجر شائك من الفصيلة السّدرية، ثمره أحمر لذيذ الطعم على شكل ثمرة النّبق.

(٩) المخيط: أو المخاطة، وهو ضرب من الشجر الدّبق.

(١٠) الزعرور: شجر مثمر من فصيلة الورديات، ثمره أحمر أو أصفر، وله نوى صلب مستدير يملأ=

ليس لها قِشرٌ ولا نوى وهي التُّفّاحُ والسَّفَرْجَلُ والكُمَّثْرَى[١] والعنبُ والتّينُ والأُتْرُجُّ[٢] والخُرْنُوبُ والتُّوتُ والقِثّاءُ والبِطّيخُ؛ وقال أبو عبيد البكريُّ في كتابه المترجَم (بالمسالك والممالك): إنّ إسحٰق بنَ العبّاس بنِ محمّد الهاشميّ حَكَى عن أبيه أنّه تصيّد يومًا بناحية (صَنْعاء) فأصابه السماء فمال إلى أَخْوِيَةِ[٣] أعرابٍ فمكث عندهم يومًا وليلةً والغيثُ منسجِم، لا ينحسم، فلمّا أصبح قال: لقد أنزل اللهُ الليلةَ خيرًا كثيرًا؛ فقام ربُّ البيت إلى كِساءٍ كان قد نصبه بين أربعَ أخشابٍ يصيبه المطر، فلمسه بيَدِه، فقال: ما أنزل اللهُ الليلةَ خيرًا، ثمّ ليلةٌ أخرى كذلك، وليلةٌ أخرى؛ فلمّا كان في اليوم الثالثِ قال: نعمْ قد أنزل الله خيرًا في هذه اللّيلة؛ فسأله العبّاسُ بنُ محمّد عن ذلك، فأتاه بكَفٍّ من البُزور تَنَاوَلَها من جوف ذلك الكساء، وقال: إنّ حَبَّ البَقْلِ والعُشْبِ والكلإ إنّما ينزل من السماء، هذا ما ورد في أصل النّبات.

وأمّا ترتيبُه من ابتدائه إلى انتهائه؛ فقد حكى الثّعالبيُّ[٤] في (فقه اللغة)[٥] قال: أوّلُ ما يبدأ النبتُ فهو بارِض، فإذا تحرّك قليلًا فهو جَمِيم، [فإذا عمّ الأرضَ فهو عَميم] فإذا اهتزّ وأمكن أن يُقبَض عليه قيل: «اجثألّ»، فإذا اصفرّ ويبِس فهو هائج، فإذا كان الرَّطْبُ تحت اليابس فهو غَمِيم، فإذا كان بعضُه هائجًا وبعضُه أخضرَ فهو شَميط، فإذا تهشّم وتحطّم فهو هَشِيم وحَطِيم[٦]، فإذا اسودّ من القِدَم فهو الدِّنْدِن فإذا يَبِس ثم أصابه المطرُ فاخضرّ فذاك النَّشْر.

وقيل في مثله: إذا طلع أوّل النَّبْت قيل: «أَوْشَمَ، وطَرّ»، فإذا زاد قليلًا قيل: «طَفَّرَ» فإذا غطّى الأرضَ قيل: «استَحلَسَ»؛ وإذا صار بعضُه أطولَ من بعضٍ قيل:

= أكثر جوفه فيكون لبّه قليلًا.

(١) الكمثرى: ضرب من الشجر المثمر، من الفصيلة الورديّة، أصنافه كثيرة، ويسمّى الإنجاص في بلاد الشام.

(٢) الأترج: ضرب من الشجر العالي، ناعم الأغصان والورق والثمر، يشبه ثمره الليمون الكبير، وهو ذهبي اللون، ذكي الرائحة، وعصيره حامض.

(٣) أحوية: الأحوية، جمع حواء، وهو بيت البدوي ومضربه وخيمته.

(٤) الثعالبي: هو أبو منصور الثعالبي، الأديب واللغوي والمؤرخ العباسي من أهل نيسابور، له «يتيمة الدهر في شعراء أهل مصر» و«لطائف المعارف» و«كتاب الأمثال» و«فقه اللغة». مات سنة ١٠٣٨ م.

(٥) «فقه اللغة» هو الكتاب الذي وضعه الثعالبي في المعجمات، معجمات المعاني خاصةً. وانظر ما قاله في النّبت وكلّياته وترتيب طلوعه في: فقه اللغة، للثعالبي ص ١٩ و٣١٠ و٣١١ و٣٥٩ و٣٦٥، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٢٠.

(٦) الهشيم والحطيم: بمعنى واحد تقريبًا، وهو الشيء المهشم والمحطّم، أي المكسّر.

«تَناتَل»، فإذا تهيّأ لليُبْس قيل: «اقطارّ» فإذا يَبِس وانشقّ قيل: «تَصوَّح»، فإذا تمّ يُبْسُه قيل: هاجت الأرضُ هِياجًا، والله أعلم بالصواب.

فصل في ترتيب أحوال الزرع

هو ما دام في البَذْر فهو الحَبُّ، فإذا انشقَّ الحَبُّ عن الورقة فهو الفَرْخُ والشَّطْء، فإذا طلع رأسُه فهو الحَقْل، فإذا صار أربعَ ورقاتٍ أو خمسًا قيل: كَوَّثَ تكويثًا، فإذا طال وغلظ قيل: «استأسَدَ»، فإذا ظهرت قصبتُه قيل: «قَصَّبَ»، فإذا ظهرتْ فيه السُّنبلةُ قيل: «سَنْبَل» ثم اكتهَلَ. وأحسنُ من جميع ذلك وأبلغُ قولُه عزّ وجلّ: ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ [الفتح: الآية ٢٩]. قال الزّجاج[1]: «آزَرَ الصّغارُ الكبارَ حتى استوى بعضُه ببعض». وقال غيرُه: «فساوى الفِراخُ الطِّوالَ فاستوى طولُهما». وقال ابنُ الأعرابي[2]: أشطأ الزرعُ، إذا فرّخَ و﴿أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ فراخَه، ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ أي أعانه، والله أعلم.

الباب الثاني
من القسم الأول من الفن الرابع
فيما تختصّ به أرضٌ دون أرض وما يَستأصِل شأفةَ[3]
النّباتِ الشاغلِ للأرض عن الزراعة

أمّا ما تختصّ به أرضٌ دون أرض ـ فقد حَكى أبو بكر بنُ وحشيّة[4] أنواعًا من النّبات توجد في أرضٍ ولا توجد في غيرِها، فقال: إنّ في بلاد سِجِلْماسَة[5] شجرةَ

---

(١) الزّجاج: هو أبو إسحٰق الزّجاج، العالم بالنحو واللغة، من أهل بغداد، تتلمذ للمبرّد، من مؤلفاته «معاني القرآن»، وكتاب «فعلت وأفعلت» و«الاشتقاق» و«الفرق» و«القوافي والعروض»، مات سنة ٣١٠ هـ. انظر: الفهرست، لابن النديم ص ٩٠، ٩١، دار المعرفة، بيروت ١٩٧٨.

(٢) ابن الأعرابي: هو أبو عبد الله محمد بن الأعرابي، الإمام في اللغة، من أهل الكوفة، تتلمذ للكسائي والمفضّل الضّبي وأبي معاوية الضرير، ومن تلامذته ثعلب وابن السكّيت. له عدة مصنفات منها «كتاب النوادر» و«الخيل»، مات سنة ٢٣١ هـ / ٨٤٥ م. انظر: الفهرست، ص ١٠٢.

(٣) الشأفة: الأصل.

(٤) ابن وحشيّة: وكنيته أبو بكر، واسمه أحمد، عالم من النبط، عاش في القرن الثالث الهجري، اشتهر بكتابه «الفلاحة النّبطية».

(٥) سجلماسة: مدينة قديمة في جنوب المغرب، كانت قاعدة تافيلالت، وفيها تأسّست دولة=

ترتفع نصفَ قامةٍ أو أرجح، ورقُها كورق الغار[١]، إذا عُمِل منها إكليلٌ ولبسه الرجلُ على رأسه ومشى أو عدا أو عمل عملًا لم يَنَمْ ما دام ذلك الإكليلُ على رأسِه، ولا ينالُه من ضرر السهرِ وضعفِ القوّة ما ينال من سهرٍ وعمل؛ وقال: وفي بلاد الإفْرَنْجَة شجرةٌ إذا قعد إنسانٌ تحتها نصفَ ساعةٍ من النّهار مات، وإن مسّها ماسٌّ أو قطع منها غصنًا أو ورقةً أو هزَّها مات؛ وفي جزيرةٍ من جزائر الصَّقالبة[٢] نباتٌ في قدر البَقْل، ورقُه يشبه ورقَ السَّذاب[٣]، إذا أُلقيَ الأصلُ منه بورقه وأغصانِه بعد غسلِه من التراب الذي فيه، وجُعِل في الماء البارد، وتُرِك فيه ساعةً من نهار، سَخُنَ ذلك الماء كسُخونتِه إذا أُوقِدتْ تحته النار، وكلّما دام فيه اشتدّت حرارتُه حتى لا يمكن أن يُمَسّ، وإذا خرج من الماء بَرَدَ الماء لوقتِه، وقال: في بلاد رُومِيَة شجرةٌ لطيفةٌ تنبُت على شاطىء نهرٍ هناك، ورقُها كورق الحِمَّص طولُها ذراعان، إذا جُمِعَ شيءٌ من ورقِها وأغصانِها ودُقَّ واعتُصِرَ ماؤه، وجُفِّفتْ العُصارة، فإن شرب منها رجلٌ مقدارَ دانِقٍ[٤] ونصفِ خمرٍ أنعَظ[٥] إنعاظًا شديدًا ويجامع ما شاء من غير كَلالٍ ولا ضُعف، فإذا أحبّ أن يزول ذلك الإنعاظُ عنه قام في ماءٍ باردٍ إلى نصفِ صدرِه ساعة، فإنّ ذلك يزول عنه، ويرجع إلى حالتِهِ الأولى؛ قال: وفي بلدٍ من بلاد الرّوم يقال له: (سفانطس) نباتٌ يرتفع عن الأرض نحوَ الذراع له ورقٌ كورق السِّلْق[٦]، الورقةُ نحو ذراع، وليس له ساقٌ يقوم عليها، إذا أُخِذ أصلُ هذا النّبات ـ وهو أصلٌ كبيرٌ مستديرٌ إلى الطُّول ـ وقُشِر وطُبِخ، وأَكَلَهُ الذي يُحَمّ زالت عنه الحمّى بعد أكلةٍ أو أكلتين أيّ حمّى كانت، وكذلك إن بُخِّر بورقِه بعد

= الأشراف العلويّين، يمر بها نهر زيز، تمتاز بشهرة تمورها وغزل صوفها الذي يصنعون منه كل عجيب. انظر: معجم البلدان، لياقوت ٣/ ١٩٢، دار صادر، دار بيروت، بيروت ١٩٨٤.

(١) الغار: ضرب من الشجر ينبت في سواحل الشام والغور والجبال الساحلية، دائم الخضرة، يصلح للتزيين، ويصنع من زيته صابون زكي الرائحة، ومنه كانت تُصنَع أكاليل النصر والمجد.

(٢) الصقالبة: مجموعة من الشعوب تنتشر في أوروبا الشرقية والوسطى، والمقصود بهم هنا تلك الشعوب التي سكنت في صقلية بالبحر المتوسّط، وما يتبعها من جزر صغار. وقد وفد الصقالبة على بلاد المشرق والمغرب والأندلس وانخرط قسم منهم في الحياة العامة العربية.

(٣) السّذّاب: جنس من النباتات الطّبّية، من الفصيلة السذّابية.

(٤) الدانق: وحدة وزن صغيرة قديمة.

(٥) أنعظ: اشتدّت غلمته، وقوي ذكره وصلب.

(٦) السّلق: ضرب من البقل من فصيلة السّرمقيّات، أوراقه كبيرة غليظة، تؤكل وتطبخ.

تجفيفِه مرّةً أو مرّتين؛ قال: وببلاد الهند نباتٌ لا تُحْرِقه النار، وفيها شجرةٌ إذا قُطِع شيءٌ مِن أغصانها وأُلقيَ على الأرض تحرّك، وربّما سَعى كما تسعى الحيّات ودَبّ؛ وفيما يلي مَهبِّ الشّمال شجرةٌ تُسمَع منها في فصلَي الربيع والخريف همهمةُ إنسان يريد أن يتكلّم وربّما نطقت بلغة الهند كلمةً بعد كلمة، وتسمّى هذه الشجرةُ شجرةَ الشّمس، وصورتُها على صورة الإنسان؛ وفي بلاد التّاكِيَان[١] شجرةٌ تضيء باللّيل كالسِّراج، بحيث إنّ النّاسَ إذا سلكوا بقربها باللّيل استغنَوا بضوئها عن مصباح، ويسمّونها شجرةَ القمر. ومن الشجر والنّبات المشهور الّذي لا يوجد إلّا ببقاعٍ مخصوصة: البَلَسان[٢]، وهو في أرض المطريّةِ على ساعةٍ من القاهرةِ المعزِّية[٣]، في بقعةٍ مخصوصة معروفة، تُسقَى من بئرٍ مخصوصٍ هناك؛ والفُلْفُل، يقال: إنه لا يَنْبُت إلّا بالمَنِيبارات من بلاد الهند والمراد بالنّبات هنا: كمالُه وتحصيلُ مُغَلّه، وإلّا فقد رأيتُه أنا وقد زُرِع ببستانٍ بأرض (أُشْمُوم طَنَاح) من الدّيار المصريّة في سنة أربعٍ وتسعين وستّمائة، ونَبَت وصار نباتُه بقدر الذّراع، وكاد يَعْقِد الحَبّ، وأَخْبَرَني من اختبره في غير هذه السنة المذكورة أنّه لا يَتِمّ عَقْدُ حَبِّه ولا يتكوّن، وأنّهم يستعملون فروعَه في الطّعام فتقوم مَقامَ الفُلْفُل؛ وشجرُ الكافور[٤] لا يَنْبُت إلّا في بقاعٍ مخصوصةٍ يأتي ذكرُها إن شاء الله في موضعها من هذا الكتاب في هذا الجزء، وكذلك اليَبْرُوح[٥] الصَّنَميُّ لا يوجد إلّا في بلدٍ بعينه، والبابُ في هذا متّسع، وليس في استقصائه فائدةٌ توجب البحثَ عنه أو إيرادَه.

وممّا يناسب هذا الفصل ما حُكِي عن أبي بكر بنِ وحشيّةَ أيضًا أنّه إذا خُلِط بِزْرُ الكُرُنْبِ[٦] ببِزْرِ السَّلْجَم - والسَّلْجَم، هو اللِّفت - وتُرِكا ثلاثةَ أشهرٍ ثمّ زُرِعا خرج البِزْرُ كلُّه سَلْجَما، فإذا أُخِذ من بِزْرِ هذا السَّلْجَم وزُرِع خرج كُرُنْبا.

---

(١) التاكيان: اسم بلد في بلاد السّند.

(٢) البلسان: شجر زهره أبيض صغير كهيئة العناقيد. يستخرج من بعض أنواعه العطر.

(٣) المعزّية: نسبة إلى المعزّ لدين الله، معدّ بن المنصور، رابع الخلفاء الفاطميين والذي في عهده أسس قائده جوهر القاهرة التي غدت عاصمة الفاطميين.

(٤) الكافور: شجر من الفصيلة الغاريّة، يتخذ منه مادّة شفافة بلورية الشكل يميل لونها إلى البياض، رائحتها عطرية وطعمها مرّ، وهو أصناف كثيرة.

(٥) اليبروح: ضرب من الشجر غريب الشكل، كالصّنم. ثمره أحمر وهو طيّب الرائحة.

(٦) الكرنب: نبات ثنائي الحول من الفصيلة الصليبية، له ساق قصيرة غليظة وبرعم في الرأس، يلتفّ ورقه على بعضه البعض، وقد يسمّى في بلاد الشام بالملفوف.

وحُكِي عنه أيضًا أنه إذا أُحرِق النُّغنُغ والجِرجِيرُ[١] في موضعٍ ندٍّ[٢] بقرب شجرةٍ أو زَرْعٍ، وخُلِط الرَّمادُ بالتُّراب، وأُضيف إليهما قِشرُ بَيض الحمام، ودُفِن ذلك في الأرضِ على مقدارٍ دونَ الشِّبر، وصُبَّ عليه الماءُ أربعَةَ أيّام، ثمّ يُسقى على عادة النُّغنُغ والجِرجِير، أخرَج شجرَ الدُّلْب[٣]، فإذا نبت فليحوَّلْ ويُغرَس في موضع آخَر، فإنّه يَثْبُت، وزعم أنّ ذلك لا يَتِمّ إلّا أن يكون في نَيسانَ إذا قارب القمرُ الشمسَ في بُرج الحَمَل أو الثَّور، والله أعلم.

وأمّا ما يستأصل النَباتَ الشاغلَ للأرض عن الغِراسةِ والزِّراعة ـ فقد ذكر أبو بكر بنُ وحشيَّةَ من ذلك أشياءَ كثيرة، ثم قال: وأجوَدُ ذلك أن يُزرَع البَنج[٤] في الأرض الّتي تَنبُت فيها هذه الحشائش، ويُسقَى الماءَ، فإذا كَبُر وأزْهَرَ يُقْلَع، ويؤخذ التُّرمُسُ[٥] وورقُ الخِلاف[٦] فيُلقَيان على البَنجِ وهو رَطْب، ويُدَقّ الجميعُ جملةً حتى يَختلط، ويُنثَر منه في تلك الأرض، فإنه يُحرِق الثِّيل[٧] والشَّوكَ وجميعَ الحشائش التي هي أعداء الزّرع؛ قال: أو يُسحَق التُّرْمُسُ وثمرُ الطَّرْفاءِ[٨] وورقُ الخِلافِ مع أغصانه سحقًا ناعمًا، ويُعتصَر ماءُ البَنج الرَّطْبِ وماءُ ورقِ الآس[٩] ويُخْلَط الماءان، ويُبَلُّ بهما المسحوقُ يومًا وليلة، ثم يُصَبّ على الثِّيلِ وعلى أصولِ الشَّوْك وغيرِ ذلك من الحشائش الدَّغِلة[١٠]، فإنّه يأكلها ويجفِّفها؛ قال: أو يُعمَل مِغوَلٌ من نحاس، ويُحمَى بالنّار حتى يصيرَ كالجمر، ثم يُغمَس في دم تيسٍ كما يُسقَى الحديد، يُصنع به

---

(١) الجرجير: بقل من الفصيلة الصليبية، حوليّ، ينبت في المناطق المعتدلة، في طعمه حرافة.
(٢) ندٌّ: فيه ندى ورطوبة.
(٣) الدلب: شجر كبير من فصيلة الدلبيات يعيش على ضفاف الأنهار ومجاري الماء.
(٤) البنج: نبات سام من فصيلة الباذنجانيات، أوراقه كبيرة لزجة، وزهره أبيض أو أصفر، أو منمّق بالبنفسجي يستعمل في الطبّ للتخدير.
(٥) الترمس: جنس نبات من فصيلة القطانيات، ساقه مستقيمة، وزهره بنفسجي، وقرونه عريضة كثيفة تضمّ حبّات مرّة الطعم بعد معالجتها بالنقع بالماء.
(٦) الخلاف: ضرب من النبات الضعيف السّاق يحمله السّيل فينبت خلافًا لأصله.
(٧) الثيل: نبات قضبانه طويلة فيها عقد كثيرة تمتدّ على الأرض، وقد يطلق عليه اسم النّجيل.
(٨) الطرفاء: جنس من النبات منه أشجار وجنبات من الفصيلة الطرفاويّة، ومنه الأثل.
(٩) الآس: شجر دائم الخضرة، بيضيّ الورق، زهره ورديّ أو أبيض، وهو عطريّ الرائحة، ثماره سود تؤكل غضّة، وتجفّف فتكون من التوابل.
(١٠) الدّغلة: الملتفّة على بعضها البعض.

ذلك مرارًا، ثمّ يُقطَع به الثّيلُ والشّوكُ والعَوْسجُ[١] والقصبُ وغير ذلك من الحشائش الكبارِ الغلاظِ المُضِرّة بالزرع؛ فإنّ كلّ نباتٍ قُطِع به لا يَنْبُت بعد ذلك أبدًا، لكنّه متى أصاب المِغْوَلُ شيئًا من كرمٍ أو نباتٍ فإنّه يؤذيه؛ قال: أو تُقلعُ أصولُ النّبات المُضِرّةُ بالزّراعة والغِراسة، ويؤخذ الماءُ العَذْبُ فيُغْلَى في قِدْر نحاسٍ غليانًا جيِّد مرارًا، يوقَد عليه بخشب الصَّنَوْبَر، ويُدَقّ الحِلْتِيتُ[٢] والخَرْدَلُ[٣] والخَرْبَق[٤] دقًّا ناعمًا، وتضاف إلى الماء، ويُصَبُّ منه وهو حارٌّ في الأصول التي قُلِعَت، فإنّ نباتَها لا يعود أبدًا؛ أو يُلقَى الزّفتُ والخمرُ في ماءٍ عذبٍ، ويُغْلَى في قِدر نحاسٍ حتى يذوبَ الزّفت، ويُصَبُّ وهو حارٌّ في تلك الأصول المقلوعة، ومقدارُ ما يُصَبُّ منه في كلّ أصلٍ ربعُ رِطْل؛ قال: وأمّا ما يَقْلَع الحَلْفاءَ[٥] فهو أن يُزْرَع التُّرْمُسُ والخَرْبَقُ في الأرض التي تظهر فيها، فإذا انتهيا في بلوغ غايتهما يُقْلَعان بأصولهما، ويُلْقَيان على الأرض، ويُضْرَبان بالخشب حتى يتهرّأ، ويُجْرَى عليهما الماء، ويُتْرَكان حتى يعفَنا، فإنّهما يأكلان أصولَ الحَلْفاء وما عداها من الحشائِش المضرّة؛ قال: ومن أراد قلعَ شجرةٍ عظيمةٍ لا يمكن الأَكَرَة[٦] قلعُها، فليَحفِر حول أصلِها، فإذا انكشف صَبّ فيه خَلًّا قد أُغْلِيَ فيه الزّفت، ثم يُطمَر بالتُّراب فإنه يُهرّىء ذلك الأصلَ ويفتّتُه وييبِّسه، وإن كان يابسًا سقط بنفسه، والله أعلم.

الباب الثالث
من القسم الأوّل من الفنّ الرابع
في الأقوات والخَضْراوات

ويشتمل هذا البابُ على الحِنطةِ والشّعيرِ والحِمّص والباقِلّى[٧] والأَرُزّ، وما قيل

---

(١) العوسج: جنس نبات شائك من الفصيلة الباذنجانية، له ثمر مدوّر يشبه خرز العقيق.

(٢) الحلتيت: ضرب من الصّموغ الراتنجيّة، يعرف باسم أبي كبير، ويستعمل في الطّب.

(٣) الخردل: نبات عشبي حرّيف من الفصيلة الصليبية، تستعمل بزوره في الطبّ، ومنه بزور يتبّل بها الطعام.

(٤) الخربق: نبات ورقه طويل ودقيق، زهره يميل إلى الحمرة.

(٥) الحلفاء: نبت ذو أطراف محدّدة تشبه أطراف سعف النخل، وهو ينبت في مفايض الماء.

(٦) الأكرة: جماعة الفلاحين أو الحراثين الذين يعملون في الأرض، والمفرد أكّار.

(٧) الباقلّى والباقلّا: نبات عشبيّ حوليّ، تؤكل قرونه مطبوخة، وكذلك بذوره، مثل الفول واللّوبياء، وقد يطلق على الفول نفسه.

في الخَشْخَاشِ[١] والكَتّانِ والشَّهْدانِج[٢] والبِطّيخِ والقِثّاءِ والخيارِ والقَرْعِ[٣] والباذِنْجَان والسِّلْقِ والقُنَّبِيط والكُرْنُبِ والسَّلْجَمِ والفُجْلِ والجَزَرِ والبصلِ والثُّوم والكُرّاثِ والرِّيباسِ[٤] والهَلْيُون[٥] والهَنْدَبا[٦] والنُّعْنَعِ والجِرْجِيرِ والسَّذابِ والطَّرْخُونِ[٧] والإِسْفاناخِ والبقلةِ الحَمْقاءِ والحُمّاضِ والرازِيَانَج والكَرَفْسِ[٨].

فأمّا الحِنْطةُ وما قيل فيها ـ فقد حَكَى الشيخُ أبو الحسن الكسائيّ[٩] ـ رحمه الله ـ في بدء الدنيا، أنّ الحَبّةَ أوّلَ ما خرجتْ من الجنّة كانت قدرَ بَيض النّعامَ، أَلْيَنَ من الزُّبْد، وأحلى من العسل، ولم تزل زاكيةً زمَن آدمَ وشيثَ[١٠] ـ عليهما السلام ـ إلى زمن إدريس[١١] عليه السلام فلمّا كثر الناسُ نَقَص الحَبُّ عن مقدارِه إلى أصغرَ منه، ثمّ كان كذلك إلى أيامِ فرعونَ، فنقَص عن مقدارِه إلى أيام إلياسَ[١٢] عليه السلام، ثم نَقَصَ حتى صار قدرَ بَيض الدَّجاج إلى أيّام عيسى ابن مريم عليه السلام، فنَقَص في زمنه حتى صار مِثلَ بَيض الحمام، إلى أن قُتِل يحيىٰ بن زكريّا عليهما السلام، فصار قدرَ البُنْدُق، فكان كذلك إلى أيّام

---

(١) الخشخاش: ضرب من النّبت المخدّر.
(٢) الشهدانج: لفظ فارسي معرّب، قد يكون التنوّم، بالعربية.
(٣) القرع: جنس نبات زراعي من الفصيلة القرعية، يزرع لثماره التي تؤكل، وتطبخ، وللتزيين كذلك، والواحدة منه قرعة.
(٤) الريباس: نبات يشبه السلق، طعمه حامض في حلاوة.
(٥) الهليون: جنس نبات من الفصيلة الزنبقية، فيه نوع زراعي مشهور، يُزرع لأكله ومنه نوع يستخدم للزينة، وثالث للبقل.
(٦) الهندبا: بقل زراعي حوليّ، من الفصيلة المركّبة، ورقه يطبخ، وقد يجعل منه «سلطة».
(٧) الطرخون: بقل زراعي معمّر من الفصيلة الأنبوبية، أوراقه تصلح للتّوابل.
(٨) الكرفس: بقل من فصيلة الخيميّات، منه ما هو للزراعة الغذائية، ومنه ما هو طبّيّ بحت. وثمة نوع منه تؤكل جذوره، واللفظة سريانية، غير عربية.
(٩) الكسائي: أبو الحسن، نحوي مشهور، وأحد القرّاء السبعة، أدّب الأمين والمأمون ولدي الرشيد، من كتبه كتاب «ما تلحن فيه العامّة». مات سنة ١٧٩ هـ. انظر: الفهرست، ص ٤٤.
(١٠) شيث: هو ثالث أبناء آدم وحوّاء.
(١١) إدريس: هو النبيّ الذي ورد ذكره في القرآن الكريم، من نسل شيث بن آدم، إليه تنسب العلوم العلويّة والسرّيّة، وعلوم الحكمة والنجوم. انظر: القفطي في: إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ٣، دار الآثار، بيروت.
(١٢) إلياس: اسم نبيّ من الصدّيقين ورد ذكره في القرآن الكريم.

عُزَيْر[١]، فلمّا قالت اليهود: ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: الآية ٣٠]، نَقَصَ إلى ما ترى، وقيل: بل صار قدرَ الحِمّص، ثمّ صار إلى هذه الغاية.

وقال وهبُ بنُ منبّه[٢]: وكان الزرعُ في زمن آدمَ عليه السلام على طول النخل.

وقال الشيخُ الرئيسُ أبو عليِّ بنُ سينا[٣]: أجوَدُ الحِنْطةِ المتوسّطةُ في الصّلابة العظيمةُ السَّمينةُ المَلْساء، التي بين الحمراء والبيضاء، والحِنْطةُ السوداءُ رديئةُ الغِذاء، وطبعُ الحِنطةِ حارٌّ معتدلٌ في الرّطوبة واليُبوسة، وسَوِيقُها[٤] إلى اليُبْس، وهو بطيءُ الانحدار، كثيرُ النَّفْخ، لا بدّ من حلاوةٍ تَحْدُره بسرعة، وغسلٍ بالماء الحارِّ حتى يُزيل نَفْخَة؛ وقال في الأفعال والخواصّ: الحِنطةُ الكبيرةُ والحمراءُ أكثرُ غذاء، والحِنطةُ المسلوقةُ بطيئةُ الهضم نَفّاخة، لكنّ غِذاءَها إذا استُمْرِئتْ[٥] كثير؛ والحُوّارى[٦] قريبٌ من النَّشا، لكنه أسخَن؛ والنَّشا باردٌ رَطْبٌ لَزِج، قال: والحِنْطةُ تنقّي الوجه، ودقيقُها والنشا خاصةً بالزّعفران دواءٌ للكَلَف[٧]؛ قال: والحِنْطةُ النّيئةُ والمطبوخةُ المسلوقةُ من غير طَحْنٍ ولا تهرئةٍ كالهَرِيسة، والهَرِيسةُ إن أُكِلَتْ وَلّدتْ الدّود، قال: والحِنطةُ مدقوقةً مذرورةً على عضّةِ الكَلْب الكَلِب نافعة.

وأمّا الشّعير، فقد قال الشيخُ الرئيس: طبعُ الشّعير باردٌ يابسٌ في الأُولى وهو جِلاء، وغِذاؤه أقلُّ من غِذاء الحِنطة، وماءُ الشّعير أغْذَى من سَوِيقِه، وكلاهما يَكْسِر حِدّةَ الأخلاط، وهو نافخ، قال: وإذا طُبِخَ بخَلٍّ ثَقِيفٍ[٨] ووُضِع ضِمادًا[٩] على

---

(١) عزير: كاهن يهودي، وشريف من أشرافهم، يعرف باسم عزرا، تشفّع لدى قورش ملك الفرس، للشعب اليهودي، ينسب إليه سفر يعرف بسفر عزرا، وضع في القرن الخامس قبل الميلاد.

(٢) وهب بن منبّه: أحد المؤرخين القدامى، اشتهر بتتبعه أخبار الأنبياء الأقدمين، ولد ومات بصنعاء سنة ١١٤ هـ/ ٧٣٢ م، له كتاب «التيجان في ملوك حمير».

(٣) ابن سينا: كنيته أبو علي، أحد كبار الفلاسفة والأطباء والعلماء في الإسلام، عرف بالشيخ الرئيس، ولد في أفشنة قرب بخارى وتوفي بهمذان سنة ١٠٣٧ م، له في الحكمة والتصوف والفلسفة والطبّ العديد من الكتب، أهمّها: القانون، والشفاء، والنجاة، والإشارات والتنبيهات، والحدود.

(٤) السويق: الناعم من دقيق الحنطة أو الشعير. (٥) استمرئت: استطيبت وكانت شهيّة مريئة.

(٦) الحوّارى: الدقيق الأبيض، وكل ما حورّ به وبُيّض.

(٧) الكلف: تغير في بشرة الوجه، حيث تميل إلى الكدرة والسواد والصفرة والحمرة.

(٨) الثقيف: الحامض. (٩) الضماد: ما يضمّد به الجرح ويعالج.

الجرب المتقرّح أبرأه، ويُضْمَد به مع السَّفَرْجَل والخَلّ على النِّقْرِس[١]؛ ويَمنع سيلانَ الفُضول إلى المفاصل، قال: وماؤه ينفع من أمراض الصدر؛ وإذا شُرِب ببِزْر الرازِيانج أغزَر اللّبن؛ ويُضْمَد بدقيقِه[٢] وإكليلِ المَلِكِ[٣] وقِشر الخَشْخَاش لوجع الجنب[٤]، قال: وماؤه رديءٌ للمعدة، وسَوِيقُه يُمْسِك البطنَ، وماؤه مبرِّدٌ يُرطِّب الحُمَّيات: أمّا للحارّة فساذِجًا[٥]، وأمّا للباردة فمع الكَرَفْس والرّازِيانَج، والله أعلم.

وأمّا ما وَصَف به الشعراءُ الزّرعَ وشبّهوه به ـ فمنه قولُ القاضي عِياض[٦]: [من السريع]

أُنظرْ إلى الزرعِ وخاماتِه ... تَحكِي وقد مالت أمامَ الرّياحْ

كتائبًا تَجفِلُ مهزومةً ... شقائقُ النُّعمانِ[٧] فيها جِراحْ

وقال ظافر الحدّادُ الإسكندَري: [من المتقارب]

كأنّ سنابلَ حَبِّ الحَصيد ... وقد شارفتْ وقتَ إبّانِها

مَكانسُ مضفورةٌ[٨] رُبِّعت ... وأرخِيَ فاضلُ خيطانِها

وقال ابنُ رافع: [من المنسرح]

أُنظرْ إلى سُنبلِ الزُّروعِ وقد ... مرّتْ عليه الجَنُوبُ والشَّمَلُ[٩]

كأنّه البحرُ في تموّجِه ... يعلو مرارًا به ويَستفلُ

---

(١) النقرس: مرض مؤلم يصيب مفاصل القدم، الإبهام خاصة، وكان يعرف بداء الملوك.
(٢) الدقيق: الطحين.
(٣) إكليل الملك، ضرب من الحشائش البرّية، زهرها أصفر، وطعمها مرّ، أمّا الرائحة فهي عطريّة ذكيّة.
(٤) الجنب: الشقّ، والجنب، والخباب، وذات الجنب، التهاب رئوي يحدث سعالًا حادًّا ينخس الجنب عند التنفّس.
(٥) ساذجًا: لوحده.
(٦) عياض: هو عياض المعروف بالقاضي، من علماء المغرب بالحديث والأدب والتاريخ. تولّى قطاء غرناطة وسبتة. ومن مصنّفاته «مشارق الأنوار» و«الشفا بتعريف حقوق المصطفى». مات سنة ٥٤٤ هـ/ ١١٤٩ م.
(٧) شقائق النعمان: جنس نبات عشبي من فصيلة الحوذانيات أو الشقيقيات، لونه أحمر، وينسب إلى النعمان بن المنذر، ملك الحيرة، فهو أوّل من عمل على استنباته في البساتين.
(٨) مضفورة: مفتولة.
(٩) الشمل، والشمال، واحد، وهي الرّيح التي تهب من الشمال، بخلاف ريح الجنوب.

وقال آخَر: [من مجزوء الرجز]

يـا حـبّـذا سُـنـبـلـةٌ تـبـدو لـعـيـن الـمـبـصـرِ
كـأنّـهـا سِـلْـسِـلـةٌ مـضـفـورةٌ من عـنـبـرِ[١]

وأمّا الحِمَّص ـ فقال الشيخ الرئيس أبو عليٍّ بنُ سينا في (كتاب الأدوية المفردة): الحِمَّصُ أبيضُ وأحمرُ وأسودُ وكِرْسنّيّ[٢]؛ ومن الأصناف بستانيٌّ وبَرّيّ والبَرّيُّ أحدُّ وأمرُّ وأشدُّ تسخينًا، ويَفعَل أفعالَ البستانيِّ في القوّة، ولكنّ غِذاءَ البستانيِّ أجوَدُ من غِذاء البَرّيّ، وقال في طبعه: الأبيضُ حارٌّ يابسٌ في الأُولى، والأسوَدُ أقوى؛ وقال في خواصّه: كلاهما مفتِّح مليِّن، وفيه تقطيع، ولا شيءَ في أشكالِه أغذَى منه للرِّئة، ورَطْبُه أكثرُ توليدًا للفُضول من يابِسِه؛ قال: والحِمَّصُ يجلو النَّمَش[٣]، ويحسِّن اللّون طِلاءً وأكلًا، وينفع من الأورام الحارّةِ والصُّلْبةِ وسائِر الأورامِ وما كان منها في الغُدَد، ودُهنُه ينفع من القُوباء[٤]، ودقيقُه للقروح الخبيثةِ والسَّرَطانيَّة والحِكّة؛ قال: وينفع من وجع الظهر، ومن البُثُورِ[٥] الرَّطْبةِ في الرأس؛ ونَقيعُه ينفع من وجع الضِّرس وأورام اللِّثة الحارّةِ والصُّلْبة، والأورام الّتي تحت الأذنين؛ قال: وهو يصفِّي الصّوت؛ قال: وطبيخُه نافعٌ للاستسقاء[٦] واليَرَقان[٧] ويفتِّح سُدَدَ الكَبِد والطِّحال، خصوصًا الكِرْسِنّيَّ والأسوَدَ، قال: ويجب ألّا يؤكلَ الحِمَّص في أوّل الطعام ولا في آخره، بل في وسطِه؛ قال: وطبيخُ الأسودِ يفتّت الحَصاةَ في المَثانةِ والكُلَى بدُهن اللّوزِ والفُجْلِ والكَرَفْسِ، وجميعُ أصناف الحِمَّصِ تُخْرِج الجَنِين، وهو رديءٌ لقروحِ المَثانة؛ ويزيد في الباه[٨] جدًّا، ونَقيعُه إذا شُرِب

---

(١) العنبر: مادة صلبة لا طعم لها ولا ريح إلّا إذا سحقت أو أحرقت، وهذه المادة يفرزها حيوان بحري ثديي يحمل الاسم نفسه.

(٢) الكرسني والكرسنّة: نبات عشبي من فصيلة القطانيات، له حبّ في غُلُف تعلفه الحيوانات، ولا سيما البقر والضأن.

(٣) النمش: نقط بيض أو سود أو بُقع تقع في الجلد، ولا سيّما في جلد الوجه، وهي تخالف لون الجلد نفسه.

(٤) القوباء: داء يصيب الجلد فيتقشر، ويعرف بالخزاز.

(٥) البثور: الخراجات الصغيرة، والقروح.

(٦) الاستسقاء: داء يصيب الجسم، وهو عبارة عن تجمّع سوائل مصلّية في تجويف أو أكثر من تجاويف الجسد وخلاياه.

(٧) اليرقان: مرض يصيب الإنسان وهو عبارة عن امتناع بلوغ الصفراء المعى بسهولة، فتختلط بالدم فتصفرّ بسبب الأنسجة.

(٨) الباه: منيّ الرّجل.

على الرّيق أنْعَظ بقوّة، وكلُّه مليّنٌ للبطنِ؛ وقال بعضهم: إنّه إن نُقِع في الخَلّ وأُكِل منه على الرّيق، وصُبِر عليه نصف يومٍ قَتَل الدّود.

وأمّا الباقِلّى ـ فقد قال فيه الشيخ الرئيس: منه مصريّ، ومنه نَبَطيّ والنَّبَطيّ أشدُّ قبضًا، والمصريُّ أرطَبُ وأقلُّ غِذاء، والرَّطْبُ أكثرُ فُضولًا؛ قال: ولولا بطءُ هضمِه وكثرةُ نفخِه ما قَصَر في التغذيةِ عن كَشْكِ[1] الشَّعير، بل دمُه أغلظُ وأقوَى؛ قال: وأجوَدُه السَّمينُ الأبيضُ السالمُ من السُّوس، وأردأُه الطريُّ، وإصلاحُه إطالةُ نَقعِه وإجادةُ طبخِه وأكلُه بالفُلْفُل والملحِ والحِلْتِيتِ والصَّعْتَر وطبعُه قريبٌ من الاعتدال، ومَيْله إلى البَرْدِ واليُبْسِ أكثر؛ وفيه رطوبةٌ فَضْليّة خصوصًا في الرَّطْب منه؛ قال: والقومُ الّذين يجعلون بَرْدَ الباقِلّى في الدرجة الثانيةِ يُفْرِطون.

وأمّا أفعالُه وخواصُّه ـ فإنّه يجلو قليلًا، وينفخ، والمقليُّ منه قليل النَّفْخ، ولكنّه أبطأ انهضامًا، والمطبوخُ في قِشرِه كثيرُ النفخ، والنَّبَطيُّ أشدُّ قبضًا ولا يجلو؛ قال: والباقِلّى يولِّد أخلاطًا غليظة، وقد قَضَى أبُقْراطُ[2] بجُودةِ غِذائه وإذا قُشِر وشُقَّ نصفين ووُضع على نَزْفٍ[3] قطعَه، ومن خواصِّه أنّه يقْطَع بَيْضَ الدَّجاج إذا عُلِفتْ منه، وأنّه يُري أحلامًا مشوَّشة، وأنّه يُحدِث الحِكّة، خصوصًا طريَّه، ومن خواصِّه أنّه إذا ضُمِدت به عانةُ[4] الصَّبيِّ مَنَع نباتَ الشَّعر، وكذلك إذا كُرِّر على الموضع المحلوق، ويجلو البَهَق[5] من الوجه والكَلَف والنَّمَش، ويحسِّن اللّون لا سيّما مع قشورِه، وإذا ضُمِد به بالسذاب على الخُصْية نَفَع ورمها، وينفع من تشنّج المَفصِل، ويُضْمَد بمطبوخِه النِّقْرِس مع شحم الخِنزير، وإن خُلِط مع عسلٍ ودقيقِ الحُلبةِ نَفَع من أورام الحَلْق؛ وضِمادُه جيّدٌ لورم الثّدي وتجبُّن اللّبن فيه؛ والمطبوخُ منه بخَلّ وماءٍ ينفع من الإسهالِ المُزمِن، وخصوصًا إذا كان بقشرِه، وينفع من السَّحْج[6]، ولا سيّما النَّبطيّ، وسَويقُه أيضًا ينفع من ذلك حَسْوًا وضِمادًا هذا ما قاله فيه.

---

(١) الكشك: ماء الشعير، واللفظة فارسية.

(٢) أبقراط: أحد ألمع أطباء اليونان الكبار في القديم، عرف عنه استقامته وأخلاقه الرفيعة في علاج المرضى، والقَسَم الذي يؤدّيه الأطبّاء اليوم غبّ تخرّجهم من الجامعات يعرف بقسم أبقراط عينه. توفي نحو ٣٧٧ ق.م.

(٣) النزف: سيلان الدم وعدم انقطاعه.

(٤) العانة: منبت الشعر في أسفل البطن، وفوق الفرج وحواليه.

(٥) البهاق والبهق: داء يذهب بلون الجلد فتظهر فيه بقع بيض مشوّهة.

(٦) السحج: ضرب من الأمراض في الأمعاء.

وأمّا ما وصفه به الشعراءُ وشبّهوه به ـ فمن ذلك قولُ الصَّنَوْبَرِيّ[١]: [من الوافر]

فـصـوصُ زمـرّدٍ فـي غُـلْفِ دُرّ بـأقـمـاعٍ حـكـتْ تـقـليـمَ ظُـفْـرِ
وقـد خـاط الـرّبـيـعُ لـهـا ثـيـابًـا بـديعَ الـلّون مـن خُـضْـرٍ وصُـفْـرِ

وقال أيضًا فيه: [من الكامل]

ونـبـاتِ بـاقـلّاء يُـشْـبِـه نَـوْرُهـا[٢] بُـلْقَ الـحـمـامِ[٣] مُـشـيـلةً أذنـابَـهـا

وقال العسكريّ[٤]: [من الهزج]

ويُـــزْهَـــى وَردُ بـــاقـــلّى كـأطـواق الـشّـفـانِـيـنِ[٥]

وقال أبو الفتح كُشاجِم[٦]: [من الرجز]

وبـــاقـــلّاءَ حَـــسَـــنِ الـــمـــجـــرَّدِ مِسْكِ الثَّرَى شَهْدِ الجَنَى[٧] غَضٍّ نَدِي
كـالـعِـقـدِ إلّا أنّـه لـم يُـعْـقَـدِ أو الـفـصـوصِ[٨] فـي أكـفِّ الـخُـرَّدِ[٩]
أو كـبـنـاتِ الـلّؤلـؤ الـمـنـضَّـدِ فـي طـيِّ أصـدافٍ مـن الـزّبـرجـدِ[١٠]

---

(١) الصنوبري: واسمه أحمد، من شعراء البلاط الحمداني في حلب. مدح سيف الدولة الحمداني، وأشهر أشعاره تلك التي يصف فيها مفاتن الطبيعة، والزهور، والرياض والجنائن، وتعرف بالروضيات. مات سنة ٩٤٦ م.
(٢) نورها: زهرها.
(٣) بلق الحمام: الحمائم التي في ألوانها سواد وبياض.
(٤) العسكري: هو أبو هلال الحسن، الأديب والشاعر، وصاحب المصنّفات الكثيرة، وأهمها: كتاب الصناعتين، وجمهرة الأمثال، والفروق في اللغة، له ديوان شعر مطبوع، مات سنة ١٠٠٥ م.
(٥) الشفانين: ضرب من الحمام البرّي.
(٦) كشاجم: أبو الفتح محمود، الشاعر والأديب والمنشىء، فارسي الأصل، أقام في حلب ومدح الحمدانيين، من كتبه أدب النديم، وله ديوان شعر مطبوع، مات سنة ٩٦٠ م.
(٧) شهد الجنى: العسل الصافي.
(٨) الفصوص: جمع فصّ، وهو ما يركّب في الخاتم من الحجارة الكريمة.
(٩) الخرّد: جمع خريدة، وهي الفتاة البكر، والحيّة الطويلة.
(١٠) الزبرجد: ضرب من الحجارة الكريمة تشبه الزمرّد، وأشهره ما كان أخضر اللّون.

وقال فيه أيضًا: [من الكامل]

وكـأنّ وَردَ الـبـاقـلّاءِ دراهـمٌ قد ضُمِّختْ[١] أوساطُها بالعنبرِ
وكأنّه من فوقِ مَتْنه غصونِه يرنو بمقلةِ أقبَلٍ[٢] أو أحورِ[٣]

وقال أيضًا: [من الرجز]

ولاحَ وَردُ الـبـاقـلّاءِ نـاظـرًا عن مقلةٍ تفتح جفنًا عن حَوَرْ

وقال أبو طالب المأمونيّ: [من مجزوء الرجز]

وبـاقـلاءَ أزهَـرِ[٤] مِثلِ سُموطِ[٥] الجوهرِ
تـضـمُّـه أوعـيـةٌ مِثلُ الحرير الأخضر
أوساطُه مُخطَفةٌ[٦] مِثل خُصورٍ ضُمَّرِ
أطـرافُـه مـذروبـةٌ[٧] مـسروقـةٌ مـن أنـسُـرِ
فَـطَـرَفٌ كـمِـخْـلَـبٍ[٨] وطَـرَفٌ كـمِـنْـسَـرِ[٩]

وقال ابنُ وكيع التِّنّيسي[١٠]: [من الرجز]

كـأنّ وَردَ الـبـاقِـلاءِ إذ بـدا لـنـاظـرِيـه أعـيـنٌ فـيـهـا حَـوَرْ
كمِثلِ ألحاظ اليَعافِيرِ[١١] إذا روَّعَها مِن قانصٍ فرطُ الحَذَرْ
كـأنّـه مَـداهـنٌ مـن فـضّـةٍ أوساطُها بها من المِسك أثَرْ

---

(١) ضمّخت: خلطت.
(٢) الأقبل: من فيه قبل، وهو إقبال سواد عينه على أنفه، أو هو إقبال نظر كلّ من العينين على الأخرى.
(٣) الأحور: من فيه حور، وهو شدّة سواد العين وبياضها معًا، وهو كناية عن الحبيب.
(٤) الأزهر: الأبيض.
(٥) سموط الجوهر: عقودها.
(٦) مخطفة: ضامرة.
(٧) مذروبة: محدّدة.
(٨) المخلب: الظفر، لكلّ سبُع.
(٩) المنسر: هو للطير الجارح، كالنسر وغيره، كالمنقار للطير غير الجارح.
(١٠) ابن وكيع: واسمه الحسن، من شعراء مصر، له ديوان شعري، وله كتاب «المنصف» وهو يتناول سرقات المتنبّي. مات سنة ١٠٠٣ م.
(١١) اليعافير: جمع يعفور، وهو الظبي الذي لونه كلون العفر، أي التراب.

وقال أيضًا فيه: [من المجتثّ]

كـأنّ أوراقَ وَردِ لـلـبـاقِـلاءِ بـهـيّـةْ
خـواتـمٌ مـن لُجَـيْـنٍ فـصـوصُـهـا حـبـشـيّـةْ

وقال آخَر: [من مجزوء الرجز]

لـي نـحـوَ وَردِ الـبـاقِـلا إدمـانُ لـهـوٍ ولَهَـجْ[١]
كـأنّـمـا مُـبـيـضُّـه يـلوح مـن ذاك الـدَّعَـجْ[٢]
خـواتـمٌ مـن فـضّـةٍ فيها فُصوصٌ من سَبَجْ[٣]

وأما الأُرُزّ ـ قال الشيخ: هو حارٌّ يابس، ويُبسُه أظهرُ من حرِّه، وقالوا: إنّه أحرُّ من الحِنطة، وهو يغذو غذاءً صالِحًا، وإذا طُبِخَ باللّبن ودُهِن اللّوز كان غِذاؤه أكثرَ وأجوَدَ، وسَقَط تجفيفُه وعَقْله[٤]، وخصوصًا إذا نُقِع ليلةً في ماء النُّخالة، قال: وفيه جِلاء، ومطبوخُه بالماء يَعْقِل، والمطبوخُ باللّبن يزيد في الباه ولا يَعْقِل، ولم أقف على شيءٍ من الشِّعر فيه فأُورِدَه.

وأمّا الخَشخاشُ وما يُنتَج عنه مِن عُصارته ـ فقال الشيخ الرئيس: وعُصارةُ الخَشخاش المصريّ الأسوَدِ هي الأفيون، قال: والمختارُ منه الرّزينُ الحادُّ الرائحةِ الهَشُّ السَّهلُ الانحلالِ في الماء، لا ينعقد في الذَّوْب وينحلُّ في الشّمس، والأصفرُ منه الصّافي اللّون الضعيفُ الرائحة مغشوش، وغِشُّه بالمامِيثا[٥]، وهو يُغَشّ بلبن الخَسّ البَرّيّ، ويُغَشّ بالصَّمْغ فيكون برّاقًا صافيًا جدًّا، وطبعُه باردٌ يابسٌ في الرابعة، وأفعالُه وخواصُّه، هو مخدِّرٌ مسكِّنٌ لكلّ وجع سواءٌ شُرِبَ أم طُلِيَ به، والشَّرْبةُ منه مقدارُ عَدَسةٍ كبيرة، ولا تُزاد شربتُه على دانِقين، ويَمنع الأورامَ الحارّة، وفيه تجفيفٌ للقُروح، «وإذا طُلِيَ به باللّبن سكّن وجعَ النِّقْرِس»؛ قال: وأمّا أفعالُه في الرأس، فهو منوِّم، وإذا أُذيب بدُهنِ الوَرْدِ وقُطِر منه في الأذن سكّن وجعَها إذا أضيف إليه المرّ[٦] والزّعفران[٧]، ويسكّن

(١) اللّهج: الولع بالشيء، واعتياده والمثابرة عليه.
(٢) الدعج: ويكون في العينين، وهو شدّة سوادهما مع اتّساعهما.
(٣) السبج: الخرز الأسود.
(٤) عقله: فعل العقل منه، أي إمساكه.
(٥) الماميثا: ضرب من النبت يشبه الخشخاش، زهره أزرق، وفيه رطوبة ولزوجة.
(٦) المرّ: صمغ شجر يتّخذ دواء.
(٧) الزعفران: نبات بصليّ معمّر من فصيلة السوسنيّات، منه أنواع برّيّة، ونوع صبغيّ يستخدم في=

الصُّداع[١] المزمن، ويسكِّن السُّعالَ المبرِّح[٢]، وهو يحبس الإسهال، وينفع من السَّحْج وقروحِ الأمعاء، وإذا عُدِم كان بدلَه ثلاثةُ أضعافِه من بِزْرِ البَنْج وضِعفُه من بِزْرِ اللُّفّاح[٣].

وأمّا ما وُصِفَ به من الشِّعر ـ فمن ذلك قولُ الشِّمْشاطيّ[٤]: [من الطويل]

وخضراءَ قد نِيطَتْ[٥] على حُسْنِ حالِها
بإكليلِها لمّا استطالت قَناتُها
مضمَّنةً حَبّاتِ دُرٍّ كأنّها
لهم خيرُ ما أمٍّ وهنّ بناتُها

وقال الحَصْكَفِيّ[٦]: [من البسيط]

وغادةٍ زاد فيها اللّحظُ تكريرًا ... قَدٌّ يُضيف إلى التأنيث تذكيرًا
لها على الرأس إكليلٌ يحيط به ... أو جُمَّةٌ[٧] قُصَّ أعلاها شَوابيرًا[٨]
كأنّها قُبَّةٌ من فوقِها شُرَفٌ ... جَوفاءُ قسّمها الباني مَقاصيرًا[٩]
حُبلَى بعدّة أولادٍ وما افترِعَتْ[١٠] ... عَذْراءُ تَحْكِي لنا العَذْراءَ تطهيرًا

= الطب، ولونه بين الحمرة والصفرة.

(١) الصّداع: وجع الرأس. (٢) المبرّح: الشديد والمؤلم.

(٣) اللفاح: نبات من فصيلة الشفويات، أوراقه كثيرة، وتظهر منه في أواخر الشتاء عنبيّات صفر طيّبة الرائحة.

(٤) الشماشطي: نسبة إلى شميشاط أو سميساط، المدينة السورية القديمة على نهر الفرات إلى الجنوب من تركيا، كانت مزدهرة في العهد الروماني، ونبغ منها كثيرون. انظر: معجم البلدان، لياقوت ٣/ ٣٦٢.

(٥) نيطت: علّقت وربطت.

(٦) الحصكفي، علاء الدين محمد: من الفقهاء الحنفيين الدمشقيين، له أشعار وعدة شروحات ومؤلّفات أهمها: «إفاضة الأنوار على أصول المنار» و«الدرّ المختار في شرح تنوير الأبصار». مات سنة ١٠٨٨ هـ/ ١٦٧٧ م.

(٧) الجمّة: مجتمع شعر النّاصية.

(٨) شوابيرا: ربما كانت اللفظة فارسية، وقد تكون هذه القصّة للشعر مثالًا احتذوه من سابور، ملك الفرس في القديم، وعلى هذا تكون شوابير، جمع شابور أو سابور.

(٩) المقاصير: جمع مقصورة، وهي الحجرة الخاصة المفصولة عن الغرف المجاورة فوق الطبقة الأرضيّة.

(١٠) افترعت: افتضّت بكارتها.

تَـضُـمّ شَـمـلَ أُطَـيـفـالٍ إذا دَرَجُـوا رأيـتَ شَـمْـلَـهـم الـمـنـظـومَ منـثـورَا
عهدي بها فوق ساقٍ تَرجحنَّ[١] بها زمـرّدًا[٢] ثـم عـادت بـعـدُ كـافـورَا

وقال ابنُ وَكيع: [من الوافر]

وخَشـخـاشٍ كـأنّـا منـه نَـفـرِي[٣] قـمـيـصَ زبـرجـدٍ عـن جـسـم دُرِّ
كـأقـداحٍ مـن الـبَـلُّـورِ صِـيـنـت بـأغـشـيـةٍ مـن الـدِّيـبـاج[٤] خُـضْـرِ

وأمّا الكَتّانُ وما قيل في بِزْرِهِ وتشبيهه ـ فقال الشيخ الرئيس: بِزْرُ الكَتّان حارٌّ في الأُولى، معتدلٌ في الرّطوبة واليُبوسة، وإنّه مع النَّطْرون[٥] والتِّينِ ضِمادٌ للكَلَف والبُثُور اللَّبَنيّة، وينفع من تَشنُّج الأظفار وتَشقُّقها وتَقَشُّرِها إذا خُلِط بشَمَع وعسل، ودخانُه ينفع من الزُّكام، وكذلك دُخانُ الكَتّان، وينفَع من السُّعال البَلْغَميّ، وخصوصًا المحمَّصَ منه، وهو رديءٌ للمعدة، عَسِرُ الهَضْم، ومقليُّه يَعْقِلُ البطن؛ وإذا طُبِخَ وجُلِس فيه نَفَع من لذعٍ يكون في الرَّحِم وأورام؛ وكذلك الأمعاء، وينفع من قُروح المَثانة والكُلْية، قال: وطَبيخُ بِزْرِ الكَتّان إذا حُقِن به مع دُهِن الوَرْدِ عظمَتْ منفعتُه في قُروح الأمعاء.

«ونباتُ الكَتّان في غاية ما يكون من البهجةِ والنَّضارةِ وحُسْنِ الألوان».

وقد وصفه الشعراءُ بأوصافٍ وشبَّهوه بأشياءَ، فمن ذلك قولُ ابنِ الرّوميّ[٦]: [من الطويل]

وحِلْسٍ[٧] من الكَتّان أخضرَ ناضرٍ يـبـاكـره داني الـرَّبـابِ[٨] مَـطـيـرُ
إذا دَرَجـتْ فـيـه الـرِّيـاحُ تـتـابعـت ذوائـبُـه[٩] حـتّـى يـقـالَ غَـديـرُ

---

(١) ترجحن: تمايل.
(٢) الزمرّد: حجر كريم أخضر اللون شفّاف، وأشدّه جودة أشدّه خضرة وأصفاه جوهرًا.
(٣) نفري: نفتت ونشقّق.
(٤) الديباج: ضرب من الثياب، سداه ولحمته من الحرير.
(٥) النطرون: البورق، وهي لفظة يونانية.
(٦) ابن الرومي: هو أبو الحسن عليّ بن العباس بن جريج، من شعراء العصر العباسي الثاني، ولد في بغداد سنة ٢٢١ هـ/ ٨٣٦ م، ولم يفارقها إلّا قليلًا. رزىء بفقد أولاده وزوجته، وظهرت عليه ملامح الطيرة والتشاؤم، ولطالما حبس نفسه في بيته فلا يخرج منه لتطيّره وتشاؤمه. انظر: زهر الآداب، للحصري ٢/٩٦. (هامش العقد الفريد)، دار مكتبة الهلال، بيروت ١٩٨٦.
(٧) الحلس: ما يبسط في البيت من حصير أو كتّان ونحوه، تحت كريم المتاع.
(٨) الرباب: السحاب الأبيض.
(٩) الذوائب: جمع ذؤابة، وهي أعلى الشيء، وشعر مقدّم الرأس.

وقال أبو الفتح كُشاجِم: [من الوافر]

كـأنّـمـا الـكَـتّـان فـيـه إذ عَـقَـدْ ونَشَر الأوراقَ زرقًا في الجددْ[١]

* آثـارُ قَـرْصٍ مـن مـحـبٍّ فـي جـسـدْ *

وقال ابنُ وَكِيع: [من الطويل]

ذوائبُ كَـتّـانٍ تَـمَـايَـلُ فـي الـضّـحـى على خضرِ أغصانٍ من الرِّيِّ[٢] مُيَّدِ[٣]

كأنّ اصفرارَ الزّهر فوق اخضرارِها مَداهـنُ تِبـرٍ رُكِّبـتْ فـي زبـرجدِ[٤]

وقال آخَرُ في الأزرق: [من المجتث]

كـأنّـه حـيـن يـبـدو مَـداهـنُ الـلاّزوَردِ[٥]

إذا الـسـمـاء رأتـه تـقـول هـذا فِـرِنـدِي[٦]

وأمّا الشَّهْدانِج - ويقال فيه: الشاهْدانِق - فورقُه الحشيش، وهو بِزْرُ شجرة القُنَّب؛ قال الشيخ الرئيس: ومن الشَّهْدانِج بستاني معروف، ومنه برّيّ، قال حُنَيْن[٧]: إن البَرِّيَّ شجرة تخرج في القِفار على قدرِ ذراع، ورقُها يَغْلِب عليه البياض، وثمرُها كالفُلْفُلِ، ويُشبِه حَبُّها حبَّ السُّمْنة، وهو حَبٌّ ينعصر منه الدُّهن؛ قال: وطبعُه حارٌّ يابسٌ في الثالثة، وهو يَطرُد الرّياح، ويجفِّف، وهو عَسِرُ الانهضام، رديءُ الخِلْط، قويُّ الإسخان، ومقلوُّه أقلُّ ضررًا، قال: وإذا طُبِخَتْ أصولُ القُنَّب البَرّيّ وضُمِدت بها الأورامُ الحارّةُ في المواضع الصُّلْبة الّتي فيها كَيْمُوساتٌ[٨]

---

(١) الجدد: ما استوى من الأرض.

(٢) الرّيّ: النعمة والرونق، والشبع من سقاية الماء.

(٣) ميّد: متمايلة، متثنية.

(٤) الزبرجد: حجر كريم يشبه الزمرّد، وهو ذو ألوان متعدّدة، أشهرها الأخضر المصري والأصفر القبرصيّ.

(٥) اللازورد: من الأحجار الكريمة، لونه أزرق سماوي أو بنفسجي، يستعمل للزينة.

(٦) الفرند: السّيف.

(٧) حنين: هو حنين بن إسحٰق العبادي، يكنى أبا زيد، من نصارى الحيرة، طبيب وفصيح باللغة اليونانية والسريانية والعربية، مات سنة ٢٦٠ هـ. له من الكتب كتاب «المسائل» في الطب، وكتاب «الأغذية» وكتاب «الباه» و«الألوان» و«الترياق» و«الأدوية». انظر: الفهرست، لابن النديم، ص ٤٠٩ ـ ٤١٠.

(٨) الكيموسات: جمع كيموس، وهو الخلط أو الحالة التي يكون عليها الطعام بعد فعل المعدة فيه. واللفظة يونانية.

لاحجةٌ[١] سكّنت الحارّةَ وحَلّلت الصُّلْبة، وهو مصدِّعٌ[٢] بحرارته، وعُصارتُه تُقطَر لوجع الأُذُن السُّدُديّ[٣]، ولرطوبة الأُذُن، وكذلك ورقُه ودُهنُه قَلّاعٌ للحَزاز[٤] في الرأس وهو يُظلِم البصرَ، ويُضعِف المعدة، ويجفِّف المنيّ، ولبنُ الشَّهْدانِج البَرّيِّ يُسْهِل برفق، ونصفُ رِطلٍ من عصيرِه يَحُلّ الاعتقال، ويُطلِق البَلْغَم والصّفراء، ويَذهبُ مذهبَ القُرْطُم[٥]، هذا ما قاله فيه.

وقال بعضُ الشّعراء في ورقِه: [من السريع]

عاطيتُ من أهوى وقد زارني ... كالبدر وافَى ليلةَ البدرِ
والنّهرُ قد مَدَّ على متنِه ... شعاعُه جسرًا من التِّبرِ[٦]
خضراءَ كافوريّةً[٧] رَنّحتْ ... أعطافَه من شدّة السُّكْرِ
يَفعل منها دِرهمٌ فوق ما ... تَفعل أرطالٌ من الخمرِ
فراح نشوانَ بها غافلًا ... لا يَعرف الحلوَ من المُرِّ
قال وقد لان بها أمرُه ... فبات مردودًا إلى أمري
قتلْتَني قلتُ: نعم سيّدي ... قتلين بالسُّكْرِ وبالنَّجْرِ[٨]

وقال آخر: [من السريع]

يا ساقيَ القومِ أدرْ بينهم ... خضراءَ تغنيهم عن الخمرِ
حشيشةً تجعل كلَّ امرئٍ ... منهم حشيشيًّا ولا يدري

وقال آخر: [من الخفيف]

رُبّ ليلٍ قطعتُه ونديمي[٩] ... شاهدي وهو مُسمِعي وسميري[١٠]

(١) اللاحجة: المستقرّة اللازمة. (٢) مصدّع: يبعث على الصّداع.
(٣) السّددي: المانع من السّماع.
(٤) الحزاز: داء يظهر في الجسد فيتقشّر ويتّسع، وهو القوباء نفسها.
(٥) القرطم: نبات زراعي صبغيّ من الفصيلة المركبة، زهره يستعمل تابلًا وملوّنًا للطعام، ويستخرج منه صباغ أحمر.
(٦) التبر: فتات الذهب أو الفضة قبل أن يصاغا.
(٧) كافورية: نسبة إلى الكافور، وهو نبت من الفصيلة الفاريّة، يتخذ منه مادّة شفّافة بلّورية بيضاء.
(٨) النّجر: العطش والحرّ، واللّون أيضًا. (٩) نديمي: رفيقي وصاحبي على الشراب.
(١٠) سميري: صاحب سمري، والسمر: حديث الليل.

مَجلسي مسجدٌ وشربيَ من خضـ ـراءَ تُزْهَى حسنًا بلونٍ نضيرِ
قال لي صاحبي وقد لاح منها نَشْرُها مزريًا[١] بنَشْر العبيرِ
أمن المِسكِ؟ قلت: ليست من المِسـ ـكِ ولكنها من الكافورِ

وأمّا البُطّيخ وما قيل فيه ـ فقال الثعالبيُّ في فقه اللغة: أوّل ما يخرج البِطّيخُ يكون قَعْسَرًا، ثم خَضَفًا، وهو أكبرُ من ذلك، ثم يكون قُحًّا، ثم يكون بِطّيخًا.

وهو نوعان: بَرّيٌّ وبستانيّ، فالبَرّيّ، هو الحنظل، ومنه ذكرٌ ومنه أنثى؛ فالذكرُ لِيفيّ، والأنثى رَخْوٌ أبيضُ سَلِس، والمختار منه الأبيضُ الشديدُ البياض اللّيّن، فإنّ الأسوَدَ منه رديء، والصُّلبَ رديء؛ وذَكَر فيه الشيخ الرئيس خواصَّ ومنافعَ يطول شرحها، قال: وطبعُه حارٌّ في الثالثة، زعَمَ الكِنْدِيّ[٢] أنه باردٌ رَطْب، قال: وقد بَعُد عن الحق بعدًا شديدًا.

وأما البستانيّ ـ فهو ثلاثةِ أصناف: هنديٌّ وصِينيٌّ وخُراسانيّ، فالهنديُّ هو الذي يسمَّى بمصرَ: الأخضر، وبالمغرب: الدُّلاع، وبالحجاز: الحَبْحَب، وبالشام: الزَّبَش، والصِّينيُّ هو الّذي يسمَّى بمصرَ والشام: الأصفر، والجيّدُ منه الثقيلُ الخشنُ الأصفر، وفيه يقول بعضُ الشّعراء: [من الوافر]

ثلاثٌ هنّ في البِطّيخ زينٌ وفي الإنسان مَنقَصةٌ وذِلّهْ
خشونةُ جسمِه والثِّقْلُ فيه وصفرةُ لونِه من غير علّهْ
إذا شقّقتَه يومًا تراه بدورًا أشرقت منها أهلّهْ[٣]

والخُراسانيّ هو الّذي له رقبةٌ مستطيلةٌ معوجّة، ويسمّى بمصرَ: العَبْدَليّ نسبة إلى عبد الله بن طاهر، فإنّه الذي نقله من خُراسانَ إليها، وقد عَدّ بعضُ الأطبّاء في البِطّيخ صنفًا آخر، وهو لطيفُ الشّكل، عَطِرُ الرائحة، منقوشٌ بالحمرةِ والصفرةِ والسّواد، منه ما يكون بقَدْر الكفّ، وأكبرَ من ذلك، ومنه المستطيل،

---

(١) مزريًا: معيبًا، منقصًا منه.
(٢) الكندي: هو أبو يوسف يعقوب، الفيلسوف العربي، والعالم بالرياضيات والعلوم الطبيعية والموسيقى والفلك. له حوالي ستين رسالة وكتابًا في مختلف المعارف، وأهمها: «إيضاح تناهي جرم العالم» و«مختصر الموسيقى» و«العقل» و«كتب أرسطاطاليس» و«المدخل المنطقي». مات سنة ٨٧٣ م. انظر: الفهرست، ص ٣٥٧ ـ ٣٥٨.
(٣) الأهلّة: جمع هلال، وهو القمر في أوائل لياليه وأواخرها.

ويسمّى بالعراق: الدَّسْتَنْبُويّ، واحدته دَسْتَنْبُوَيه، وفي الشام: الشَّمّام، واحدتُه شَمّامة؛ وفي الصّعيد الأعلى يسمّونه: اللُّفّاح، وهو خطأ، لأنّ اللُّفّاح صِنفٌ آخر، ولهم في بعض بلاد الصّعيد الأعلى من الدّيار المصريّة صِنفٌ آخَرُ من أصناف البِطّيخ الأصفرِ يسمّونه: الشَّتْويّ، وهو مستطيل الشّكل، غيرُ جافّ، يُشْبِه القِثّاء، رقيقُ الجلد حدًّا، وهم غالبًا لا يقطعونه بالسّكّين، وإنّما يمتصّون البِطّيخَة فيَخرجُ ما فيها، ويَبْقَى جلدُها شبهَ الظّرف، وأكثر ما رأيت هذا الصنف بإسْنَى[١] من عمل مدينة قُوَص[٢].

قال الشيخ الرئيس أبو عليّ بنُ سينا في البِطّيخ؛ ولم يميّزه بأصنافِه، بل أطلَق اسمَ البِطّيخ، فقال: طبعُه باردٌ في أوّل الثانية، رَطْبٌ في آخرِها، وإذا جُفِّف بِزْرُه لم يكن مرطِّبًا، بل يجفِّف في الأولى، وأصلُه مجفّف، وقال في أفعالِه وخواصّه: النَّضيجُ منه لطيف، والنيِّءُ كثيف، وغيرُ النَّضيجِ في طبع القِثّاء، وفيه تفتيحٌ كيفما كان، قال: والنَّضيجُ منه وغيرُ النضيج جاليان، وبِزْرُه أقوى جِلاء، ويستحيل إلى أيِّ خِلْطٍ وافق في المعدة، وهو إلى البَلْغَم أشدُّ ميلًا منه إلى الصّفراء، فكيف إلى السوداء! وهو ينقّي الجلد، وينفع من الكَلَفِ والبَهَقِ والحَزاز، وخصوصًا إذا عُجِن جوفُه كما هو بدقيق الحِنطة وجُفّف في الشمس، وإذا ألصِقَ قِشرُه بالجبهة مَنَع من النوازل إلى العين؛ قال: وإذا أُكِلَ وجب أن يُتْبَع طعامًا آخَر، فإنه إذا لم يُتْبَع شيئًا آخَرَ غَثّى[٣] وقيّأ[٤]، وليشرب عليه المحرورُ[٥] سكَنْجَبِينًا[٦]، والمرطوب كُنْدَرًا[٧] أو زنجبيلًا[٨]: مربًّى أو شرابًا، قال: وهو يُدِرُّ البولَ نَضيجُه ونيئُه، وينفع من الحَصاة في الكُلْيَة، قال: وإذا فسد البِطّيخُ في المعدة استحال إلى طبيعة سمّية، فيجب إخراجُه بسرعةٍ إذا ثَقُل؛ هذا ما قاله الشيخ.

---

(١) إسنى: مدينة مصرية على النّيل، فيها آثار يونانية ورومانية.

(٢) قوص: مدينة مصرية على النيل في محافظة قنا، ازدهرت في عهد المماليك، فيها أطلال هياكل من عهد البطالسة.

(٣) غثّى: بعث على الغثيان، وهو اضطراب النفس حتى تكاد تتقيّأ.

(٤) قيّأ: بعث على القيء، وهو إلقاء الطعام أو الشراب من المعدة عن طريق الفم.

(٥) المحرور: من في جسمه حرارة وحمّى.

(٦) السكنجبين: خليط العسل والخلّ، وخليط كل شيء سواهما، واللفظة فارسية.

(٧) الكندر: صمغ شجرة شائكة ورقها كالآس، واللفظة يونانية.

(٨) الزنجبيل: نبات عشبي هندي الأصل، عروقه تسري في الأرض، ويتولّد منها عقد حرّيفة الطعم، واللفظة فارسية.

وأمّا ما جاء في وصفِه وتشبيهه ـ فقد وصفه الشعراء وشبّهوه، فمن ذلك ما قيل في الأخضر منه، قال أبو طالب المأمونيّ: [من الطويل]

ومبيضةٍ فيها طرائقُ خُضرةٍ
كما اخضرّ مَجْرَى السيل من صيّبِ المُزْنِ[١]
كحُقةٍ[٢] عاجٍ ضُبِّبتْ[٣] بزبرجدٍ
حوتْ قِطعَ الياقوت في عُطَبِ القطنِ

وقال آخر: [من السريع]

رأيتُها في كفّ جلّابها — وقد بدت في غاية الحُسْنِ
كسَلّةٍ خضراءَ مختومةٍ — على الفصوص الحمر في القطنِ

وقال محمدُ بنُ شرف القَيْرَوانيّ: [من مجزوء الكامل]

ما أطفأتْ جمرَ الوَقِيـ — ـدِ لمشتكٍ وَقْدًا ووَهَجَا
كإداوةٍ[٤] أُكَريّةٍ[٥] — مملوءةٍ ماءً وثلجا
رَتْقاءَ[٦] لم يَسلُك بها — غَرْزُ الأشافي[٧] قطُّ نَهْجَا[٨]
تزهو بلونَيْ خُضرةٍ — هذا انتهى وأخوه لَجّا
كزمرّدٍ وزبرجدٍ — رصّعن للكافور دُرْجَا[٩]
أو وجهِ ذي خجلٍ تَبَرقعَ[١٠] بالمصبّغ أو تَسجّى[١١]

وقال آخَر: [من الطويل]

ومال إلى بِطيخةٍ ثمّ شقّها — وفرّقها ما بين كلّ صديقِ
صفائح بَلُّورٍ بدت في زبرجدٍ — مرصّعة فيها فصوصُ عَقيقِ[١٢]

---

(١) صيّب المزن: المطر الشديد.
(٢) الحقّة: الوعاء الصغير.
(٣) ضبّبت: شدّت به.
(٤) الإداوة: الوعاء من الجلد يحتفظ فيه بالماء.
(٥) أكرية: إما أن تكون مأخوذة من الأكّار، وهو الفلاح والحراث، وأما أنها تفيد كروية الشكل.
(٦) رتقاء: ملتحمة الجوانب والأجزاء.
(٧) الأشافي: الإبر الكبيرة.
(٨) نهجًا: خطًّا.
(٩) الدرج: ما يدرج ويضمّ، ويطوى.
(١٠) تبرقع: لبس البرقع، وهو غطاء الوجه.
(١١) تسجّى: تخفّى واحتمى وراء البرقع.
(١٢) العقيق: خرز أحمر، ومن الأحجار الكريمة.

ومنه ما قيل في الأصفر ـ قال أبو طالب المأمونيّ: [من الطويل]

وبِطّيخةٍ مِسكيَّةٍ[١] عسليّةٍ[٢] لها ثوبُ دِيباجٍ[٣] وعَرْفُ مُدامِ[٤]

محقَّقةٍ مِلءِ الأكفِّ كأنّها من الجَزْعِ[٥] كُبْرَى لم تُرَضْ بنظامِ[٦]

لها حُلّةٌ من جُلَّنارٍ[٧] وسَوْسَنٍ[٨] معمَّدةٌ بالآسِ[٩] غِبَّ غمامِ[١٠]

تَمازَجَ فيها لونُ حِبٍّ وعاشقٍ كساه الهوى والبينُ لونَ سَقامِ

وأبدَى لنا التحزيزُ تخضيبَ كاعبٍ[١١] غلاميّةٍ ذاتِ اعتدالِ قوامِ

إذا فُصِّلَتْ للأكل كانت أهلّةً وإن لم تُفصَّلْ فهي بدرُ تَمامِ

وقال آخَر: [من المتقارب]

أتانا الغلامُ ببِطّيخةٍ وسكّينةٍ جمَّلوها صِقَالَا

فَقطَّع بالبرق شمسَ الضُّحَى وناوَلَ كلَّ هلالٍ هلالَا

---

(١) مسكيّة: منسوبة إلى المسك، وطعمها طعم المسك، أو لها لونه.
(٢) عسلية: منسوبة إلى العسل، أو لها طعم العسل أو لونه.
(٣) الديباج: ضرب من الوشي أو الثياب لحمته وسداه من الحرير.
(٤) عرف مدام: رائحة خمرة.
(٥) الجزع: حجر كريم يتّخذ منه حبّ وخرز يسلك في العقود.
(٦) نظام: سلك.
(٧) الجلّنار: ضرب من الزهر، وهو أيضًا زهر الرمّان.
(٨) السوسن: جنس زهر مشهور من فصيلة السوسنيّات، أزهاره كبيرة ولامعة اللون.
(٩) الآس: شجر دائم الخضرة، بيضيّ الورق، أبيض الزهر أوورديّه، ثماره عطرية تستخدم تابلًا في الطعام.
(١٠) غبّ غمام: عقب غمام.
(١١) الكاعب: التي نهد ثدياها من النساء.

وقال آخَر: [من الكامل]

خلناه لـمّا حَزَّز البِطّيخ في ... أطباقِه بصَقيلةِ الصَّفَحاتِ

بدرًا يَقُدّ[(١)] من الشموس أهلّةً ... بالبرق بين الشُّهْبِ في هالاتِ[(٢)]

وقال قاضي القضاة نجمُ الدّين بنُ البارزيّ: [من الطويل]

يقطّع بالسّكّين بِطّيخةً ضُحًى ... على طبقٍ في مجلسٍ لان صاحبُه

كشمسٍ ببرقٍ قَدَّ بدرًا أهلّةً ... لدى هالةٍ في الأفق شتّى كواكبُه[(٣)]

وقد تقدّم إيرادُهما في تشبيهِ سبعةِ أشياءَ بسبعةِ أشياء.

وقال أبو هلال العسكريّ: [من الوافر]

وجامعةٍ لأصناف المعاني ... صَلَحْنَ لوقتِ إكثارٍ وقِلّهْ

فإحداهنّ تَبْرُز في عَباءٍ[(٤)] ... وأخراهنّ في حِبَرٍ وحُلّهْ[(٥)]

ومنها ما تشبّهه بدورًا ... فإن قطّعتَها رجعتْ أهلّهْ

وقال أيضًا: [من الهزج]

ولونٍ واحدٍ يُلْقَى ... فيأتينا بألوانِ

بسُمرانٍ وسُودانٍ ... وحُمْرانٍ وصُفْرانِ

كوشْيٍ[(٦)] في يدَيْ واشٍ ... وشُهْدٍ[(٧)] في يدَيْ جانِي[(٨)]

فمِن أُدْمٍ[(٩)] ومِن بَقْلٍ[(١٠)] ... ورَيْحانٍ وأُشْنانٍ[(١١)]

---

(١) يقدّ: يقطع وينشيء.

(٢) هالات: جمع هالة، وهي دارة القمر، أو الدائرة من الضوء تحيط بأحد أجرام السماء.

(٣) شتى كواكبه: متفرقة ومختلفة.

(٤) العباء، والعباءة: كساء مشقوق واسع، يلبس أو تلبس فوق الثياب.

(٥) الحبر: جمع حبرة، وهي الثوب من القطن أو الكتان المخطّط. والحلّة: الثوب الجديد.

(٦) الوشي: نقش الثوب أو الكساء.

(٧) الشهد: عسل النحل ما دام لم يعصر من شمعه.

(٨) جاني الشهد: قاطفه وعاصره. (٩) الأدم: جمع إدام، وهو ما يؤكل مع الخبز.

(١٠) البقل: نبات عشبي يغتذى به الإنسان، كالفجل والجرجير وغيرهما.

(١١) الأشنان: شجر ينبت في الأرض الرملية، يستعمل في غسل الثياب والجسم وغير ذلك.

وقال آخَر: [من السّريع]

بِطّيخةٌ تعطيك مِن لونها حظّين من ريحٍ ومن طَعمِ
كأنّها في ذوقها شَهدةٌ أو جُونةُ[١] العطّار في الشَّمِّ

وقال أبو الفتح كُشاجِم: [من الرجز]

وزائرٍ زار وقد تعطّرا أَسَرّ شُهدًا وأذاع عَنبرا[٢]
وأودعتْ منه اللّهاةُ[٣] سكّرا يَنْفِث في الأنوف مِسكًا أذفرا[٤]
ملتحفًا للحَرّ ثوبًا أصفرا معمَّدًا من الحرير أخضرا
يظنّه الناظرُ إن تَصوَّرا دَبَّ الدَّبى[٥] بمتنِه فأثَّرا

وقال أيضًا فيه: [من السريع]

يا جانيَ البِطّيخِ مِن غَرْسِه جَنيتَ منه ثمرَ الحمدِ
لم يأتنا حتّى أتتنا له روائحٌ أذكَى من النَّدِّ[٦]
بظاهرٍ أخشنَ من قُنفُذٍ[٧] وباطنٍ أنعمَ من زُبْدِ[٨]
كأنّما تكشِف منه المُدَى[٩] عن زعفرانٍ شيبَ[١٠] بالشُّهْدِ

ومنه ما قيل في الدَّسْتَنْبُويه ـ فمن ذلك ما قاله مؤيّد الدّين الطُّغْرائيّ[١١]: [من السريع]

كُراتُ دَسْتَنْبُويَةٍ نُضّدَتْ مختلفاتُ الشُّكلِ والمَنْظَرِ
فمستديرُ الشّكلِ ذو سُمرة كأنّه جُمْجُمةُ العنبرِ

---

(١) الجونة: سلة صغيرة مستديرة مغشّاة بالجلد يحفظ العطّار فيها الطّيب.
(٢) العنبر: مادة صلبة لا طعم لها ولا ريح إلّا إذا سحقت أو أحرقت.
(٣) اللهاة: اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم.
(٤) أذفر: شديد الرائحة. (٥) الدّبى: الجراد قبل أن يطير.
(٦) النّدّ: ضرب من النبات يتبخّر بعوده.
(٧) القنفذ: دويبة من الثدييات ذات شوك حاد يلتفّ فيصير كالكرة.
(٨) الزّبد: ما يستخرج من اللبن بالمخض.
(٩) المدى: جمع مدية، وهي الآلة الجارحة، والسكّين.
(١٠) شيب: خلط.
(١١) شاعر من الوزراء، من أصبهان، ولي الوزارة للسلطان مسعود السلجوقي، مات غيلةً سنة ١١٢٠ م، وهو صاحب اللامية المعروفة.

ولابِسٌ لِلنّورِ ذو نُمْرةٍ[١] والحُسنُ كلُّ الحُسْنِ في الأنمَرِ
وعسجديُّ[٢] اللّونِ ذو صفرةٍ ضُمَّ إلى تِرْبٍ[٣] له أحمرِ
كأنّه المِرِّيخُ[٤] في لونِهِ قارنه في برجِه المشتري[٥]

وقال آخَر: [من مجزوء الرجز]

يا حبّذا تحيّةٌ رحتُ بها مسرورا
مَخزَنةٌ[٦] من ذهبٍ قد مُلئت كافورا

وقال السريّ[٧]: [من مجزوء الكامل]

وأغنَّ[٨] كالرَّشأ[٩] الرَّبيـ ـب[١٠] نشا خلالَ الرَّبْرَبِ[١١]
في خدِّه وَردٌ حَما ه من القِطاف بعقربِ
حيَّا بدَسْتَنبويةٍ مِثلِ السّنانِ المُذْهَبِ

وقال فيها: [من الكامل]

صفراءُ ما عَنّتْ[١٢] لعينيْ ناظرٍ إلّا توهّمها سِنانًا مُذْهَبا

وأمّا القِثّاءُ والخِيارُ وما قيل فيهما ـ فقد قال الشيخ الرئيس: طبعُ القِثّاء باردٌ رَطْبٌ في الثانية، وهو يسكِّن الحرارَة والصَّفراء، ولكنّ كَيْمُوسَه رديءٌ مستعدٌّ للعفونة، ومهيِّجٌ لحُمّيَّاتٍ صعبة، وبِزرُه خيرٌ من بِزرِ الخِيار، قال: وإذا وُضِع ورقُه مع العسل على الشَّرَى البَلْغَمي نفع منه، وإذا شمَّه صاحبُ الغشيِّ[١٣] الحارُّ انتفع به وانتَعَش،

(١) النمرة: اختلاف الألوان، كأن تكون بقعة بيضاء، والأخرى من أي لون كان.
(٢) عسجدي: منسوب إلى العسجد، أي الذهب.
(٣) الترب: المماثل والنظير والشبيه.
(٤) المريخ: كوكب من الكواكب السيارة، لونه يميل إلى الحمرة.
(٥) المشتري: من الكواكب السيّارة المشهورة وأكبرها حجمًا.
(٦) مخزنة: مكان الخزن.
(٧) السري: هو السرّي الرقاء، شاعر من الموصل، مدح سيف الدولة الحمداني، ثم انتقل إلى بغداد فتكسب بمدحه. شعره عذب اللفظ، برع في الوصف والتشبيه، مات سنة ٩٧٦ م.
(٨) الأغنّ: فيه غنّة، وهي البحّة في الصوت.
(٩) الرشأ: الظبي.
(١٠) الربيب: الضرير.
(١١) الربرب: قطيع الظباء.
(١٢) عنّت: بانت وظهرت.
(١٣) الغشي، والغشيان: واحد، وهو اضطراب النفس حتى الغيبوبة.

وهو مسكّنٌ للعطش، جيّدٌ للمعدة، وفيه إدرارٌ وتليين، وينفع من أوجاع المذاكير[١]، وهو يوافق المَثانة، قال: وورقُه ينفع من عضّة الكلبِ الكَلِب.

وأمّا ما جاء في وصفِهما وتشبيهِهما من الشّعر ـ فمن ذلك ما قيل في القِثّاء، قال عبد الرّحيم بنُ رافع القَيْروانيّ: [من مجزوء الكامل]

أحْببْ بقِثّاءٍ أتا ... نا فوق أطباقٍ منضّدْ
كمَضارِبٍ[٢] قد حُدِّدتْ ... أجرامُهنّ[٣] من الزَّبَرْجَدْ
نعم الدّواءُ إذا الهوا ... ءُ من الهواجر[٤] قد توقّدْ

وقال السَّريُّ الرّفّاء: [من المتقارب]

وعَقْفاءَ مِثلِ هلال السماء ... ولكنّها لبِستْ سندسا[٥]
عراقيّة لم يَذُبْ جسمُها ... هُزالًا ولم تَجْسُ[٦] فيما جَسَا
زبرجدة حَسُنتْ مَنْظَرا ... وكافورة بَرُدَتْ مَلْمَسا
على رأسها زهرةٌ غَضّةٌ ... كنجم الظلام إذا عَسْعَسَا[٧]
حبانا بها مَغْرِسٌ طيّبٌ ... من الأرض أكرِمْ به مَغْرِسا
لها أخواتٌ لطافُ القُدود ... إذا ما تَبرّجنَ خُضرُ الكُسَا
محجّبةٌ عن شموس النهار ... وبارزةٌ لنسيم المَسا
تُقوَّسُ في حين ميلادها ... ولَمْ أرَ ذا صِغرٍ قُوِّسا
يطول اللّسانُ بإطرائها[٨] ... ويُصبِح عن ذمّها أخرسا

وقال أبو بكر الخُوارَزْميّ[٩]: [من الرجز]

يا رُبّ قِثّاءٍ قريبِ المَوردِ ... دُرِّ الحَشا زُمرّدِ المجرَّدِ

---

(١) المذاكير: كناية عن متاع الرجل.
(٢) مضارب: جمع مضرب، وهو صفة للسيف يضرب به.
(٣) أجرامهنّ: جشومهنّ.
(٤) الهواجر: جمع هاجرة، وهي شدّة الحرّ عند الظهيرة.
(٥) السندس: ضرب من رقيق الديباج. (٦) تجس: تصلب.
(٧) عسعس: خيّم واشتدّ سواده. (٨) إطرائها: مدحها، والثناء عليها.
(٩) هو أبو بكر الخوارزمي، الكاتب والعالم والشاعر واللغوي، ولد في خوارزم، واستقرّ في نيسابور، من أشهر مؤلّفاته «الرسائل»، وله ديوان شعر مشهور، مات سنة ٩٩٣ م.

شَخْتُ[١] الرُّؤوسِ أصوَرٍ[٢] المقلَّدِ مِثلِ ذُنابَى[٣] ريشِ ديكٍ أعقَدِ
قد التوى فوق الثَّرَى الرَّطْبِ النَّدِي كما يلوذ أسوَدٌ[٤] بأسوَدِ
ذي زَغَبٍ وفيه لِينُ الأجردِ كالخدّ بين الملتحِي والأمْرَدِ[٥]
كأنّه في اللّونِ والتأوُّدِ[٦] صوالجٌ[٧] رُكّبنَ من زبرجدِ
يكاد للّين وللتقصّدِ[٨] تجنيه ألحاظُ الفتى قبل اليد
لمّا حصدناه قريبَ المَحْصِدِ هَشًّا[٩] وجدنا منه ما لم يوجدِ
ماءً كطَعْمِ السُّكّرِ الطَّبَرْزَدِ[١٠] وذَوْبَ شُهْدٍ سائلًا في جَمَدِ

وقال شاعر في الخِيار: [من الكامل]

أُنظرْ إلى عَرْفِ الخِيارِ ولونِهِ كروائح الرَّيحان للمخمورِ
فكأنّ ظاهرَه زَبَرْجَدُ أخضرٌ وكأنّ باطنَه من البَلُّورِ

وقال آخر: [من الوافر]

خيارٌ حين تنسِبُه خِيارُ ورَيحانُ السرور به ٱخضرارُ
كأنّ نسميَه أنفاسُ حِبٍّ[١١] فليس لمُغرَمٍ عنه اصطبارُ

وقال أبو هلال العسكريّ: [من الطويل]

زبرجدةٌ فيها قُراضةُ[١٢] فضّةٍ فإن رَجعتْ تِبْرًا فقد خَسَّ أمرُها
تُلِمُّ بنا طَورين في كلّ حِجّةٍ فيَكثُرُ فينا خيرُها ثمّ شرُّها
فعند المَصِيف ليس يُفقَد نفعُها وعند الخريف ليس يُعْدَم ضَرُّها

وأمّا القرع وما قيل فيه ـ فقال الشيخ الرئيس: القرعُ باردٌ رَطْبٌ في الثانية، والمسلوقُ منه يغذو غِذاءً يسيرًا، وهو سريعُ الانحدار، وإن لم يفسُد قَبْل الهضمِ

(١) شخت: ضعيف، هزيل.
(٢) أصور: مائل.
(٣) الذنابى: الذنب.
(٤) الأسود: الحيّة.
(٥) الأمرد: خلاف الملتحي، من لا لحية له.
(٦) التأوّد: التثنّي والتمايل.
(٧) صوالج: جمع صولجان، وهو عصا معقوف يضرب الفارس بها الكرة. والصولجان: عصا الملك، وهي ترمز لسلطانه.
(٨) التقصّد: الانكسار، والتلوّي.
(٩) هشًّا: ليّنًا، سريع الانكسار.
(١٠) الطبرزد: ضرب من الشراب يدخل فيه العسل.
(١١) الحبّ، بكسر الحاء: المحبّ العاشق.
(١٢) قراضة: ما يتفتت من الفضة عند صوغها.

بسببٍ لم يتولّد منه خِلْطٌ رديء، ويَفسُد في المعدة بمخالطة خِلْطٍ رديء أو إبطاءِ مُقام كسائر الفواكه، والخِلْط الّذي يتولّد منه تَفِهٌ إلّا أن يَغلِبَ عليه شيءٌ يخالطه؛ وإن خُلِطَ بالسّفرجل كان خِلْطُه محمودًا للصّفراويّين[١]؛ وكذلك ماءُ الحِصْرِم وماءُ الرُّمّان، لكن ضررُه بالقُولُون[٢] يتضاعف، قال: ومن خاصّيّته أنّه يتولّد منه غِذاءٌ مجانِسٌ لما يَصحَبه، فإذا أُكِل بالخردلِ[٣] تَولَّد منه خِلْط حرّيف[٤]، أو بالملح تولَّد منه خِلْطٌ مالح، أو مع القابض تَولَّدَ منه خِلْطٌ قابض، وهو بالجملة ضارٌّ لأصحاب السّوداء والبَلْغَم، جيّدٌ للصّفراويّين، قال: والمُرَبَّى منه لا يَدخُل في الأدوية، ولا يؤثّر شيئًا من تَبريدٍ ولا تسخين، ولكن يُستعمَل للذّة، وعُصارتُه تسكّن وجعَ الأُذُن الحارّ، وخصوصًا مع دُهن الوَرد، وينفع الأورامَ الدّماغيّةَ والسِّرْسام، وهو نافع لوجع الحَلْق، قال: وسَويقُ القرعِ[٥] مانعٌ من السُّعال ووجعِ الصّدر الكائنَين من حرارة، وطبيخُه ينفع من الفُضول الحَارّةِ في المعدة ويُزلِقها، وكذلك شرابٌ صُبَّ في تجويفِه ثمّ استُعمِل، ويُسْعَط[٦] بعُصارتِه لوجع الأسنان، وهو ممّا يُولّد بِلّةَ المعدة جدًّا، ويقطع العطش، والنيّءُ منه ضارٌّ بالمعدة جدًّا حتّى للصّبيان والفِتْيان، وإذا طُبِخ ماؤه بالعسل وجُعِل فيه نَطْرونٌ لَيَّن البطن، فهو ينفع من الحُمّيات، ولم أقفْ على شيءٍ من الشِّعر فأُورِدَه.

وأما الباذِنجان وما قيل فيه ـ فقد قال ابنُ وحشيّةَ في كتاب (أسرار القمر) في توليده: وإن أردتم الباذنجانَ فخذوا خُصيتَي التَّيْسِ[٧] وعروقًا من عروق الباذنجان فألقُوها على الخُصيتين بعد أن تجعلوا الخُصيتين في الأرض، وخذوا إحدى كُلْيتيه واجعلوها فوق العروق، واطمِروا ذلك في الأرض، فإنّه بعد أربعةِ أسابيعَ تَنْبُت منه شجرةُ الباذِنجان، فإذا نبتتْ فحوِّلوها إلى موضعٍ آخَر فإنّها تنمو، هذا ما قيل في توليده، والله أعلم بالصّواب.

---

(١) الصفراويين: أصحاب الطبيعة الصفراوية، ويقال لها الصفراء.
(٢) القولون: أحد الأمعاء، وهو المعى الغليظ.
(٣) الخردل: نبات عشبي من فصيلة الصليبيات، بذوره تستعمل في الطّب، ومنها بزور يتبّل بها الطعام.
(٤) حرّيف: لاذع.
(٥) سويق القرع: شراب يتّخذ من القرع، البقل المعروف.
(٦) يسعط: تتخذ عصارته سعاطًا وسعوطًا، أي نشوقًا يتنشق به من الأنف.
(٧) التيس: الذكر من المعز أو الظباء أو الوعول إذا أتى عليه حول. وخصيتاه: بيضتاه من أعضاء التناسل.

وقال الشيخ الرئيس: إنّ العَتيقَ منه رديء، والحديثَ أسلم؛ كأنّه أراد بالعتيق: الّذي طال مُكثُه في الأرض، والحديث: الذي قَرُب عهدُه بالغِراسة. وقال في طبعه: الصحيحُ أنّ قوّتَه الغالبةَ عليه الحرارةُ واليُبوسة. ورَدّ بهذا القول على من زعم أنه بارد، وقال في أفعالِه وخواصّه: إنّه يولِّد السّوداء، ويولِّد السُّدُد[١]، وإنّه يُفْسِد اللّونَ ويصفِّرُه، ويسوّد البَشرة، ويورِث الكَلَف، ويولِّد السَّرَطاناتِ والصّلاباتِ والجُذام والصُّداع في الرأس، ويُنتِّن الفم، ويولِّد سُدُدَ الكبدِ والطِّحال، إلّا المطبوخَ منه بالخَلّ فإنّه ربّما فتّح سُدُدَ الكبد؛ قال: والباذِنجانُ يولِّد البواسير، لكنّ سحيقَ أقماعِه المجفَّفةِ في الظِّلّ طلاءٌ نافعٌ للبواسير، قال: وليس للباذِنجان نسبةٌ إلى عقلٍ[٢] أو إطلاق[٣]، ولكنّها إذا طُبِخَتْ في الدُّهن أطلَقتْ، أو في الخَلِّ حَبَستْ؛ هذا ما قاله الشيخ فيه.

وأمّا ما وُصِف به من الشِّعر ـ فقال بعض الشعراء يصف المدوَّرَ منه: [من المنسرح]

أهدتْ لنا الأرضُ من عجائبِها ... ما سوف يزهو بمثلِه وقتي

إذا أجاد الّذي يشبِّهه ... وأحكَمَ الوصفَ منه في النّعتِ

قال: كُراتُ الأديمِ[٤] قد حُشِيتْ ... بسمسمٍ قُمِّعت بكيمُخْتِ[٥]

وقال آخَر: [من الطويل]

وابذَنْجِ بستانٍ أنيقٍ رأيتُه ... على طبقٍ يَحْكِي لمقلة رامقٍ[٦]

قلوب ظباءٍ أُفرِدتْ عن جُسومِها ... على كلِّ قلبٍ منهُم كفُّ باشَقِ[٧]

وقال آخَر: [من الطويل]

ومستحسَنٍ عند الطّعامِ مدحرَجٍ ... غَذاهُ نَميرُ الماء[٨] في كلِّ بستانِ

تَطلَّعَ من أقماعِه فكأنّه ... قلوبُ نِعاجٍ في مَخالبِ عِقْبانِ[٩]

---

(١) السدد: بياض بؤبؤ العين، وانسداده. والسدد: الانحباس في أي عضو من أعضاء الجسد.
(٢) عقل: إمساك.
(٣) إطلاق: إسهال.
(٤) الأديم: الجلد.
(٥) لفظة فارسية، تفيد الجلد المدبوغ.
(٦) رامق: ناظر بإشفاق.
(٧) باشق: طائر من الطيور الجوارح.
(٨) غير الماء: أصفاه وأرقه.
(٩) عقبان: جمع عقاب، وهو طير جارح يشبه النسر.

وقال آخر: [من الكامل]

وكأنما الابذنج سودُ حمائم أوكارُها[١] روضُ الرّبيعِ المُبكِرِ
لَقطتْ مَناقرُها الزبرجدُ سمسمًا فاستودعته حواصلًا من عنبرِ

وأمّا ما قيل في السّلق ـ فقال أبو بكر بنُ وحشيّةَ في توليدِه: وإن أردتم السِّلْقَ فخذوا من ورق الخَسِّ وورقِ الخَطْمِيِّ فدُقّوهما حتى يختلطا، ولْيكونا رَطبين، ثمّ خذوا عروقًا من عروق التّيس فألبسوها ذلك المخلوط، ثمّ اطمِروها في الأرض، فإنّه يَخرُج من ذلك السِّلْق.

قال الشيخ الرّئيس: والسِّلْقُ صنفان: أسوَدُ لشدّةِ الخُضْرة، وهو المعروف، وأبيض؛ وطبعُه عند بعضهم حارٌّ يابسٌ في الأولى، وفي الحقيقة أنه مركّبُ القوّة، وعند بعضهم هو بارد، قال: ولا شكّ أنّ في أصله رطوبة، قال: وفيه بُورَقيّةٌ[٢] مُلطِّفة، وفيه تحليلٌ وتجفيفٌ وتليين، وفي الأسوَدِ قَبْض، وخاصّةً مع العَدَس، قال: وجميع السِّلْقِ رديءُ الكَيْموس، وجميعُه قليلُ العذاءِ كسائرِ البُقول، وعُصارتُه وطبيخُ ورقِه ينفعان من شُقاق البَرْد، ومن داء الثُّعْلب، ومن الكَلَف إذا استُعْمِل ورقُه ضِمادًا بعد غَسل الموضع بنَطْرون، ويَقلَع الثّآليل، وعَصيرُه يقتل القَمْل، وتُضمَد[٣] به الأورامُ مسلوقًا فيحلّلُها ويُنْضِجُها، وينفع من التُّوثِ[٤] ضِمادًا يحلّلها، وورقُه جيّدٌ مطبوخًا لحَرْق النّار، وينفع من القَوابي[٥] طِلاءً بالعسل، ويُسعَط ماؤه مع مرارة الكُركيّ[٦] فيُذهِب اللَّقوة[٧]، وينفع من قُروح الأنف، وماؤه فاترًا يُقطَر في الأُذُن فيسكِّن الوجع، ويُغسَل بمائه الرأسُ فيُذهِب النُّخالة، وأصلُه رديءٌ للمعدة، مُغْثٍ[٨]، وأكثرُ ذلك لبُورقيّته، قال: وتفتيحُه لسُدُدِ الكبدِ أشدُّ من تفتيح المُلُوخيا[٩]، خاصّةً مع الخردل والخَلّ، وكذلك الطِّحال، ويجب أن يؤكل بالمُرِّيّ والتّوابل، قال: وجميعُه

---

(١) أوكارها: بيوتها وأعشاشها.
(٢) بورقية: شيء من البورق، المادة المعروفة تشبه الملح.
(٣) تضمّد: يتّخذ منها ضمادًا.
(٤) التوت: القروح والبثور في البشرة والوجه خاصةً.
(٥) القوابي: جمع قوبياء، المرض المعروف، وهو تقشّر الجلد وانجراده من الشعر.
(٦) الكركي: طائر كبير أغبر اللون طويل العنق والرجلين أبتر الذنب، يأوي إلى الماء أحيانًا.
(٧) اللقوة: داء يعرض للوجه يعوجّ منه الشّدق.
(٨) مغث: يبعث على الغثيان، وهو اضطراب النفس وميلها إلى التقيؤ.
(٩) الملوخيا: ضرب من البقول تشتهر به مصر خاصة، ويؤكل مسلوقًا مطبوخًا.

يولِّد النَّفخَ والقَراقر[١] ويُمْغِص، وهو جيّدٌ للقُولَنْج[٢] إذا أُخذ بالتّوابل والمُرِّيّ. ولم أقف على شيءٍ من الشّعر فيه فأُورِدَه.

وأمّا القُنَّبيط والكُرُنْب[٣] ـ فقال ابنُ وحشيّة: وإن أردتم توليدَ القُنَّبيطِ فخذوا منه رأسًا بعد موته، فاغمِسوه في عَكِرِ الخَلّ غمستين بينهما ساعة، ثمّ اتركوه في الأرض، ودُقّوا كفًّا من جُبْنٍ عتيق، واجعلوه فوقه، واطمِروه بالتراب، فإنّه بعد أربعةِ أسابيعَ يخرج القُنَّبيط. ومن خصائص هذا النبات أنّه إذا وقع عليه خلُّ العنب قبل طبخِه لم يَنْضَج، وكذلك إذا سُلِق وعُمِل عليه الخلّ فإنّه يصلُب، ومتى زُرِع تحت كَرْم فسد الكَرْم، ويقال: إنّ بِزره إذا قَدُم على أربع سنينَ وزُرِع بعد ذلك تحوَّل سَلْجَما[٤]، فإن زُرِعَ ذلك السَّلْجَمُ تَحوّل كُرُنْبا.

وقال في توليد الكُرُنْب: وإن أردتم الكُرُنْبَ فخذوا أظلاف[٥] التّيس الأربعة فانقَعوها في السّمن ثلاثًا، ثم اجعلوها في الأرض، وغطّوها بشعر لحية التّيس ثمّ اطمروا ذلك في رمل، واطرحوا فوقه التراب، فإنه ينبت منه الكُرُنْب.

وقال الشيخ الرئيس في طبع الكُرُنْب: الأصلُ أرطَبُ من الورق، والبَرّيُّ أسخنُ وأيبس، وجملتُه حارٌّ في الأولى، يابسٌ في الثانية، قال: والكُرُنْب منه بستانيّ «ومنه بحريّ»، ومنه بَرّي، ومنه كُرُنْبُ الماء، والبَرّيُّ أَمَرُّ وأَحَدُّ وأبعدُ من أن يكون غذاء، وطبيخُ أصلِ الكُرُنْبِ بماء الرُّمّان طَيّب، والقُنَّبيطُ غليظُ الغِذاء، مغلِّظٌ للدّم إذا لم يَنحَلَّ رَسَخَ إلى نواحي الثُّنْدُؤَةِ[٦] والجَنبِ وأَوْجَعَ، ولا يكون منتقِلًا كالرّيحيّ، قال: وأمّا أفعالُه وخواصُّه، فهو مُنضِجٌ مليِّنٌ مُجفِّف، خصوصًا إذا طُبِخَ وصُبّ عنه الماءُ الأوّل، ورَمادُ قُضبانِه قويُّ التجفيف، وله خاصّيّةٌ في تسكين الأوجاع، وغِذاؤه يسير، ودمُه رديء، وإذا طُبِخَ بلحم سمينٍ أو دجاج جاد قليلًا؛ قال: والبَرّيُّ والبحريُّ والبستانيُّ يُنضِج الفَلْغَمونيات[٧]، وهو يَدْمُل[٨]، ويَمنع سعيَ الخبيثة ويُجعَل ببياض البَيض على الحَرْق؛ قال: وهو ينفع من الرِّعْشة، ومع الحُلْبة قد يُجعَل على النِّقْرِس، قال: وطبيخُه وبِزرُه يبطىء بالسُّكر، وإذا استُعِطَتْ عُصارتُه نقَّى الرَّأس، ومن خواصّه تجفيفُ اللّسان، وهو منوِّم، وهو مظلِمٌ للبصر مع أنّه يقع في الأكحال، قال:

(١) القراقر: الأصوات التي تحدث في الأمعاء نتيجة لفساد الهضم.
(٢) القولنج: انسداد الريح في الأمعاء، وعدم خروج البراز منها.
(٣) الكرنب: الملفوف.
(٤) السلجم: اللفت.
(٥) أظلاف التيس: أظفاره.
(٦) الثندؤة: هي للرجل بمنزلة الثدي من المرأة.
(٧) الفلغمونيات: الأورام.
(٨) يدمل: يشفي ويبرىء.

ويُتغرغَرُ[١] بعصيرِه أو طبيخِه مع دُهن الخَلّ من الخَوانق[٢]، وأكلُه يصفِّي الصّوت، وهو رديءٌ للمعدة، وعَصيرُه بالنّبيذ نافعٌ من الطِّحال واليَرَقان[٣]، وبَيضُه بطيءُ الهضم، وهو يُدِرُّ البولَ والطَّمْث[٤]: «وإذا احتُمِل هو أو عُصارتُه مع دقيق الشَّيْلم»[٥] أو زَهْرُه قَتَل الجنين، وإذا احتُمِل بزرُه بعد الجماع[٦] أفسَد المنيّ، قال: ورَمادُ أصلِه يفتّت الحَصاة، وعُصارتُه مع الشَّراب للنُّهوش[٧]، وهو نافعٌ من عضّة الكَلْب الكَلِب.

ولم أقف على شعرٍ فيهما فأذكره، والله الموفّق.

وأمّا السَّلْجَم - وهو اللِّفت - فقال ابنُ وحشيّةَ في توليده: وإن أردتم السَّلْجَم فخذوا عِرقَ الشّوك المعقَّدِ فحُزّوا من عُقَدِه ثلاثًا كبارًا، ثم خذوا رأسَ عَنْزٍ بعد موتها فأدْخِلُوا الثلاثَ عُقَدٍ فيه، ثمّ اطمِروه في الأرض، واجعلوا فوقه كَيْلَة من الماء، فإنّه بعد أربعين يومًا ينبت الورق ظاهرًا، ويعمل الأصل بعد ذلك وأكثِروا من سقيه الماءَ فإنّه يَنْمِي...

وقال شاعرٌ يصفه: [من السريع]

كـأنّـمـا الـسَّـلْـجَـمُ لـمّـا بـدا ... في حسنهِ الرائقِ من غيرِ مَيْن[٨]
قـطـائـعُ الـكـافـورُ مـلـمـومـةً ... لمبصريها أو كُراتُ اللُّجَيْن[٩]

وقال آخَر: [من السريع]

يـا حبّـذا الـسَّـلْجَـم مـن مـأكـلٍ ... بـنـفـعِـه فـاق جـمـيـعَ الـبُـقـول
كـم فـيـه مـن مـنـفـعـةٍ جَـمّـةٍ ... إحصاؤها من غيـر مَيْنٍ يطول

وأمّا ما قيل في الفُجْل - فقال ابنُ وحشيّةَ في توليده: وإن أردتم الفُجْل فخذوا من قرون المَعْز قرنين فانقعوهما في بول النّاس سبعةَ أيّام، ثم اغرِسوهما في الأرض،

(١) يتغرغر: أي يجعل عصيره في الحلق ويردّ عدة مرات.
(٢) الخوانق: كل ما يبعث على الخناق وضيق النفس.
(٣) اليرقان: حالة مرضية تمنع الصفراء من بلوغ المعى بسهولة، فتختلط بالدم فتصفرّ بذلك الأنسجة.
(٤) الطمث: دم الحيض.
(٥) الشيلم: حبّ أسود يخالط الحنطة فيكسبها رداءة.
(٦) الجماع: إتيان المرأة وغشيانها.
(٧) النهوش: أي لسع الهوام والدوابّ على اختلافها، وعضّها.
(٨) مين: كذب.
(٩) اللجين: الفضّة.

وذُرّوا عليهما شيئًا يسيرًا من حِلْتِيت[١]، واسقوهما ماءَ المطر يومًا بعد يوم، فإنّ ذلك يُنبِت لكم الفُجْل بعد أحد وعشرين يومًا.

وقال الشيخ الرئيس: أقوى ما في الفُجْل بِزرُه، ثمّ قِشْرُه، ثمّ ورقُه، ثمّ لحمُه، ودُهنُه في قوّة دُهْن الخِرْوَع، إلّا أنه أشدُّ حرارةً منه. وقال في طبعه: الرَّطْبُ منه حارٌّ في الأُولى، وبِزرُه حارٌّ في الثالثة، وهو يولّد الرّياح، لكنّ بِزْرَه يحلّلها، وفيه تلطيف، وغِذاؤه بَلغميّ، وهو قليلٌ مع ذلك، وفيه جوهرٌ سريعٌ إلى التعفُّن؛ قال: وإن خُلِط معه دقيقُ الشَّيْلَم أنبت الشعرَ في داء الثعلب[٢]؛ وإذا ضُمِد به مع عسلٍ قلعَ الآثارَ العارضةَ تحت العين والقروحَ الخبيثةَ واللَّبَنيّة، وبِزرُه مع الخَلّ يَقلَع قَرْحة غَنْغرانًا قلعًا تامًّا، وكذلك على القُوباء، وبِزرُه ينفع من النَّمْش الكائِن في الأعضاء وسائرِ الألوان الغريبة وآثارِ الضّرب والكَلَف، وهو مع الكُنْدُس[٣] بخَلٍّ طِلاءٌ يُذهِب البَهَق الأسود، وخصوصًا في الحمّام، وهو يُكثِر القملَ في الجسد، قال: وبِزرُه يدفع الضَّربانَ[٤] الّذي في المفاصل، وهو جيّدٌ لوجع المفاصل جدًّا، وهو يضرّ الرأس والأسنانَ والحَنَك، وعُصارتُه ودُهنُه نافعان من الرّيح في الأُذُن جدًّا، وهو ضارٌّ بالعين؛ إلّا أنّه يجلو إذا قُطِر ماؤه فيها، ويُذهِب الآثارَ الّتي تحت المأق[٥]، وقال ابن ماسَوَيه[٦]: إنّ ورقَه يُحِدّ[٧] البصر، قال: والمطبوخُ منه صالحٌ للسُّعال العتيقِ والكَيْمُوس الغليظِ المتولِّد في الصَّدر، قال: وإن طُبِخ بسِكَنْجَبِين[٨] وتُغُرْغِر به نَفَع من الخُنَاق[٩]، وفيه مع ذلك مَضَرّةٌ بالحَلْق، قال: وهو رديءٌ للمعدة مُجَشِّيء[١٠]، وبعد الطعام مليّنٌ للبطنِ، مُنفِذٌ للغِذاء، وقبل الطعام يُطْفي الطّعامَ ولا يدَعُه يستقرّ، وهو يسهِّل القَيْء، وخصوصًا قِشرَه بالسَّكَنْجَبين، ويوافق الجَنْبَ والطِّحالَ ضِمادًا، وبِزرُه بالخلّ يقيّء

---

(١) الحلتيت: ضرب من الصموغ تستخدم في الطب والطعام.

(٢) داء الثعلب: داء يصيب الجلد فينزع عنه الشعر.

(٣) الكندس: ضرب من النبت، تستخدم عروقه في الطب.

(٤) الضربان: الارتجاف. (٥) المائق: أي المؤق، العيون.

(٦) ابن ماسويه: هو يوحنا بن ماسويه، الطبيب السرياني الذي خدم الرشيد ومن جاء بعده من الخلفاء حتى المتوكّل. أوكل إليه الخلفاء العباسيون ترجمة الكتب الطبية، ومن أشهر مؤلفاته «النوادر الطبية» و«الأزمنة» و«الحمية». مات سنة ٨٥٧ م.

(٧) يحدّ: يجلي ويقوّي، أي يجعله حديدًا بصيرًا.

(٨) سكنجبين: ضرب من شراب العسل والخل.

(٩) الخناق: ضيق النفس.

(١٠) مجشّيء: يبعث على التجشؤ، أي الميل إلى الهياج واضطراب النفس.

جدًّا، ويحلِّل ورمَ الطِّحال، قال ابنُ ماسَوَيه: وإن أُكل بعد الطعام هَضَم، وخاصّة ورقه، وماءُ ورقِه يفتّح سُدُدَ الكبد، ويزيد اليَرَقان، وقال بعضُهم: ورقُه يَهضِم، وبِزرُه وجِرمُه محلِّلان للنَّفْخ في البطن، ويسهِّلان خروجَ الطّعام، ويشهِّيان، ويُذهِبان وجعَ الكبد، وماؤه جيّدٌ للاستسقاء[1]، قال: وهو ينفع من نَهْشِ الأفاعي، وبالشراب من لسعِ العقرب، وبِزرُه ينفع من السُّموم والهَوامّ[2]، وإن وُضِعَت شَدْخَةٌ[3] منه على العقرب ماتت، وجُرّب ماؤه في ذلك فكان أقوى، وإن لَدَغت العقربُ من أكل فُجلًا لم تضرَّه، هذا ما ورد من منافِعه ومضارِّه.

وقال بعضُ الشعراء صفه: [من السريع]

احببْ بفُجْلٍ قد أتتني به ... عند مَسائي ذاتُ أوقارِ[4]

كأنّه في يدِها إذ بدا ... مقشَّرًا في وقت إفطاري

قُضبانُ بَلُّورٍ وإلّا فما ... يَجمُد من قَطْرِ النّدى الجاري

وقال آخَر: [من السريع]

احببْ بفُجْلٍ قد أتانا به ... طبّاخُنا من بعد تقشيرِ

منضَّدٍ في طبقٍ خلتُه ... من حسنِه قُضبانَ بَلُّورِ

وأمّا الجَزَر وما قيل فيه ـ فقال ابنُ وحشيّة في توليده: إن أخذتم نابَي الخِنزير فدهنتموهما بالزّيت، وجعلتم في كلّ جانبٍ من جانبي النابَين الحادَّين بَعرةَ جمل، وطَمَرتموهما في الأرض خرج عن ذلك الجَزَرُ الحلوُ الجيّد، وإن طَمَرتُم قرنين من كبشين من كلّ واحدٍ قرنًا مدهونًا بالزّيت خرج من ذلك الجَزَر. وقال أيضًا: وإن أردتم الجَزَر فخذوا أصلَ السَّلْجَم فشقوه نصفين، واجعلوا في جوفِه من البصل في كلّ رأسٍ بصلتين، واحدة في أعلاه، وأخرى في أسفله، ولْيكونا أصلين، ثم ادهنُوهُما بالزّيت، واطمِرُوهما بالتراب، فإنّ ذلك يَعْمَل أصلًا هو الجَزَر، ويَظهَر ورقُه على وجه الأرض.

---

(١) الاستسقاء: تجمّع سوائل مصلية في تجويف الجسد وخلاياه.
(٢) الهوام: ما كان له سمّ، كالحيّة مثلًا، أو ما ليس له سمّ، كالقمل مثلًا، جمع هامة.
(٣) شدخة: قطعه.
(٤) أوقار: أحمال.

وقال الشيخ الرئيس: قال دِيسْقُورِيدُوس[١]: من الجَزَر صِنفٌ ورقُه أصغرُ من ورق الرّازِيانج[٢] وفي صورته، وساقُه إلى شبر، وفُقّاحُه[٣] أصفر، وله كصَوْمَعَة الكُزْبُرة والشِّبْث، وله ثمرٌ أبيضُ حادٌّ طيّبُ الرائحة والمضغ؛ والثاني يشبه الكَرَفْس والرّوميّ حِرِّيفٌ مُحرِقٌ طيّبُ الرّائحة؛ والثالثُ ورقُه كورق الكُزْبُرة، أبيَضُ الفُقّاح، شِبْثيُّ الصَّوْمَعةِ والثمرة، وله كأقماع الجوز محشوّة بِزرًا كَمّونيًّا في هيئتِه وحِدّتِه، قال: وطبعُ الجَزَرِ حارٌّ في آخِرِ الثانية، رَطبٌ في الأولى، وينفع بِزرُه، وورقُه إذا دُقّ وجُعِل على القروح المتآكلةِ نفع منها، والجَزَر ينفع من ذات الجَنب[٤]، ومن السُّعال المُزمِن، وهو عَسِرُ الهضم، والمُربّى أسهلُ هضمًا، وينفع من الاستسقاء، ويسكّن المَغْص، ويُدِرّ، خصوصًا البَرّيّ، وخصوصًا بِزرَه، وكذلك ورقُه، ويهيّج البَاه[٥]، وخاصّةً البستانيّ، فإنه أشدُّ نفخًا، وليس يَفعل ذلك بِزرُ البَرّيّ.

وأمّا الشَّقاقل - وهو الجَزَرُ البَرّيُّ إن عُدّ في الجَزَر - فهو أهْيَجُ للباه من البستانيّ، ويُدِرُّ الطَّمْثَ والبول. ورأيتُ على حاشية (كتاب الأدوية المفردة) للشيخ الرئيس في النسخة التي نَقَلتُ منها بخطِّ من لعلّه استدرَك على الشيخ ما صورتُه: الجَزَرُ نوعان: بستانيٌّ وبَرّيّ، والمحلّى عند دِيسْقُورِيدُوس ها هنا هو (دُوقو)، وله ثلاثة أصناف، وليس هو من الجَزَر، ولمّا خَلَط الشيخُ في الماهيّة خَلَط في المنافع. ودُوقو، هو الجَزَرُ البرّيّ؛ هذا ما رأيتُه في الجَزَر.

وقال شاعرٌ يصفُه ويشبّهه: [من مجزوء الكامل]

أُنظُرْ إلى الجَزَرِ الّذي ... يَحْكِي لنا لَهبَ الحريقْ
كمُدَيةٍ[٦] من سندسٍ ... فيها نِصابٌ من عقيقْ

---

(١) ديسقوريدوس: ويطلق عليه اسم ديسقوريدوس السايح، وذلك لأنه كان يسيح في البلاد، سعيًا وراء اقتباس علم الأدوية المفردة من البراري والجزائر والبحار، فيبين منافعها وأفاعيلها. وهو من عين زربة. له كتاب «الحشائش» و«خمس مقالات» و«الدواب» و«السموم». انظر: الفهرست ص ٤٠٧ ـ ٤٠٨.

(٢) الرازيانج: ضرب من الشجر تدخل مادته وصمغه في الطب.

(٣) فقاحه: زهره.

(٤) ذات الجنب: الحمّى.

(٥) الباه: المنيّ.

(٦) المديّة: تصغير مدية، وهي السكّين.

وقال ابنُ رافع: [من الكامل]

أُنظرْ إلى الجَزَر البديع كأنّه ... في حسنِه قُضُبٌ من المَرجانِ[١]

أوراقُه كزبرجدٍ في لونها ... وقلوبُه صيغتْ من العِقيانِ[٢]

وأمّا البصل وما قيل فيه ـ فقال الشيخ الرئيس أبو عليٍّ بنُ سينا: إنّه حارٌّ في الثالثة، وفيه رطوبةٌ فَضليّة، وأمّا أفعالُه، فهو ملطِّفٌ مقطِّع، وفيه مع قبضِه جِلاءٌ وتفتيحٌ قويّ، وفيه نفخٌ وجذبٌ للدّم إلى خارج، ولا يتولّد من غير المطبوخ منه غِذاءٌ يُعتدُّ به، وغِذاءُ الذي طُبِخ أيضًا خِلْطٌ غليظ؛ قال: وللبصلِ المأكولِ خاصيّة، ينفعُ من ضرر المياه، وهو يحمرّ الوجه، وبِزرُه يُذهِب البَهَق ويُدْلك به حولَ موضع داء الثُّعلب فينفع جدًّا، وهو بالملح يَقلع الثَّآليل، وماؤه ينفع القروحَ الوَسِخَة، وينفع مع شحم الدَّجاج لسَحْج[٣] الخفّ[٤]، وإذا سُعِط ماؤه نقّى الرأس؛ ويُقطَر في الأذن لِثقل الرأسِ والطّنينِ والقيحِ في الأُذنين، والإكثارُ منه يُسْبِت[٥]؛ وهو ممّا يضرّ العقلَ لتوليده الخِلْطَ الرّديء، وهو يُكثِر اللّعاب، وعُصارتُه تنفع من الماء النازِل في العين، وتجلو البصر، ويُكتَحَل ببِزرِه بالعسل لبياض العين؛ وماؤه مع العسل ينفع من الخُناق، قال: والبصلُ يفتّح أفواهَ البواسير[٦]؛ وجميعُ أنواع البصل تهيِّج الباه، وماؤه مُدِرٌّ للبول وملَيِّنٌ للطّبيعة، وينفع من عضّةِ الكلب الكَلِب إذا نُطِل[٧] عليها ماؤه بملحٍ وسَذاب؛ قال: والبصلُ المأكولُ يدفع ضرر السَّموم؛ قال بعضُهم: لأنّه يولّد في المعدة خِلْطًا رَطْبًا كثيرًا يَكْسِر عاديَةَ السَّموم.

قال شاعرٌ يصفه: [من الكامل]

يُكْثِرن من لُبس الثّياب تستُّرًا ... كتم الحسود ليطمئنّ الحارسُ

فإذا نظرتَ إلى الثّياب وجدتَها ... أثوابَ زورٍ[٨] ليس فيها لابسُ

---

(١) المرجان: من فصيلة القاتيّات، أوراقها مستطيلة بيضوية، خشبها ضارب إلى الاصفرار. والمرجان، أيضًا، وهو المعني هنا، عروق حمر تطلع من البحر كأصابع الكف.

(٢) العقيان: الذهب.

(٣) سحج: قشر.

(٤) الخفّ: ما يلبس بالرجل.

(٥) يسبت: يبعث على السبات، أي النوم.

(٦) البواسير: علّة في المقعدة يسبّبها تحدّد العروق ويحدث فيها نزف.

(٧) نطل: صبّ عليها النطول، وهو عصارة الدواء فاترًا.

(٨) زور: أعلى وسط الصدر.

وقال ابنُ وكيع يصفه من أرجوزة: [من الرجز]

فأعمِد إلى مدوَّرٍ من البصلْ فإنّه أكثرُ أعوانِ العملْ
يَحْكِي لعينيك احمرارُ قشرِه إذا رماه ناظرٌ بفكرِه
غلائلًا[1] حمرًا على جسومِ بيضٍ رِطابٍ من جسومِ الرّومِ

وأمّا الثُّوم وما قيل فيه ـ فقال الشيخ: منه البستانيُّ المعروف، ومنه الثُّوم الكُرّاثيّ، والثُّوم البَرّيّ، وفي البَرّيِّ مرارةٌ وقبض، وهو المسمّى ثُومَ الحيّة، والكُرّاثيُّ مركّبُ القوّة من الثُّوم والكُرّاث، مسخِّنٌ ومجفِّفٌ في الثالثة إلى الرابعة، والبَرّيُّ أكثرُ من ذلك؛ والثُّومُ مليّنٌ يَحلّ النفخَ جدًّا، مقرِّحٌ للجلد، ينفع من تغيُّر البلاد، وإذا شُرِب بطبيخ الفُوتَنْج الجبليّ قتل القَمْلَ والصِّئْبان[2]؛ ورَمادُه إذا طُلِيَ بالعسل على البَهَق نَفَع؛ وينفع من داء الثعلِب الكائنِ من الموادّ العَفِنة؛ والثُّومُ البَرّيُّ يُلْصِق الجراحاتِ الخبيثةِ إذا وُضِع عليها طريًّا، وإذا احتُقِن بالثُّوم نَفَع من عِرْق النَّسا[3]؛ لأنّه يُسْهِل دمًا وأخلاطًا، قال: والثُّومُ مصدِّع للرأس، وطبيخُه ومشويُّه يُسكِّن وجعَ الأسنان، وكذلك المضمضةُ بطبيخِه، وخصوصًا إذا خُلِط بالكُنْدُر؛ قال: والثُّوم مضعِفٌ للبصر، ويَجْلِبُ بُثُورًا في العين، ويصفّي الحَلْقَ مطبوخًا، وينفع من السُّعال المُزْمِن، ومن أوجاع الصّدر من البَرْد، ويُخْرِج العَلَقَ[4] من الحَلْق؛ وإذا جُلِس في طبيخ ورقِ الثُّومِ وساقِه أدَرَّ البولَ والطَّمْثَ وأخْرَجَ المَشِيمَةَ[5]، وكذلك إذا احتُمِل أو شُرِب، وإذا دُقَّ منه مقدارُ دِرْهَمَيْن مع ماء العسل أخرج البَلْغَم، وهو يُخْرِج الدُّود، وفيه إطلاقٌ للطّبع؛ وأمّا فعلُه في الباه فإنّه لشدّة تجفيفِه وتحليلِه قد يضرّ، فإن طُبِخ في الماء حتّى انحلّت فيه حدّتُه لم يَبْعُد أن يكون ما يَبْقَى منه في مسلوقِه قليلَ الحرارة لا يجفِّف، وتتولّد منه مادّةُ المَنيّ؛ قال: والثُّومُ نافعٌ لِلَسْع الهَوَامّ ونَهْشِ الحيّاتِ إذا سُقِيَ بشراب؛ قال: وقد جرّبنا ذلك، وكذلك من عضّة الكلب الكَلِب، وإذا ضُمِد بالثُّوم وبورَقِ التّينِ وبالكمّونِ على عضّة موغالي[6] نَفَعَ؛ هذا ما أورده الشيخ فيه.

(١) غلائلا: جمع غلالة، وهي شعار يلبس تحت الثوب.
(٢) الصّئبان: صغار القمل، لونها أبيض. (٣) عرق النسا: وجع يصيب الفخذ والقدم.
(٤) العلق: جمع علقة، وهي دويبة سوداء تمتص الدم، وتعلق بأقصى الحلق.
(٥) المشيمة: غشاء الولد يخرج معه عند الولادة.
(٦) موغالي: ضرب من الحيوانات يشبه ابن عرس.

وقال شاعرٌ يصفه: [من البسيط]

يا حبّذا ثُومةٌ في كفّ طاهيةٍ بديعة الحُسنِ تَسبي كلَّ من نَظرا

أبصرتُها وهي من عُجْبٍ تُقلّبها كصُرّةٍ من دَبِيقيٍّ[١] حَوَتْ دُررا

وقال آخر: [من الكامل]

الثُّومُ مِثلُ اللَّوزُ إنْ قشَّرتَهُ لولا روائحُهُ وطَعْمُ مَذاقِهِ

كالنَّذْلِ[٢] غرّكَ مَنْظَرًا فإذا ادَّعَى لفضيلةٍ يُنْمَى إلى أعراقِه[٣]

وأمّا الكُرّاث وما قيل فيه ـ فمنه الشّاميُّ والنَّبَطيّ، ولكلّ منهما توليدٌ ذكره أبو بكرِ بنُ وحشيّةَ في كتاب (أسرار القمر)، فقال: وإن أردتم الكُرّاثَ الشّاميَّ فخذوا مُقْلَةً واحدةً فاغمِسُوها في سَكْبِينَجٍ محلولٍ ببولٍ أيِّ بولٍ اتّفق، ثمّ اطمِروها في التراب، واسقوها الماء، فإنها تنبت بعد ثلاثين يومًا، وتَعْمَل أصولًا جِيادًا.

وإن أردتم الكُرّاثَ النَّبَطيَّ فخذوا قِشرَ الجَوزِ فألقُوه على قِيرٍ[٤] مَغليّ، واتركوه قليلًا بقدر ما يَعلَق به من القِيرِ شيءٌ يسيرٌ على أطرافِه وجوانبِه، وما لم يَعْلَقْ به شيءٌ فردّوه إلى أن يَعلَق، ثمّ أجمعوا ذلك القشرَ وادفنوه في التّراب، وألقُوا عليه قبل التراب شيئًا من خردلٍ مسحوق، ثمّ اسقوه الماء، فإنّه يُنْبِت في أحد وعشرين يومًا كُرّاثًا نَبطيًا.

قال الشيخ الرّئيس: الكُرّاثُ منه شاميّ، ومنه نَبَطيّ، ومنه الذي يقال له: كُرّاثٌ بَرّيّ، وهو بين الكُرّاثِ والثُّوم، وهو أشبهُ بالدّواء منه بالطّعام، والنَّبَطيّ أدخَلُ في المعالجات من الشّاميّ، وطبعُ النَّبَطيِّ حارٌّ في الثالثة، يابسٌ في الثانية؛ والبَرّيُّ أحرُّ وأيْبَس، ولذلك هو أردأ، والشّاميُّ مع السُّمّاق[٥] للثَّآليل، ويُذهِب الشَّرَى[٦] ومع المِلْح للقُروح الخبيثة؛ والبَرّيُّ لقَرْح الثّدي، قال: وهو يقطَع الرُّعاف[٧]. وقال غيرُه: ماء الكُرّاثِ النَّبَطيّ يَقطَع الرُّعافَ وسيلانَ الدّمِ إذا خُلِط به شيءٌ من كُنْدُرٍ مسحوق.

---

(١) دبيقي: منسوب إلى دبيق، في مصر تشتهر بثيابها.

(٢) النذل: الساقط والخسيس والمحتقر. (٣) أعراقه: أصوله الأولى، جمع عرق.

(٤) القير: القطران أو الزفت.

(٥) السمّاق: ضرب نبت من فصيل البطحيّات، تستعمل بزوره تابلًا، وأوراقه للدّباغة.

(٦) الشرى: ضرب من البثور الجلدية تحدث حكاكًا.

(٧) الرعاف: نزف الدم من الأنف.

قال الشيخ: ويُبخَّر ببِزرِه مع القَطِران للسِّنّ التي فيها دود؛ وأكلُه مصدِّع، يخيِّل أحلامًا رديئة؛ ورَمادُه مع دُهن وَردٍ وخلّ خمرٍ لوجع الأذن وطنينِها، وهو ممّا يُفسِد اللِّثَةَ والأسنان، وخصوصًا الشاميّ، وهو يضرّ البصر، وهو مع ماء الشّعير للزّبو الكائنِ من مادّةٍ غليظة، وخصوصًا النَّبَطِيّ، وخصوصًا مع العسل، وينفع من أورام الرِّئةِ ويُنْضِجها، ويُعطِي من بِزرِه درهمان مع مِثلِه حَبّ الآسِ لنَفْث الدّم، والبَرّيُّ منه رديءٌ للمعدة، أردأ من الشّاميّ؛ والكُرّاثُ كلُّه نَفّاخ؛ وقال رُوفُس: إنّه يَقطَع الجُشاء[1] الحامض؛ قال الشيخ: وهو بالجملة بطيءُ الهضم، وهو يُدِرُّ البولَ والطَّمْث، لا سيّما النَّبَطيّ والبَرّيّ؛ ويُضرّان المثانةَ والكُلْية؛ ومسلوقُه ينفع البواسيرَ مأكولًا وضمادًا، ويحرّك الباه، وكذلك بِزرُه مقلوًّا؛ قال: وبزرُه مقلوًّا مع حَبّ الآسِ للزَّحِير[2] ودمِ المقعدة[3]؛ ويُجلَس في طبيخ ورقِه بماء؛ وهو نافعٌ من انضمام الرَّحِم والصَّلابةِ فيها؛ وطبيخُ أصولِه إسْفِيذْباجَةً بدُهن القِرْطِم[4] أو دُهن اللّوز أو شَيْرجٍ[5] نافعٌ للقُولَنْج؛ ولم أقفْ فيه على شعرٍ فأُورِدَه.

وأمّا الرِّيباس وما قيل فيه ـ فقال الشيخ: الرِّيباسُ له قوّةُ حُمّاضِ الأُتْرُجّ[6] والحِصْرِم؛ وهو باردٌ يابسٌ في الثانية، وهو مطفىء، قاطعٌ للدم، يسكّن الحرارة، وينفع من الطاعون[7]، ويُحِدُّ البصرَ إذا اكتُحِل بعُصارتِه، وينفع من الإسهالِ الصّفراويّ؛ وينفع من الحَصْبة[8] والجُدَريّ[9] والوباء.

قال أبو بكر الخُوارَزْميُّ يصفه: [من الطويل]

ولُعْبةِ عاجٍ في قميصٍ مورَّدٍ ... أسافلُه خضرٌ وأزرارُه حمرُ

كأنّ يديها والأناملَ خُضِّبتْ ... وشُدّتْ على أطرافِها خِرَقٌ خُضْرُ

---

(١) الجشاء: سائل حامض يأتي نتيجة لجيشان النفس واضطرابها.

(٢) الزحير، والزحار: ضرب من البراز وفيه دم، وتقيّح.

(٣) المقعدة: المؤخرة والعجيزة.

(٤) القرطم: أو العصفر، نبت زراعي صبغي من فصيلة الأنبوبيّات، مغليّ زهره يدرّ البول.

(٥) شيرج: الشيرج هو المادة السائلة المستخرجة من حبّ السمسم.

(٦) الأترج: شجر من جنس الليمون، تسمّيه العامة الكبّاد.

(٧) الطاعون: الوباء المعروف، تسبّبه الجرذان.

(٨) الحصبة: مرض معدٍ يخرج بثورًا في الجلد ويسبّب حمّى وبحّة في الصوت.

(٩) الجدري: مرض يسبّب بثورًا حمرًا بيض الرؤوس تتقيّح سريعًا، وهو شديد العدوى.

وقال آخَر: [من الخفيف]

ونباتٍ لم يَكتَسِ الورقَ الخُضـ ـرَ ولم يَغذُه نسيمُ الهواءِ
لا ولا كان في الثَّرى فتغذّيـ ـه بتسكابِها يدُ الأنواءِ[١]
جاء مِثلَ السِّياط[٢] أو كالمساويـ ـكِ[٣] وبعضٌ يَحْكِي عصيَّ الرِّعاءِ[٤]
لَذَّ طعمًا وعَمَّ نفعًا فأيَّ النَّـ ـقلِ منه نَلْقَى وأيَّ الدَّواءِ

قوله: «لا ولا كان في الثَّرى»، يشير إلى أنّه لا يَنبُت إلّا في الثّلج.

وقال آخر: [من المتقارب]

ومكنونةٍ[٥] من بناتِ الثَّرَى تَجمَّعَ بالباب خُطّابُها
تمدّ يدًا أُبْرِزَتْ كفُّها يجرّ الزمرّدَ عُنّابُها[٦]

وأمّا الهِلْيَوْن[٧] وما قيل فيه ـ فقال ابنُ وحشيّةَ في توليدِه: متى دُفِنتْ أطرافُ قرونِ الكِباشِ مع ورق السِّلْق، وسُقِيا بالماء، نبتَ من ذلك الهِلْيَوْن؛ قال: وإن أُخِذَ من الهِلْيَوْن قضيبٌ واحدٌ وطُلِيَ بالعسل، ومُرِّغَ[٨] في رَماد البَلُّوط وأُلْبِس طينًا، وطُمِر في الأرض، خرجتْ منه عدّةُ عيدانٍ كثيرة القضبان، بيضٍ في غاية البياض، وربّما كان في بعضها حمرةٌ حولها صفرة، وربّما خالطها خضرةٌ وتوريد.

وقال الشيخ الرئيس فيه: طبعُه معتدلٌ عند جالِينُوس[٩]؛ قال: إنّه ليس فيه إسخانٌ ولا تبريد إلّا الصَّخْرِيّ؛ قال الشيخ: أقول: لا يَبعُد عن الحرارة، وكلّما أخذ يَصلُب اشتدّ حرُّه؛ وقال في أفعالِه وخواصّه: قوّتُه جالية، تُفتِّح سُدَدَ الأحشاء كلِّها،

---

(١) الأنواء: وهي ثمانية وعشرون نوءًا على مدار السنة، زعموا أن النجوم المنسوبة إليها تتسبّب بهبوب الرياح ونزول الأمطار.
(٢) السياط: جمع سوط، وهو الكرباج، وما يضرب به من جلد أو غير جلد.
(٣) المساويك: جمع مسواك، وهو الذي تساك به الأسنان، يتخذ من شجر الأراك وغيره.
(٤) عصيّ الرعاء: عصيّ الرعيان، جمع راعٍ، وثمة ضرب من الأزهار يطلق عليه اسم عصاة الراعي.
(٥) مكنونة: مستورة.
(٦) العنّاب: جنس شجر من النبقيّات شائك، حبّه يشبه حبّ الزيتون وأجوده الأحمر الحلو.
(٧) الهليون: نبات معمّر من فصيلة الزنبقيات، تؤكل سومة مسلوقة.
(٨) مرّغ: جبل، وخلط.
(٩) جالينوس: طبيب يوناني مشهور، اشتهر باكتشافه علم التشريح، أخذ عنه الأطباء العرب، وكان المرجع الذي يرجعون إليه، مات حوالي سنة ٢٠٠ م. انظر: الفهرست، ص ٤٠٢.

خصوصًا الكبدَ والكُلْيَة؛ وفيه تحليل، خصوصًا الصَّخرِيّ؛ قال: ويُشْرَب طبيخُه لوجع الظّهر وعِرْق النَّسَا، وإذا طُبِخَ أصلُه بالخَلّ وكذلك بِزْرُه فهو جيّدٌ لوجع الضِّرْس؛ وينفع من اليَرَقان؛ قال: والأغْلبُ يقولون فيه: إنّه ينفع من القُولَنْج البَلْغَميّ، وطبيخُ أصولِه يُدِرُّ البولَ وينفع عُسْرَه، ويزيد في الباه، وبِزْرُه إذا احتُمِلَ أَدَرَّ الطَّمْث، ويُفتِّح سُدَدَ الكُلَى؛ قال: وإذا طُبِخَ بالشّراب نَفع من نَهْشة الرُّتَيْلاء[1]؛ وطبيخُه يَقْتل ـ فيما يقال ـ الكلاب.

وقال شاعرٌ يصفه: [من الطويل]

وباقةِ هِلْيَوْنٍ أتت وهي غضّةٌ[2] فشبهتُها تشبيهَ ذي اللُّبّ[3] والفضلِ

بِرَشْقِ نِبالٍ جُمّعَتْ من زبرجدٍ مشنَّفةٍ[4] الأعلى مفضَّضةِ الأصلِ

وقال أبو الفتح كُشاجِم: [من الرجز]

لنا رماحٌ في أعاليها أَوَدْ[5] مثقَّفاتُ[6] الجسمِ فُتْلٌ كالمَسَدْ[7]

منتصباتٌ في انفراجٍ كالعَمَدْ مكسوّةٌ من صِبْغةِ الفرد الصمدْ[8]

ثوبًا من السّندسِ من فوقِ جسدْ قد أُشرِبتْ حُمرةَ لونٍ تَتّقِدْ

وأمّا الهِنْدَبا[9] وما قيل فيها ـ فقال ابنُ وحشيّة: إن أردتم الهِنْدَبا فخذوا من أصول الأُشْنان[10] فدُقُّوه واخلِطوا به ورقَ الهِنْدَبا مدقوقًا، وصُبّوا عليه اليسيرَ من الزّيت، وخمِّروه في إناءٍ ثلاثةَ أيّام، ثم اجعلوه في الأرض، واطمِروه بالتراب فإنّه يُخرِج بعدَ أربعةَ عشرَ يومًا هِنْدَبا؛ قال: وإن أردتموه أيضًا فخذوا رجلَ ديكٍ فانقعوها في خَلٍّ ممزوجٍ بماءٍ يومًا وليلة، ثمّ انقعوها في بول البقرِ ثلاثةَ أيّام، ثم اطمِروها في الأرض، فإنّه يَخْرُج من ذلك نوعٌ آخَرُ من الهِنْدَبا؛ والّذي يَنْبُت من أصول الأُشنان أشدُّ مرارةً وأغلظُ ورقًا، لكنّه أنفعُ للكبد.

---

(١) الرتيلاء: ضرب من العقارب السامّة.
(٢) غضّة: طريّة.
(٣) اللب: العقل.
(٤) مشنفة: مزينة بالشنوف، وهي القروط.
(٥) أود: تثنٍّ واعوجاج.
(٦) مثقفات: مستقيمة.
(٧) المسد: الحبل من ليف، أو غيره، المحكم الفتل.
(٨) الفرد الصمد: من أسماء الله الحسنى.
(٩) الهندبا: بقل زراعي من فصيلة اللسانيات، ورقه أزرق وأخضر، يدخل في التوابل وفي الطعام.
(١٠) الأشنان: ضرب من النبت، فيه عقد كثيرة، يستخدم في غسل الثياب.

قال الشيخ الرئيس: الهِنْدَبا منه بَرِّيٌّ ومنه بستانيّ، وهو صنفان: عريضُ الورق، ودقيقُه؛ وأنفعُه للكبد أمرُّه؛ وقال في طبعِه: إنّه باردٌ في آخِرِ الأُولى ويابسُه يابسٌ في الأُولى، ورَطْبُه رَطْبٌ في آخِر الأُولى، والبستانيُّ أبرَدُ وأرطَب؛ قال: وقد تشتدّ مرارتُه في الصّيف فيميل إلى حرارةٍ لا تؤثّر، والبَرّيُّ أقلُّ رطوبة وهو الطَّرْخَشْقُوق؛ وقال في أفعالِه وخواصّه: إنّه يفتّح سُدَدَ الأحشاء والعروق، وفيه قبضٌ صالحٌ وليس بشديد، وماؤه مع الإسْفِيدَاجِ[1] والخَلِّ عجيبٌ في تبريد ما يُراد تبريدُه طِلاءً؛ قال: ويُضمَد به النِّقْرِس، وينفع من الرّمد الحارّ، ولبنُ الهِنْدَبا البَرّيِّ يجلو بياضَ العين، ويُضْمَد به مع دقيق الشعيرِ للخفقان، ويُقوّي القلب؛ وإذا حُلَّ خيارُ شَنْبَرَ[2] في مائه وتُغُرْغِرَ به نَفَع من أورام الحَلْق؛ وهو يسكّن الغَثْيَ، ويقوّي المعدة؛ وهو خيرُ الأدويةِ لمعدةٍ بها مِزاجٌ حارّ؛ والبَرّيُّ أجوَدُ للمعدة من البستانيّ؛ وقيل: إنّه موافقٌ لمِزاج الكبد كيف كان؛ أمّا الحارُّ فشديدُ الموافَقة له، وليس يضرّ الباردُ ضررَ سائر أصنافِ البقول الباردة؛ قال: وإذا أُكِلَ مع الخلّ عَقَل البطن[3]؛ وهو نافعٌ لحمَّى الرِّبْع[4] والحُمَّيَات الباردة؛ وإذا جُعِل ضِمادًا مع أصولِه للسع العقربِ والهَوَامّ والزّنابيرِ والحيّة وسامّ أبرَصَ[5] نفع، وكذلك مع السَّوِيق.

وأمّا النُّعْنُع وما قيل فيه ـ فقال ابنُ وحشيّة: هو أحد مَنابتَ أنواع تحت جنسٍ واحد يسمّى الفُودَنْج، والفُودَنْج خمسة ضروب: جبليّ وصخريّ، وبَرّيّ، ونَهرِيّ، وبستانيّ؛ فالجَبليّ والصَّخْريُّ والبَرّيُّ واحد؛ وأمّا النَّهْريّ فالنَّمّام؛ والبستانيُّ: النُّعْنُع، وكلاهما نوعٌ واحد، وذلك أنّ النَّمّام لمّا نُقِل من شطوط الأنهارِ إلى البستاتينِ صار نُعْنُعًا، ونقَصَ رِيحُه، وكبرُ ورقُه وطال لكثرةِ رِيِّه وشُربِه.

وقال في توليدِه: وإن أردتم فُودَنْجا بستانيًّا فخذوا رِجْلَيْ دَجاجةٍ وادهنُوهما بعَكِر الزّيت، وادفِنوهما في التراب ثلاثةَ أيام، ثم اغرِسوهما في الأرض واجعلوا الأصابعَ إلى فوق، ثمّ اجعلوا فوقَها عودَ سَذابٍ عَرْضًا، ثمّ نَقِّطوا عليه زيتًا، ثم ألقُوا عليه التراب، واتركوه ثلاثًا، ثمّ صبُّوا عليه زيتًا في اليوم الرابع مقدارَ ما

(١) الإسفيداج: ضرب من الطين أو الرماد المستخرج من الرصاص.
(٢) خيار شنبر: ضرب من الأشجار، يشبه الخرنوب.
(٣) عقل البطن: أمسك أخلاطها وطعامها.
(٤) حمى الربع: الحمى التي تأتي ثم تذهب، ثم تعود في اليوم الرابع.
(٥) سام أبرص: دويبة منظرها يبعث على التقزّز، تعيش في البيوت، في السقوف، وعلى الحيطان. قيل: إنها من المخلوقات التي مسخها الله.

تعلمون أنّ شيئًا من الزّيت قد وصل إليه، فإنّه يُخرِج بعد أحدٍ وعشرين يومًا نُعْنُعًا ذكيَّ الرّائحة.

وقال الشيخ الرئيس في النّمّام[١]: النّمّام، هو السِّيسَنْبَر، وطبعُه حارٌّ في الثالثة يابسٌ إليها؛ وهو يقاوم العفونات، ويقتل القمل، وينفع من الأورام الباردة؛ وإذا طُبِخَ بالخَلّ وخُلِطَ بدُهن الوَرْد ولُطِخَ به الرأسُ نَفَع من النّسيان ومن اختلاط الذِّهْن، ويُتَضَمَّد[٢] بورق البَرّيّ منه على الجَبْهَةِ للصُّداع؛ وهو نافعٌ للفُواقِ[٣] إذا شُرِب بشراب، وبِزْرُه أقوى، وينفع من أورام الكبد الباردة، ويُخْرِجُ الجَنِينَ الميّت، والبَرّيُّ منه إذا شُرِب بشرابٍ مَنَع من تقطير البول، وأخْرَج الحَصَاة، وينفع من المَغْص، ويُضمَد به لسعُ الزّنابير، ويُشرَب للسعها منه وزنُ درهمين في سِكَنْجَبِين.

وقال في النّعناع: هو حارٌّ يابسٌ في الثانية، وفيه رطوبةٌ فَضْليّة، وقوّةٌ مسخّنةٌ قابضة؛ وهو ألطفُ البقول المأكولةِ جوهرًا، وإذا تُرِكتْ طاقاتٌ منه في اللّبن لم يتجبّن، وإذا شُربتْ عُصارتُه بالخَلّ قَطعتْ سيلانَ الدمِ من الباطن؛ وهو مع السَّوِيقِ ضِمادٌ للدُّبَيْلات[٤]؛ وتُضْمَد به الجَبْهة للصُّداع، وخصوصًا مع سَويق الشّعير، وتُدلَك به خشونةُ اللّسان فتزول، ويمنع قذفَ الدّم ونَزْفَه، ويَعقِد اللّبنَ في الثّدي ضِمادًا، ويسكّن ورمَه؛ وهو يقوّي المعدةَ ويسخّنها، ويسكّن الفُواقَ ويَهضِم، ويمنع القيءَ البَلْغَميَّ والدّمويّ، وينفع من اليَرَقان، وخصوصًا شرابَه؛ وهو يعين على الباه لنفخ فيه، ويقتل الدّيدان؛ وإذا احتُمِل قبلَ الجماع منع الحَبَل؛ وهو نافعٌ لعضّة الكَلْب الكَلِب.

قال أبو إسحٰق الحَضْرَميُّ في النّمّام: [من الوافر]

أرَى النَّـمّـامَ بـالـصّـوت الـفـصيـح ... ينادي الشَّرْبَ[٥] حيَّ على الصَّبوحِ[٦]

بـدا لـك فـي مَـطـارفـه[٧] وأبـدَى ... روائـحَ تَـسـتَـقِـلّ بـكـلّ رِيـح

فقمْ واْعصِ النّصيحَ وكن مطيعًا ... لـنـا فـالـعـيش عـصـيـانُ الـنّـصيـحِ

---

(١) النمّام: نبت له بزر كالريحان، عطري قوي الرائحة، سمّي بذلك لسطوح رائحته.
(٢) يتضمّد: يتخذ منه ضمادًا.
(٣) الفواق: ترجيع الشهقة العالية، وما يأخذ المحتضر عند النزاع.
(٤) الدبيلات: ضرب من الدمامل تصيب الجلد. (٥) الشرب: جماعة الشاربين.
(٦) الصبوح: الخمرة تشرب صباحًا.
(٧) مطارفه: جمع مطرف، وهو الثوب الموشّى الفضفاض.

وقال آخَر: [من الكامل]

حَيّيتُها بتحيّةٍ في مجلسٍ بقضيب نمّامٍ من الرَّيحانِ
فتطيّرتْ منه وقالت: ألقِه لا تقرَبنّ مضيِّعَ الكتمانِ

وقال آخَر: [من البسيط]

لا بارك اللهُ في النّمّام إنّ له اسمًا قبيحًا من الأسماء مهجورا
لو لم يُنِمَّ على العشّاق سرَّهم ما كان فيهم بهذا الاسمِ مشهورا

وقال ابن رَشيق[١] ـ وخالَف الأوّل فيه ـ: [من السريع]

لِمْ كَرِه النّمّامَ أهلُ الهوى أساء إخواني وما أحسَنوا
إن كان نَمّامًا فتنكيسُه[٢] من غير تكذيبٍ لهم مأمنُ

وأمّا الجِرْجِير[٣] وما قيل فيه ـ فقال ابنُ وحشيّة: وإن أردتم جِرْجِيرًا فخذوا خُنْفَساءَ[٤] كبيرة، ومن ورق الباذْرَنْبُوَيه ثلاثةَ قُضبان، واسحَقوه مع الخُنْفَساء، ثم خذوا سبعَ حبّاتِ حِمّصٍ أسود، واقلوها، وألبِسوها الذي سحقتم، واطمِرُوه في الأرض، ولا تسقوه الماء، ولتكن أرضًا نديّةً بالقرب من نباتٍ يُسقَى دائمًا فإنّه يَخْرُج من ذلك الجِرْجِير.

وقال الشيخُ الرّئيس: الجِرْجِير مه بَرّيٌّ ومنه بستانيّ، وبِزْرُ الجِرْجِير هو الّذي يُستعمَل في الطّبيخ بدلَ الخَرْدَل؛ وهو حارٌّ في الثالثة، يابسٌ في الأُولى، وفي رَطْبِه رُطوبةٌ في الأُولى، وهو مليِّنٌ منفِّخ، وماؤه بمرارة البقر ينفع لآثار القروح؛ وهو مصدِّع، خصوصًا إذا أُكِلَ وحدَه، والخَسُّ يمنع هذا الضررَ منه، وكذلك الهِنْدَبا والرِّجْلة[٥]؛ وهو مُدِرٌّ للّبن، وفيه هضمٌ للغِذاء، والبَرّيُّ منه مُدرٌّ للبولِ محرِّكٌ للباه والإنعاظ[٦]،

---

(١) ابن رشيق: هو أبو علي الحسن، شاعر لازم بلاط المعزّ بن باديس في القيروان. أهم آثاره «العمدة في صناعة الشعر ونقده»، مات سنة ١٠٧١ م.

(٢) تنكيسه: قلبه، أي قلب حروفه.

(٣) الجرجير: ضرب من النبات والبقل، يتّخذ منه تابلًا، ويؤكل نيّئًا ومسلوقًا.

(٤) الخنفساء: دويبة سوداء أصغر من الجعل، كريهة الرائحة.

(٥) الرجلة: البقلة الحمقاء.

(٦) الإنعاظ: التحريك، تحريك العضو المذكّر، خاصة.

خصوصًا بِزْرَه؛ وإذا أُكِلَ وشُرِب عليه الشّرابُ الرَّيْحانيُّ فهو دِرْياقٌ[١] لعضّة ابنِ عِرْس[٢].

وأمّا السَّذابُ وما قيل فيه ـ فقال ابنُ وحشيّة: إن أردتم سَذابًا فخذوا رِجلَيْ ديكٍ فانقعوهما في عُصارة الفُودَنْج البَرّيّ أربعةَ أيّام، ثم اغمِسوهما في الزّيت واغرِزُوهما في الأرض، واجعلوا فوق أصابع كلِّ رِجلٍ حجرين من الكُنْدُر أكبرَ ما تقدون عليه، ثمّ طاقةً من سَذابٍ يابسًا عَرْضًا، واطمِرُوه في التراب، فإنّه بعد أحد وعشرين يومًا يخرج منه السَّذاب، فحوّلوه من مَنبَته إلى بقعةٍ أخرى، فإنّه يشتدّ ويقوَى؛ ومن خاصّيّة السَّذاب أنّ الحائضَ إذا مسّته بيَدِها جفّ؛ وهو إذا زُرع في أصل شجرة التّينِ نَقَصتْ حرارتُه وحَرافتُه لما بينهما من الموافَقة.

وقال الشيخ الرّئيس: أوفقُ السَّذابِ البستانيِّ ما يَنبتُ عند شجرة التّين؛ وطبعُ السّذابِ الرَّطْبِ منه حارٌّ يابسٌ في الثانية، واليابسُ حارٌّ يابسٌ في الثالثة: واليابسُ البَرّيُّ حارٌّ يابسٌ في الرّابعة؛ وهو مقطِّعٌ محلِّلٌ مُفشٌّ[٣] جدًّا، منقٍّ للعروق مقرِّحٌ قابض؛ وهو مع النَّطْرون على البَهَق الأبيض وعلى الثآليل والتُّوثِ نافع ويُذهِب رائحةَ الثُّوم والبصل، وينفع من داء الثّعلب، وإذا دُقّ وضُمِد به مع الملح عضوٌ أحدث عليه ورمًا حارًّا؛ وإذا جُعِل على خنازير الحَلْق[٤] والإبْط حلّلها، والصَّمْغُ أقوى في جميع ذلك؛ وإذا جُعِل مع السّمن والعسل على القوابي ومع الخلّ والإسْفِيداج على النَّمْلة[٥] والحُمْرة نَفَع وينفع من الفالج وعِرْق النَّسا وأوجاع المفاصل شربًا وضِمادًا بالعسل، ويُضَمد به مع السَّويق للصُّداع المُزمِن؛ وعُصارتُه المسخَّنةُ في قشور الرّمّانُ تُقطَر في الأُذُن فتنفعها، وتسكِّن الوجعَ والطَّنينَ والدَّوِيّ، وتَقتلُ الدّود، وتُطلَى بها قُروحُ الرأس؛ وهو يُحِدّ البصر، وخصوصًا عُصارتَه مع عُصارةِ الرازِيَانَج والعسل كحلًا وأكلًا، وقد يُضمَد به مع السَّويقِ على ضَربَان العين، وطبيخُ الرَّطْب منه مع الشِّبْث اليابِس نافعٌ لوجع الصّدر وعُسر النَّفَس على ما شَهِد به رُوفُس ويُضمَد به مع التّين للاستسقاء اللّحميّ، ويُسقَى شرابٌ طُبِخ فيه السَّذاب،

---

(١) الدرياق: لغة، في الترياق، وهو دواء يدفع السّموم.

(٢) ابن عرس: دويبة من فصيلة السمّوريات، يشبه الفأرة، أصلم الأذنين، يفتك ببيوت الدجاج والحمام.

(٣) مفشّ: أي مزيل، ومحرّك، وباعث على الانتفاش، والنموّ.

(٤) خنازير الحلق: ضرب من الأورام تكون في العنق والحلق.

(٥) النملة: ضرب من البثور أو القروح مختلفة الآثار والأشكال.

وإذا شُرب من بِزْرِه من درهم إلى درهمين للفُواق البَلْغَميّ سكَّنه، وهو يُمْرِىء[١] ويشهّي ويقوّي المعدة، وينفعُ من الطِّحال، وهو مجفِّفٌ للمنيّ ويقطعه، ويُسقِط شهوةَ الباه ويُحقَن به مع الزيت لأوجاع القُولَنْج، ويوضع بالعسل على قروح المقعدة، ويُغلَى في الزيت ويُشْرَب للدِّيدان؛ قال: والنوعان يَستفرِغان فضولَ البدن بالإدرار؛ ويُضمَد به وبورق الغار[٢] على الأنثيين لأورامهما، وأكلُه ينفع من الحمَّى النافض[٣] والتَّمريخُ[٤] بدُهنِه؛ وهو يقاوم السُّموم، والإكثارُ من أكل البرّيّ قاتل. ولم أقف على وصفٍ فيه فأورِدَه.

وأمّا الطَّرْخُون وما قيل فيه ـ فهو صنفان: بابليّ، وهو طويل الورق؛ وروميّ، وهو مدوَّر؛ قال ابنُ وحشيّةَ في توليدِهِ: وإن أردتم الطَّرْخُون فخذوا من عروق العُشَر[٥] وورقِه فدُقوا ذلك دقًّا يسيرًا بلا سحق، ثمّ صرّوه في صُرّةٍ واحدةٍ أو صُرَرٍ في ورق الفُجْل الكبار، واطمِروه في الأرض، فإنه يَخرُج لكم منه الطَّرْخُون.

وقال الشيخ الرئيس: قالوا: إن العاقرَ قَرْحَا هو أصلُ الطَّرْخُون الجبليّ؛ قال: وطبعُه الظاهر أنه حارٌّ يابسٌ إلى الثانية، وإن كانت فيه قوّةٌ مخدِّرةٌ؛ قال: وقال بعضُ من لا يُعْتَمد عليه: إنه باردٌ يابس. قال الشيخ: وهو مجفِّفٌ للرّطوبات، وفيه تبريدٌ ما، وإذا مُضِغ وأُمْسِك في الفم نفع القُلاع[٦]؛ وهو يُحدِث وجعَ الحَلْق، وهو عَسِر الهضم؛ وهو يقطع شهوةَ الباه.

وأمّا الإسفاناخُ وما قيل فيه ـ أمّا توليده فقال ابنُ وحشيّةَ فيه: خذوا عروقَ الخَطْمي[٧] ولُفّوا عليها من ورق الخَسّ الرَّطْب، وانقَعوها في الشَّيْرَجِ يومًا ثم اطمِروها في التراب، فإنّها تُنبِت بعد سبعة أيّامٍ إسفاناخًا.

---

(١) يمرىء: يجعل الطعام مريئًا، ويفتح شهية الآكل.
(٢) الغار: شجر طيّب الرائحة من فصيلة الغاريات، دائم الخضرة، يستخدم تابلًا في الطعام، ومن زيته يستخرج مادة طبّية، ويصنع منه الصابون.
(٣) الحمّى النافض: الحمّى التي تبعث على الرّعدة والانتفاض لشدّتها وارتفاعها.
(٤) التمريخ: الإدّهان.
(٥) العشر: ضرب من الشجر، يستخدم صمغه في الطبّ.
(٦) القلاع: ضرب من الأورام والتقيّحات تصيب سقف الحلق، وتمنع من مرور الطعام في المريء.
(٧) الخطمي: نبات من فصيلة الخبازيات يعيش في المواضع الرطبة، له فائدة طبية ويستعمل كمليّن.

وأمّا طبعُه وأفعالُه ـ فقال الشيخ: هو باردٌ رَطْبٌ في آخِرِ الأُولى، وهو مليِّن، وفيه قوّةٌ جاليةٌ غسّالة، ويَقمَع الصّفراء، وينفع من أوجاع الظّهر الدّمويّة، ونافعٌ من وجع الصّدر والرّئة.

وأمّا البَقْلةُ الحَمْقاء ـ وهي اليرسا، وتسمَّى الرِّجْلة والفَرْفَحِين ـ.

أمّا توليدها ـ فقال قال: وإن أردتم يرسا ـ وهي البقلةُ الحَمْقاء ـ فخذوا عروق القطن وورقَه رطبين فدقّوهما دقًّا يسيرًا وغرّقوهما باللّبن الّذي قد أُنبِذ[1] فيه الحِمَّص، ثمّ اطمِرُوه في الأرض؛ فإنّه بعد أسبوعٍ تَنْبُت منه هذه البقلة. والذي نعرفه نحن من أمرها أنّها تَنْبُت في أرضِ قصب السكّر من غير معالَجة.

وأمّا طبعُها وفعلُها ـ فقال الشيخ الرئيس: إنّ طبعَها باردٌ في الثانية رَطْبٌ في آخرها، وإنّ فيها قبضًا يمنع النَّزْفَ والسَّيَلاناتِ المُزْمِنة، وغِذاؤها قليلٌ غيرُ مذموم؛ وهي قامعةٌ للصّفراء جدًّا؛ قال: ومن خاصّيّتها أنّها تُحَكّ بها الثّآليل فَتقلَعُها؛ وهي ضمادٌ للأورام الحارّة التي يُتخوّف عليها الفساد، وللحُمرة، وتنفع البُثُورَ في الرأس غسلًا بها، وتسكِّن الصُّداعَ الحارَّ الضَّرَبانيّ؛ وتنفع من الرَّمَد، وتَدخُل في الأكحال والإكثارُ منها يُحْدِث الغِشاوةَ[2]؛ وتنفع التهابَ المعدةِ شربًا وضِمادًا، وتنفع الكبدَ الملتهبة، وتمنع القيء، وتنفع من أوجاع الكُلَى والمَثانةِ وقروحِهما، وتقطع شهوةَ الباه؛ وزعم ماسرجويه[3] أنّها تزيد في الباه. قال الشيخ: ويشبه أن يكون ذلك في الأمزجة الحارّةِ اليابسة؛ وهي تحبس نَزفَ الدّمِ من الحيض؛ وينفع ماؤها من البواسير الدّامية، ومن الحُمّيَّات الحارّة؛ قال: وإن شُوِيَتْ وأُكِلتْ قطعت الإسهال.

وأمّا الحُمّاض وما قيل فيه ـ فقال ابنُ وحشيّة: وإن أردتم الحُمّاض فخذوا من اليرسا ثلاثًا أو أربعًا فانقعوها في ماءٍ وخَلٍّ ثلاثَةَ أيّام، ثمّ خذوا عِرْقًا من عروقها أو عِرْقين فاجعلوهما في الأرض، واجعلوا الطاقاتِ المنقوعةَ فوقهما ثم صبّوا عليها ذلك الخَلّ الممزوج، واطمِروها، فإنّها تُنبِت لكم الحُمّاض.

---

(١) أنبذ: خلط وطرح.

(٢) الغشاوة: رقاقة بيضاء تغشى العين.

(٣) ماسرجويه: طبيب يهودي من البصرة، خدم الخلفاء الأمويين، نقل من السريانية إلى العربية كتاب «الطبّ» للقسّ هارون. له كتاب: «قوى الأطعمة ومنافعها ومضارّها»، وكتاب «العقاقير». انظر: الفهرست، ص ٤١٣.

وقال الشيخ الرئيس: الحُمّاضُ منه بستانيٌّ ومنه بَرّيٌّ «يقال له: السِّلْقُ البَرّيّ، وليس في البَرّيِّ كلّه كما قال حموضة، بل لعلّ في بعضِه حموضة؛ والبَرّيُّ أقوى في كلِّ شيء، وطبعُه باردٌ يابسٌ في الثانية، وبِزْرُه باردٌ في الأُولى، يابسٌ في الثانية، وفيه قبض، وفي التَّفِه[1] منه تحليلٌ يسير، والحامضُ أقبَض؛ والذي ليس شديدَ الحموضةِ أغذَى، وهذا هو الشبيهُ بالهِنْدَبا؛ وكلّه يَقمَع[2] الصَّفراء؛ وخِلْطُه محمود؛ وأصلُه بالخَلِّ ينفع لتقشير الأظفار؛ وإذا طُبِخَ بالشّراب نفع ضمادُه من البرصِ والقُوباء؛ وقيل: إنّ أصلَه إذا عُلِّق في عنق صاحبِ الخنازير انتفَعَ به؛ وأصلُه بالخلّ للجرب المتقرِّحِ والقَوَابي، وطبيخُه بالماء الحارِّ ينفع من الحِكّة، وكذلك هو نفسُه في الحمّام؛ وإذا تُمضمِض بعُصارتِه نفع من وجع السنّ، وكذلك بمطبوخِه في الشّراب، وينفع من الأورام التي تحت الأذن؛ وينفع من اليَرَقان الأسوَدِ بالشّراب؛ ويسكِّن الغَثَيان؛ ويؤكل لشهوةِ الطِّين، وبزرُه يَعْقِلُ البطن؛ وقد قيل: إنّ في ورقِه تليينًا ما، وفي بِزرِه عَقْلٌ مطلق؛ وقال بعضُهم: إنّ بِزرَ الحُمّاضِ غيرَ مقلوٍّ فيه إزلاقٌ وتليين؛ وأصلُه مدقوقًا لسَيَلان الرَّحِم وتفتيتِ حَصاةِ الكُلْيةِ إذا شُرِبَ في شراب، واللُّزوجةُ الّتي فيه تنفع من السَّحج[3] العارِض من يُبْس الثُّفل[4]؛ وهو ينفع من لسع العقرب، وخصوصًا البَرّيّ؛ وإن استُعمِل بِزرُه قبلَ لسع العقرب لم يضرَّ لسعُها.

وأمّا الرّازِيَانَج وما قيل فيه ـ فقال ابنُ وحشيّة: إن أخذتم أخثاءَ[5] الخِنزير فخلطتموها بدمه، ولففتموها في شيءٍ من جِلدِه، ثم طمرتموها بالتراب الّذي له نَزٌّ[6] وفيه رطوبة، خرج عن ذلك الرّازِيانَج.

وقال الشيخ الرئيسُ أبو عليِّ بنُ سينا: «والرّازِيانَجُ نَبَطيٌّ وروميّ.

فأمّا النَّبَطيُّ ـ فمنه بَرّيّ، ومنه بستانيّ»؛ والبرّيُّ أشدُّ حرارةً ويُبْسًا، وأَولى بالثالثة؛ وأمّا البستاني فتكون حرارتُه في الثانية؛ قال: والرّازِيانَجُ يفتِّح السُّدَد، ويُحِدّ البصر، خصوصًا صَمْغَه، وينفع من ابتداء الماء، وزعم إبُقراطيس[7] أنّ

---

(١) التفه: الغث والقليل، وما ليس له طعم أو رائحة.

(٢) يقمع: يمنع. (٣) السحج: التقشّر.

(٤) التفل: ما يستقرّ في أسفل الشيء من كدرة. (٥) أخثاء: براز وخُرء.

(٦) نزّ: ما يتحلّب من الماء.

(٧) إبقراطس: من أشهر أطباء اليونان، يتعهد الأطباء في قسمهم بالتقيّد بمسلك قسمه المشهور. مات سنة ٣٧٧ ق.م.

الهوامّ[١] ترعَى بزرَ الرّازِيانَجِ الطّريّ ليقوّيَ بصرَها، والأفاعيَ والحيّاتِ تَحُكّ أعيانَها عليه إذا خرجتْ من مآويها بعد الشتاء استضاءةً للعين، ورَطْبُه يُغْزِر اللّبن، وخصوصًا البستانيّ، ويُدِرّ البولَ والطَّمْث، والبَرّيُّ خاصّةً يفتِّت الحصاة؛ وفيهما منفعةٌ للكُلْية والمَثانة؛ والبرّيُّ ينفع من تقطير البول، وينقّي النُّفَساء[٢]؛ وإذا أُكِلَ بِزْرُه مع أصلِه عَقَل؛ وينفع من الحُميَّات المُزْمِنة، وطبيخُه بالشّراب ينفع من نهشِ الهَوامّ؛ ويُدَقّ أصلُه ويُجعَل طِلاءً من عضّة الكَلْب الكَلِب.

«وأمّا الرّوميّ ـ وهو الّذي بِزرُه الأَنِيسُون» ـ فقال جالينُوس: هو حارٌّ في الثانية، يابسٌ في الثالثة. وقال الشيخ: هو مفتِّحٌ مع قبضٍ يسير، وهو مسكِّنٌ للأوجاع، محلِّلٌ للرّياح، وخصوصًا إن قُلِيَ، وفيه حدّةٌ يقارِب بها الأدويةَ المحرِقة وينفع من التهيّج في الوجه، وورم الأطراف؛ وإذا بُخِّر به واستُنْشِق برائحتِه سكّن الصُّداع؛ وإن سُحِق وخُلِط به دُهنُ الورد وقُطِر في الأذن أبرأ ممّا يَعْرِض في باطِنِها من صَدْعٍ عن صدمةٍ أو ضربة، وينفع من السَّبَل[٣] المُزْمِن، «ويسهِّل النَّفَس»[٤]، ويُدِرّ اللّبن، ويقطع العطشَ الكائنَ عن الرّطوبات البُورَقيّة؛ وينفع من سُدُدِ الكبدِ والطِّحال، ومن الرّطوبات؛ ويُدِرّ البولَ والطَّمْثَ الأبيض، وينقِّي الرَّحِمَ من سَيَلان الرّطوبات البيض، ويحرِّك الباه، وربّما عَقَل البطن، وهو يفتِّح سُدَدَ الكُلَى ويدفع ضررَ السُّموم والهَوامّ، والله أعلم.

وقال ابنُ وكيع في الرّازِيانَج: [من الرجز]

أَخَذتُ من كفِّ الغزالِ الأحوَرِ[٥] غصنًا من البَسباسِ ممطورًا طَرِي

كأنّه في عينِ كلِّ مبصِرِ مِذبّةٌ[٦] من الحريرِ الأخضرِ

وأمّا الكَرَفْس وما قيل فيه ـ فقال الشيخُ الرئيس: الكَرَفْسُ منه جَبَليّ ومنه برّيّ، ومنه بستانيّ، ومنه ما يَنبُت في الماء وبقُربِه؛ وهو أعظمُ من البستانيّ وقوّتُه كقوّته «ومنه نوعٌ يسمّى سُمُرْنِيُون» أعظمُ من البستانيّ أجوَفُ السّاق إلى البياض، وقد يختلف بالبلاد، فمنه روميّ، ومنه غيرُه؛ قال: وأقواه الروميّ ثمّ الجَبَليّ، وطبعُه في أولى

---

(١) الهوامّ: ما يدبّ من الحشرات وغيرها على الأرض، تطلق على الساقة خاصة.

(٢) النفساء: المرأة التي وضعت حديثًا. (٣) السبل: الغشاوة على العين.

(٤) النفس: حالة المرأة إثر وضعها ولدها.

(٥) الأحور: الذي في عينه حور، وهو شدّة بياض العين وسواد حدقتها.

(٦) المذبّة: ما يذبّ ويدفع به الذباب وغيره.

الحرارة، وثانيةِ اليُبُوسة . وقال رُوفُس: البستانيُّ رَطْبٌ إلّا أصلَه، فهو يابسٌ اتّفاقًا؛ قال: وهو محلِّلٌ للنَّفخ، مفتِّحٌ للسُّدُد، مسكِّنٌ للأوجاع؛ ومُربَّاه أوفق للمحرور[١]؛ والبَرّيُّ ينفع لداء الثّعلب، ولتشقيقِ الأظفار والثّآليل وشُقاقِ البَرْد؛ والبستانيُّ مطيِّبٌ للنَّكْهة جدًّا؛ والبَرّيُّ مقرِّحٌ إذا ضُمِدَ به ولذلك ينفع من الجربِ والقُوباءِ، ومن الجراحاتِ إلى أن تنختم، خصوصًا سُمُرْنِيُون، وسُمُرْنِيُون يوافِق جميعُ أجزائه عِرْقَ النَّسا؛ والكَرَفْسُ البستانيّ يَدخلُ في أضمدةِ أوجاعِ العين؛ وينفع من السُّعال، وخصوصًا سُمُرْنِيُون، وكذلك ضيقُ النَّفَس وعُسْرُه؛ وهو من أدويةِ أورام الثّدي الحارّة؛ وينفع الكبدَ والطِّحال؛ ويحرِّك الجُشاء[٢] لتحليلِه، وليس سريعَ الانهضام والانحدار، وفي بزرِ الكَرَفْسِ تغثيةٌ وتقيءٌ إلّا أن يُقْلَى؛ قال: وقال بعضهم: إنّ جميعَ أصلِه نافعٌ للمعدة. ويقولُ رُوفُس: لا، بل قد يَجْلِب إليها رطوباتٍ رديئةً حادّةً؛ وقال جالِينوس: إنّه ممّا يَصلُح أن يؤكلَ مع الخَسّ، فإنّه يَعْدِل بَرْدَ الخسّ، وبِزرُه ينفع من الاستسقاء، وينقِّي الكبدَ ويسخِّنها، وهو يُدِرّ البولَ والطَّمْث؛ وهو رديءٌ للحوامل؛ وهو ينقِّي الكُلْيَة والمَثانَة والرحِم، وينفع من عُسر البول، ويُخرِج المَشِيمة، خصوصًا سُمُرْنِيُون، ويَملأ الرَّحِمَ رطوبةً حِرّيفةً إذا أُدمِن أكلُه[٣]. قال: وقال بعضُهم: الكَرَفْسُ يهيِّج الباه، حتى قال: يجب أن تُمنَع المُرضِعَةُ من تناولِه لئلّا يفسد لبنها لهيجان شهوة الباه؛ والرّوميُّ جيّدٌ لقُولون والمَثانةِ والكُلْيَة؛ وطبيخُه مع العَدَس يُتقيَّأ به بعد شرب السّمّ؛ وإذا لسعت العقربُ مَن أكلَه اشتدّ به الأمر.

انتهى القسم الأول

---

(١) المحرور: من فيه حرارة وحمّى.

(٢) الجشاء: اضطراب النفس، والريح الذي يخرج من الفم مع صوت عند الشبع.

(٣) أدمن أكله: الدوام على أكله والاستمرار فيه.

القسم الثاني
من الفنّ الرابع في الأشجار

وفيه ثلاثة أبواب:

البابُ الأوّل
من هذا القسم من هذا الفنّ
فيما لثمره قشرٌ لا يؤكل

ويَشْتَمل هذا الباب على اللَّوْزِ والجَوْزِ والجِلَّوْزِ والفُسْتُقِ والشّاه بَلُّوط والصَّنَوْبَر والرّمّان والمَوْزِ والنّارَنْج واللَّيْمُون.

فأمّا اللَّوْزُ وما قيل فيه ـ فقال الشيخُ الرئيس في طبيعته: الحلوُ معتدِلٌ إلى رُطوبة، والمُرّ حارٌ يابسٌ في الثانية؛ وقال في أفعاله وخواصّه: في جميع أصناف اللّوْزِ جِلاءٌ وتنقيةٌ وتفتيح، لكن الحلو أضعفُ من المرّ في تفتيحه؛ لأنه ملطِّفٌ، ودُهنُه أخفُّ من جِرْمِه، والمرُّ ينفع من الكَلَف والنَّمَش والآثار، ويَبسُط تَشنُّجَ الوجه، وأصلُ المُرِّ إذا طُبِخَ وجُعِل على الكَلَف كان دواءً قويًا، وأكلُ اللَّوْزِ الحلوِ يسمِّن؛ والمُرَبَّى بالشَّراب جَيّدٌ للشَّرَى، ويُطْلَى به بالعسل الساعية[1] والنَّمْلة ويُطلَى به بالخَلّ أو بالشّرابِ على القَوَابِي[2]، والمُرُّ أبلغُ في ذلك؛ وهو جيّدٌ لوجع الأُذُن والدَّوِيّ فيها، وخصوصًا المُرَّ دهنًا ومسحوقًا بحاله وممسوحًا؛ وإذا غُسِل الرأسُ به وبالشرابِ نقّى الرّطوبةَ والحَزَازَ ونوَّم؛ وإذا شُرِبَ المُرُّ قبلَ الشرابِ مَنَع السُّكْر، وخصوصًا خمسين عددًا؛ وثمرُ اللَّوْزِ المُرِّ إذا دُقَّ ناعمًا وخُلِط بالخَلِّ ودُهْنِ الوردِ وضُمِد به الجبينُ نفع الصُّداع، وكذلك دُهنُ اللَّوْز المُرِّ ينفع منه؛ وهو يقوّي البصر؛ واللَّوْزُ المُرُّ مع نَشَا الحِنطةِ[3] جيّدٌ لنفْثِ الدَّم؛ وينفع من السُّعال المُزمِن والرَّبْوِ وذاتِ الجَنْب، وخصوصًا دُهنَ الحلو؛ وسَوِيقُ اللَّوْزِ نافعٌ من السُّعال ونَفْثِ الدّم؛ وهو يفتّح سُدَدَ

---

(١) الساعية: نوع من أنواع النملة، وهي عبارة عن بثور وتورّمات في الجلد.

(٢) القوابي، القوبياء، أو جمع القوبياء: وهي الحزاز، وتقشّر الجلد.

(٣) نشا الحنطة: مادتها النشوية، والحنطة: القمح.

الكبد والطِّحال، وخصوصًا المُرّ، فإنه يفتِّح السُّدُدَ العارضةَ في أطراف العروق؛ وإذا أُكِل الطريُّ بقشرِه نقّى بِلَّةَ المعدة؛ وهو عَسِرُ الهضم، جيّدُ الخِلْط، قليلُ الغذاء؛ وإذا كان بالسُّكّر انحدَرَ سريعًا، ودُهنُ المُرِّ ينقّي الكُلْيَةَ والمَثانة ويفتِّت الحَصاة، خصوصًا مع الإيْرِساء[1] شُرْبًا، وربّما نفع ضِمادًا معه ومع دُهن الوَرد؛ وينفع لأوجاع الرَّحِم وأورامِها الحارّةِ وصلابتِها وعُسْرِ البولِ ووجعِ الكُلَى؛ ويُحْتمل فيُدِرّ الطَّمْث؛ والحلوُ نافعٌ من القُولَنْج لِجلائه؛ والمُرُّ أنفع، ودُهنُه أخفُّ من جِرْمِه. قال: وينفع من عضّة الكَلْب الكَلِب[2].

وأمّا ما وصفه به الشعراءُ وشبّهوه ـ فمن ذلك قولُ ابن المعتزّ[3]: [من الطويل]

ثلاثةُ أثوابٍ على جسدٍ رَطْبِ ... مُخالِفةُ الأشكالِ من صنعة الرَّبِّ
تقيه الرَّدَى[4] في ليلِه ونهارِه ... وإن كان كالمسجون فيها بلا ذنبِ

وقال آخَر: [من المنسرح]

أما تَرَى اللَّوْزَ حين تُرْجِله[5] ... عن الأفانين[6] كَفُّ مقتطِفِ
وقشره قد جلا القلوبَ لنا ... كأنّها الدُّرّ داخلَ الصَّدَفِ

وقال آخَر: [من مجزوء الرجز]

جاء بلوزٍ أخضر ... أصغَرُه ملءُ اليَدِ
كأنّما زِئْبِرُه[7] ... نَبْتُ عذارِ الأمردِ[8]
كأنّما قلوبُه ... من توأمٍ ومفرَدِ
جواهرٌ لكنّما الـ ... ـأصداف من زبرجدِ

---

(١) الإيرِيساء: ضرب من الحشائش المزهرة، فيه عقد كثيرة.
(٢) الكِلب: الذي يسبب عضّة داء الكلب المعروف.
(٣) ابن المعتزّ: هو أبو عبد الله، الأمير العباسي، والخليفة الذي حكم يومًا وليلة، وذلك بعد خلع المقتدر. له ديوان شعر مشهور، وله كتاب «البديع». مات خنقًا سنة ٩٠٨ م. انظر: التنبيه والإشراف، للمسعودي ص ٣٢٦ ـ ٣٣٧، دار صعب، بيروت.
(٤) الردى: الهلاك والموت. (٥) ترجله: تنزله.
(٦) الأفانين والأفنان: جمع فنن، وهو الغصن والفرع.
(٧) زئبره: وبره. (٨) عذار الأمرد: جانب لحيته.

وقال أبو طالب المأموني: [من البسيط]

ومستجِنٌ[١] عن الجانين ممتنعٍ ... بحُلّةٍ لم تَحُكْها كفُّ نسّاجِ
دُرٌّ تكوَّنَ من عاجٍ تضمَّنه ... في البَرِّ لا البحرِ أصدافٌ من السّاجِ[٢]

وقال آخَرُ في لوزةٍ بقلبين: [من الطويل]

ومُهْدٍ إلينا لوزةً قد تضمَّنتْ ... لمبصرِها قلبين فيها تَلاصَقا
كأنهما حِبّانِ[٣] فازا بخلوةٍ ... على رِقْبةٍ[٤] في مجلسٍ فتعانَقا

وأمّا الجَوْزُ وما قيل فيه ـ فقال الشيخ: هو حارٌّ، ودِرْياقُه للمحرورين السَّكَنْجَبين، ولضعفاءِ المعدةِ المُرَبّى بالخَلّ؛ وهو حارٌّ في الثانية يابسٌ في أوّلها ويُبْسُه أقلُّ من حَرِّه، وفيه رطوبةٌ غليظةٌ تَذهَب إذا عَتُق.

وأمّا أفعالُه وخواصُّه؛ ففي مقلوِّه قبض، وورقُه وقشرُه كلُّه قابضٌ للنَّزْف؛ وقشرُه المُحرَقُ مجفِّفٌ بلا لَذْع، ودُهنُ العَتيقِ منه كالزّيت العَتِيق، وجِلاءُ العَتِيقِ قوي، ولُبُّه الممضوغُ يُجعَل على الورم السّوداويِّ المتقرِّحِ فينفع؛ وصَمْغُه نافعٌ للقُروح الحارّةِ منثورًا عليها وفي المَراهم؛ وهو مع عسل وسَذابٍ ينفع التواءَ العَصَب؛ وعُصارةُ ورقِه تُفتَّر وتُقطَر في الأُذُن فتنفع من المِدّة[٥]. وقيل: إنّه مثقِّلٌ للّسان مبثِّرٌ للفم[٦]، وعُصارةُ قشرِه ورُبّه يمنع الخُناقَ، ويضرّ بالسُّعال؛ وهو عَسِرُ الهَضْم رديءٌ للمعدة، والمُرَبّى والرَّطْبُ أجوَدُ للمعدة وأقلُّ ضررًا؛ والمُرَبّى بالعسل نافعٌ للمعدة الباردة، وقشرُه يَحبِس نَزْفَ الطَّمْث؛ والمُرَبّى نافعٌ للكُلْية الباردة؛ ورَمادُ قشره يَمنع الطَّمْثَ شُرْبًا بالشراب وحَمْلًا؛ والجَوْز مع التينِ والسَّذابِ دواءٌ لجميع السُّمُومِ ومع البصلِ والملحِ ضمادٌ على عضّة الكلب الكَلِب وغيرِه.

وأمّا ما وصفه به الشعراءُ وشبّهوه ـ فمن ذلك قولُ شاعر: [من مجزوء الرجز]

جاء بجوزٍ أخضرِ ... مكسَّرٍ مقشَّرِ
كأنّما أرباعُه ... مُضْغةُ عِلْكِ الكُنْدُرِ

---

(١) مستجِنّ: مختفٍ، مستور.
(٢) الساج: ضرب من الخشب الجيد الصلب. والساج: الطيلسان الواسع المدوّر.
(٣) حبّان: مثنّ حِبّ، وهو المحبّ العاشق. (٤) الرقبة: الحراسة والتحفّظ.
(٥) المِدّة: ما يجتمع في الجرح من القيح. (٦) مبثّر للفم: يحدث فيه بثورًا وجروحًا.

وقال آخَر: [من الكامل]

والـجَـوزُ مـقـشـورٌ يـروق كـأنّـه لونًا وشكلًا مُصْطَكَى[١] ممضوغُ

وقال أبو طالب المأمونيّ: [من الكامل]

ومحقّقِ التدويرِ يَبعُد نفعُه مِن كفِّ من يجنيه ما لم يُكسَرِ
دُرٌّ يَسُوغ لآكليه يضمُّه صدفٌ تكوَّنَ جسمُه من عَرْعَرِ[٢]
متدرِّع في السِّلْمِ فوقَ غِلالةٍ[٣] دِرْعًا مظاهَرةً بثوبٍ أخضرِ

وأمّا الجِلَّوْزُ وما قيل فيه ـ فالجِلَّوْز، هو البُنْدُق، وقد سَمَّى ابنُ سينا الصَّنَوْبَرَ بالجِلَّوْز، وقال في البُنْدُق: هو إلى حرارةٍ ما ويُبوسةٍ قليلة، وفيه من القبض أكثرُ ممّا في الجَوْز، وفيه نَفْخ، ويولِّد الرّياحَ في البطن؛ وإذا قُلِيَ وأُكِلَ مع فُلفُلٍ قليلٍ أنضج الزُّكام؛ وقال أبُقراط: البُنْدُقُ يزيد في الدّماغ، وإذا أُكِلَ بماءِ العسل نفعَ من السُّعال المُزمِن، وهو بطيءُ الهَضْم، ويهيِّج القيء، وينفع من النُّهوش وخصوصًا مع التِّين والسَّذاب للدغ العقرب.

وأمّا ما وصَفه به الشعراءُ وشبّهوه ـ فمن ذلك قولُ شاعر: [من الكامل]

ولقد شربتُ مع الغزال مُدامةً[٤] صفراءَ صافيةً بغيرِ مِزاجِ
فتَفضَّل الظَّبيُ الغَريرُ[٥] ببُنْدُقٍ شبّهتُه ببنادقٍ من ساجِ
وكسرتُه فرأيتُ صوفًا أحمرا قد لُفَّ فيه بنادقٌ من عاجِ

وقال ابنُ رافع: [من الرجز]

جِلَّوْزَةٌ من كفِّ ظبيٍ غَزِلِ[٦] رَمَى بها نحوي كمِثلِ جُلْجُلِ[٧]
أو كُرَةٍ في ثُلْثٍ من صَنْدَلِ[٨] تُكسَر عن حريرةٍ لم تُغزَلِ
محمّرةٍ فوق بياضٍ يعتلي من حسنها المستطرَفِ المستكمَلِ

* في مَطْعَمِ الشُّهْدِ وعَرْفِ[٩] المَنْدَلِ[١٠] *

(١) المصطكى: شجر له ثمر يميل طعمه إلى المرارة ويستخرج منه صمغ يعلك.
(٢) العرعر: جنس شجر من فصيلة الصنوبريات. (٣) غلالة: شعار أو ثوب رقيق.
(٤) المدامة: الخمرة. (٥) الغرير: البهيّ الشاب.
(٦) غزل: فيه ضعف عن السّعي. (٧) الجلجل: الجرس الصغير أو الكبير.
(٨) الصندل: جنس من الشجر الهندي زهره أبيض، وخشبه طيّب الرائحة.
(٩) العرف: الرائحة الذكيّة. (١٠) المندل: العود الطيّب الرائحة.

وأمّا الفُسْتُق وما قيل فيه ـ فقال ابنُ وحشيّةَ في توليده: وإن أردتم فُسْتُقًا فخذوا كبدَ الماعز فشقّوها، وادفنوا فيها عَظْمَ صُلْبِ الطّاووس[١]، وأَهْرِقوا فوقَها عُصارةَ الشّاهْتَرَج، واطمِروها في الأرض؛ فإنه بعد سبعةٍ وعشرين يومًا تَخْرُج منها شجرةُ الفُسْتُق.

وقال الشيخ الرئيس: طبعُه أشدُّ حرارةً من الجَوْز؛ وهو حارٌّ يابسٌ في آخِر الثانية، وفيه رطوبة، وزعم بعضُهم أنّه بارد، وقد أخطأ، وهو يفتّح سُدَدَ الكبدِ لمرارتهِ وعطريّتِه، وفيه عفوصة[٢]؛ وغِذاؤه يسيرٌ جدًّا، وهو جيّدٌ للمعدة، خصوصًا الشاميَّ الشبيهَ بحَبّ الصَّنَوْبَر، وهو يفتّح منافذَ الغِذاء، ودُهْنُه ينفع من وجع الكبد الحادثِ من الرطوبة والغلظ. قال: فإن قال قائل: «لم أجد له في المعدةِ كبيرَ مَضَرّةٍ ولا منفعة». أقول: بل يَمْنَع الغَثَيانَ، وتَقَلُّبَ المعدة، ويقوّي فمَها؛ وهو ينفع من نَهْشِ الهَوامّ، خصوصًا إذا طُبخ بالشّراب.

وأمّا ما وصفه به الشعراءُ وشبّهوه ـ فمن ذلك ما قاله أبو إسحٰق الصّابي[٣]: [من مخلع البسيط]

والنَّقْل[٤] من فُسْتُقَ حديثٍ ... رَطْبٍ تَبدّى به الجَفافُ
لي فيه تشبيهُ فيلسوفٍ ... ألفاظُه عذبةٌ خِفافُ
زُمُرُّدٌ صانه حريرٌ ... في حقٍّ[٥] عاجٍ له غِلافُ

وقال آخَر: [من الطويل]

زُمُرّدةٌ ملفوفةٌ في حريرةٍ ... لها حُقُّ عاجٍ في غِلافِ أديمِ[٦]

وقال أبو بكر الصَّنَوْبَريّ[٧]: [من الطويل]

وحظّيَ من نَقْلٍ إذا ما نَعتُّه ... نَعَتُّ لَعَمري منه أحسنَ منعوتِ

---

(١) صلب الطاووس: ظهره.
(٢) عفوصة: مرورة، كأنها مرورة العفص، وهي المزازة أو المزوزة.
(٣) الصابي: هو أبو إسحٰق إبراهيم الصابىء الحراني، خدم بني بويه، اشتهر برسائله المعروفة بـ«رسائل الصابي»، عالم بالفلك، وله ديوان شعر، مات سنة ٩٩٤ م.
(٤) النقل: ما يؤكل على الشراب.
(٥) حقّ: وعاء.
(٦) الأديم: الجلد.
(٧) هو أبو بكر الصنوبري، واسمه أحمد. شاعر عاش في بلاط سيف الدولة وتغنّى بجمال الطبيعة، له ديوان «الروضيّات»، مات سنة ٩٤٦ م.

من الفُسْتُق الشاميّ كلُّ مَصونةٍ ... تُصان عن الأحداق في بطن تابوتِ
زبـرجـدة مـلفـوفـة فـي حـريـرةٍ ... مـضـمَّـنـة دُرًّا مـغـشًّـى بـيـاقـوتِ

وقال آخَر: [من المجتثّ]

وفُـسْـتُـقَ مـسـتَـلذٌّ ... من بعد شُرب الرَّحِيقِ[1]
كـأنـه حـيـن تـرنـو ... إلـيـه عـيـنُ الـرَّمـوقِ[2]
حُـقٌّ مـن الـعـاج يَـحْـوِي ... زبـرجـدًا فـي عـقـيـقِ

وقال آخَرُ يصف الضّاحك: [من الطويل]

ومُهدٍ إلينا فُسْتُقًا غيرَ مُطْبَقٍ ... به زاد إحسانًا على كلِّ محسنِ
كأنّ انفتاحًا منه دَلَّ على الّذي ... به من كَمينٍ في حَشاه مضمَّنِ
ظماءٌ من الأطيار حامت ففَتَّحتْ ... مناقيرَها ثم استعانت بألسُنِ

وقال آخَر: [من البسيط]

أُنظر إلى الفُسْتُق المجلوبِ حين أتى ... مشقَّقًا في لطيفاتِ الطَّوامير[3]
والقلب ما بين قشرَيه يلوح لنا ... كألسُنِ الطّير من بين المناقيرِ

وقال آخَر: [من البسيط]

كأنّما الفُسْتُق المملوحُ حين بدا ... مفتَّحَ القشر موضوعًا على طبقِ
وقد بدا لُبُّه لـلعيـن، ألسـنـةٌ ... للطّيرِ عطشَى بها شيءٌ من الرَّمَقِ[4]

وقال آخَر: [من مجزوء الرجز]

وضـاحـكٍ أجـفـانُـه ... لـم تَـكـتـحِـلْ بـالـوَسَـنِ[5]
لـم أدرِ عـن أفـئـدةٍ ... تَـبـسِـمُ أم عـن ألـسُـنِ
كـعـاشـقٍ كـلّـفـه الـ ... ـغـرامُ مـا كـلّـفـنـي
إذا أخـذتَ قـلـبَـه ... لـم يـنـتـفـع بـالـبـدنِ

---

(١) الرحيق: الخمرة.
(٢) الرموق: الناظر بلهفة وحبّ.
(٣) الطوامير: جمع طومار، وهو الرقّ والورق.
(٤) الرمق: بقية الروح في الجسم.
(٥) الوسن: النعاس.

وقال أبو بكر بنُ القُرْطُبيّة: [من مجزوء الخفيف]

صَـدفٌ أبـيـضٌ نَـقِـي ... ذو بَـهـاءٍ ورونـقِ[١]
سـافـر عـن زبـرجـد ... أخـضـرٍ فـيـه مـطـبَـقِ
كـلُّ صبـغٍ يُعزَى إلـى ... لـونِـه قـيـل فُـسْـتُـقِي

وأمّا الشّاه بَلُّوط وما قيل فيه ـ فالشّاه بَلُّوط هو القَسْطَل؛ قال ابنُ وحشيّة: وإن أردتم الشّاه بَلُّوطَ فخذوا كُلْيتي الخِنزيرِ وقرني غزال، فاْغرِزوا في طرفي القرنين الكُلْيتين، وادفنوا ذلك في الأرض، واسقوه من الماء بقدرِ وصولِه إليه، فإنّه يُنبِت في أربعةٍ وعشرين يومًا شجرةً تَحْمِل الشّاه بَلُّوط. . .

قال شاعرٌ يصفه: [من المنسرح]

يا حبّذا القَسْطَلُ المجرَّدُ عن ... قشرَيْه بعد الجَفافِ في الشجرِ
كـأنّـه أوجُـهُ الـصّـقـالِـبةِ[٢] ... البيضِ وفيها تَكرمُشُ[٣] الكِبَرِ

وأمّا شجر الصَّنَوْبَر وما قيل فيه ـ فشجر الصَّنَوْبَر صِنفان، ذَكَرٌ وأُنثى؛ فالذَّكر هو الأَرْز، وهو لا يُثْمِر، ومنه القَطِران؛ والأنثى صِنفان، صِنفٌ كبيرُ الحَبّ، وصِنفٌ صغيرُه، يسمّى قَضْمَ قريش.

وقال أبو بكر بنُ وحشيّةَ في توليده: خذوا من شجرة الخُرْنُوب الشاميّ من عروقها الطّوال، فلُفّوها على قرنَيْ ثور، وانقَعوها في الزّيت سبعةَ أيّام، ثمّ اجعلوها في الأرض، واسحقوا الكُنْدُر وذُرُّوه عليها إذا غُرِستْ، فإنّها تُنبِت شجرَ الصَّنَوْبَر.

وقال الشيخ الرئيس أبو عليّ بنُ سينا فيه ـ وسمّاه الجِلَّوْز ـ وقال: هو حَبُّ الصَّنَوْبَر الكبار، وهو أفضلُ غِذاءً من الجَوْز، لكنّه أبطأ انهضامًا؛ وهو مركَّبٌ من جوهرٍ مائيٍّ وأرضيّ، والهوائيّةُ فيه قليلة؛ قال: وفي لحاءٍ[٤] شجرِه قبض كثير؛ والدُّودُ الّذي فيه في قوّة الذّراريح[٥]؛ ولِحاؤه ينفع من إحراق الماء الحارّ، «ويُلصِق

---

(١) الرونق: البهجة والحسن.
(٢) الصقالبة: أناس ينسبون إلى صقلية، من الرّوم،عاشوا في ظهراني العرب، في الأندلس خاصةً.
(٣) تكرمش: تكرّش، وضخامة وغلظ. (٤) لحاء الشجر: قشره.
(٥) الذراريح: ضرب من الديدان والدّويبات.

الجراحات ذَرُورا»[١]، ومن القُروح الحَرْقيّة؛ وفيه قوّةٌ مُدْمِلة[٢]، وفي لحائه من القبض ما يَبلُغ أن يشفِيَ السَّحْجَ إذا وُضِع عليه ضِمادًا أو ذَرُورًا؛ ويَصْلُح لمواقع الضربة ويَدْمُل، وورقُه أصلح لذلك لأنّه أرطب؛ والغَرْغَرة بطبيخ قشره تَجْلِب بلغمًا كثيرًا، وإذا سُلِق لحاؤه بالخَلّ وتُمُضْمِض به نفع وجعَ الأسنان؛ ودخانُه نافعٌ من انتثار الأشفار[٣]. قال: ويغذو غِذاء قويًّا غليظًا غيرَ رديء؛ ويَصلُح للرّطوبات الفاسدةِ في الأمعاء؛ وهو بطيءُ الهضم، ويُصلِحُ هضمَه: أمّا للمبرودين فالعسل وللمحرورين فالطَّبَرْزَد، ويَزداد بذلك جُودةَ غِذاء؛ والمنقوعُ منه في الماء تَذهَب حِدّتُه وحَرافتُه ولَذْعُه؛ ويُبْرِىء من أوجاع العَصَبِ والظّهرِ وعِرْق النّسا؛ وهو نافعٌ للاسترخاء، وينقّي الرِّئةَ ويُخْرِج ما فيها من القَيْح والخِلْطِ الغليظ، ويهيِّج الباه، وخصوصًا المُرَبَّى منه، وينفع من القَيْح والحَصاة في المَثانة؛ وهو مع التّمر والتّين ينفع من لدغ العقرب.

وقال في قَضْم قريش: إنّه جيّدٌ لقروح الكُلَى والمَثَانة.

وأمّا ما وُصِف به الصَّنَوْبَر وشُبِّه به من الشِّعر ـ فمن ذلك قولُ بعض الشعراء: [من السريع]

صَـنَـوْبَـرٌ أطـيَـبُ مـوجـودِ ... نـلتُ بـه غـايـةَ مـقـصـودِي
كـأنّـه حـيـن حـبـانـي[٤] بـه ... مـن خُـصَّ بـالإنـعـامِ والـجُـودِ
حَـبُّ لآلٍ[٥] مُـشْـرِقٌ لـونـه ... فـي جَـوْفِ أدراجٍ مـن الـعُـودِ[٦]

ونحوه قول الشاعر: [من السريع]

صَنَوْبَرٌ ظَلْتُ به مُولَعًا ... لأنّـه أطـيَـبُ مـوجـودِ
كـأنّه الـكـافـورُ في لـونِه ... تـحـويـه أدراجٌ مـن الـعُـودِ

وقال أبو بكر الصَّنَوْبَرِيّ ـ وذَكَر انتسابَه إليه ـ: [من المنسرح]

وإذ عُـزِيـنـا إلـى الـصَّـنَـوْبَـر لـم ... نُـعْـزَ إلـى خـامـلٍ مـن الـخـشـبِ

---

(١) ذرورًا: ما يذرّ في العين أو على الجرح كدواء.
(٢) مدملة: مبرئة من الدمامل. (٣) الأشفار: أصول منابت شعر الأجفان للعين.
(٤) حباني: أعطاني.
(٥) لآل: جمع لؤلؤة، وهي واحدة اللؤلؤ المستخرج من البحر، للزينة.
(٦) العود: ضرب من النبات يحرق فتنتشر منه رائحة ذكيّة، يتبخّر به.

لا بل إلى باسِقٍ[١] الفروعِ علا مناسِبًا في أَرُومة[٢] الحَسَبِ
مِثل خِيامِ الحرير تَحْمِلها أعمدةٌ تحتها من الذَّهبِ
كأنّ ما في ذُراه من ثمرٍ طيرٌ وقوعٌ على ذُرا القُضُبِ
باقٍ على الصّيفِ والشّتاءِ إذا شابت رؤوسُ النباتِ لم يَشِبِ
محصَّن الحَبِّ في جَواشِنَ[٣] قد أَمِنَّ في لُبْسِها من الحَرَبِ
حَبٌّ حَكى الحُبَّ صِينَ في قُرُب الـ ـأصداف حتّى بدا من القُرُبِ
ذو نَثَّةٍ[٤] ما يُنال من عنبٍ ما نِيلَ من طِيبِها ولا رُطَبِ
يا شجرًا حَبُّه حداني أن أَفْدِي بأُمِّي مَحبّةً وأبي
فالحمد لله إنّ ذا لقبٌ يزيد في حسنهِ على النَّسبِ

وقال ابنُ رافع القَيْروانيّ: [من الرجز]

يا حسنَه في العين من صَنَوْبَرِ يَحْكِي لنا جماجمًا من عنبرِ
يُفْلَق عن حَبٍّ إذا لم يُكْسَرِ مُصَنْدَلٍ[٥] إن شئتَ أو مُعَصْفَرِ[٦]

* كمِثْلِ أصدافِ نفيسِ الجوهرِ *

وأمّا الرُّمّان والجُلّنار ـ فقال الشيخُ الرئيسُ أبو عليّ بنُ سينا: الرمّان الحلوُ منه باردٌ إلى الأولى رَطْبٌ فيها؛ والحامضُ يابسٌ في الثانية؛ والحامضُ يَقْمَع الصّفراء، ويَمنع سَيَلان الفُضول إلى الأحشاء، وخصوصًا شَرابَه، وهو جَلّاء مع القبض؛ وحَبُّ الرّمّان مع العسل طِلاءٌ للدّاحِس[٧] والقُروحِ الخبيثة؛ وأقماعُه للجراحات، ولا سيّما المُحرَقة. قال: والحلوُ مليِّن، وجميعُه قليلُ الغِذاء جيّدُه؛ والمُرُّ منه ربّما كان أنفعَ للمعدة من التُّفّاح والسّفرجل، لكنّ حَبَّه رديء؛ وأقبَضُ أجزائه الأقماع. قال: وحَبُّ الرّمّان بالعسل ينفع من وجع الأُذُن، وهو طِلاءٌ لباطن الأنف؛ وينفع حبُّه مسحوقًا مخلوطًا بالعسل من القُلَاعِ[٨] طِلاء؛ وإن

---

(١) باسق: عالٍ. (٢) أرومة: أصل.
(٣) جواشن: جمع جوشن، وهي الدّرع.
(٤) نثّة: نزّة، والواحدة من النثّ، أي السيلان الضعيف.
(٥) مصندل: فيه طعم الصندل ورائحته، الخشب المشهور الطيّب الرائحة.
(٦) معصفر: فيه لون العصفر، ضرب من النبت يشبه الزعفران وزهره.
(٧) الداحس: ضرب من الأورام تعرض لأصابع اليد أو الرجل.
(٨) القلاع: بثور وأورام تصيب اللّسان والحلق.

طُبِخَتْ الرّمّانةُ الحلوةُ بالشراب ثم دُقّتْ كما هي وضُمِدت بها الأُذُنُ نَفَعَ من ورمِها منفعةً جيّدة؛ وشَرابُ الرّمّان ورُبُّه نافعان من الحُمار، وعُصارةُ الحامض تنفع من الظَّفَرة[١]؛ وهو يخشِّن الصّدرَ والحَلْق، والحلوُ يليّنهما ويقوّي الصّدر؛ وإذا سُقِيَ حَبُّ الرّمّان في ماء المطر مَنَع نَفْثَ الدّم؛ وجميعُه ينفع من الخفقان، ويجلو الفؤاد؛ والمُرُّ ينفع من التهاب المعدة، والحلوُ يوافق المعدة؛ والحامضُ يضرُّها، ومع ذلك فحَبُّ الرّمّان يضرّ المعدة، وسَوِيقه مصلِحٌ لشهوة الحَبالَى، وكذلك رُبُّه، خصوصًا الحامضَ؛ ويمُصُّه المحمومُ بعد غِذائه فإنّه يمنع صعودَ البخار. قال: والحامضُ أكثرُ إدرارًا للبول من الحلو، وكلاهما مُدِرّ؛ وسَوِيقُ الرُّمّان ينفع من الإسهال الصَّفراويّ، وقُشورُ أصلِ الرّمّان بالنَّبيذِ تُخرِج الدِّيدان. قال: والحلوُ يضرّ أصحابَ الحُمَّيات الحارّة.

وقال في الجُلَّنار: هو زهرُ رُمّانٍ بَرّيّ، فارسيّ أو مصريّ، قد يكون أحمرَ وقد يكون أبيضَ، وقد يكون مورّدًا، وعُصارتُه في طبعِها كعُصارة لحية التَّيْس؛ قوّتُه قوّةُ شحم الرّمّان؛ وطبعُه باردٌ في آخر الأُولى، يابسٌ في الثانية؛ وأفعالُه وخواصُّه، هو مُغَرٍّ، حابسٌ لكلّ سَيلان، ويولِّد السّوداء؛ وهو جيّدٌ للّثةِ الدّامية، ويَدْمُل الجراحاتِ والقُروحَ والعُقورَ[٢] والشُّجوجَ[٣] ذَرُورا؛ وهو يقوّي الأسنانَ المتحرّكة، وهو يَعْقِل، وينفع من قروح الأمعاء وسَيلانِ الرَّحِم ونَزْفِها.

وأمّا ما قيل فيهما من الشعر ـ فمن ذلك ما وُصِف به الرّمّان وشُبِّه به، قال أبو هلال العسكريّ: [من الوافر]

حَكَى الرُّمّانُ أوّلَ ما تَبدَّى ... حِقاقَ[٤] زبرجدٍ يُحشَون دُرّا

فجاء الصيفُ يحشوه عقيقا ... ويكسوه مُرورُ القيظِ[٥] تِبْرا[٦]

ويَحكِي في الغصون ثُدِيَّ حُورٍ[٧] ... شَقَقن غلائلًا عنهنّ خُضْرا

---

(١) الظفرة: ضرب من اللّحميات الزائدة تظهر في بياض العين، تشبه الظفر، وقد تمتدّ إلى حدقة العين فتغطّي قسمًا منها، أو تغطّيها كلها.

(٢) العقور: جمع عقر، وهو الجرح.

(٣) الشجوج: جمع شجّ، وهو أثر الضّربة في الجلد.

(٤) حقاق: جمع حقّة وحقّ، وهو الوعاء الصغير.

(٥) القيظ: الصيف، وشدّة الحرّ.

(٦) التبر: الذهب غير الخالص أو المصفّى.

(٧) حور: فيهنّ حور، وهو بياض العين الناصع والسواد الحالك.

وقال آخَر: [من الطويل]

خذوا صفةَ الرّمّان عنّي فإنّ لي | بيانًا عن الأوصاف غيرَ قصيرِ
حِقاقٌ كأمثال الكُراةِ تضمّنتْ | فصوصَ بَلَخْشٍ[1] في غشاءِ حريرِ

وقال آخَر: [من البسيط]

لله رُمّانةٌ من فوق دَوْحَتِها[2] | مِثالُها ببديعِ الحُسنِ منعوتُ
فالقِشْرُ حُقٌّ نُضارٍ[3] ضُمَّ داخِلُه | والشَّحْمُ قطنٌ له والحَبُّ ياقوتُ

وقال آخَر: [من الكامل]

رمّانةٌ صَبَغَ الزُّمانُ أديمَها | فتبسّمتْ في خُضرةِ الأغصانِ
فكأنّما هي حُقّةٌ من صَنْدَلٍ | قد أُودِعَتْ خَرَزًا من المَرْجانِ

وقال ابنُ قَسِيم الحمويّ: [من المتقارب]

ومحمرّةٍ من بناتِ الغُصو | نِ يمنعها ثِقْلُها أن تَميدا
منكّسةِ التّاجِ في دَسْتِها | تفوق الخدودَ وتَحْكِي النُّهودا
تُفَضُّ[4] فتَفْتَرُّ[5] عن مَبْسِمٍ | كأنّ به من عَقيقٍ عُقودا
كأنّ المَقابِلَ من حسنِها | ثُغورٌ تقبِّلُ منها خدودا

وقال آخَر: [من البسيط]

رمّانةٌ مِثلُ نَهْدِ الكاعب الرِّيمِ[6] | تُزْهَى بشَكلٍ ولونٍ غيرِ مذمومِ
كأنّها حُقّةٌ من عسجدٍ[7] مُلِئتْ | من اليواقيت نَثْرًا غيرَ منظومِ

وقال محمّد بنُ عمرَ المقرىء الكاتب: [من الوافر]

ورمّانٍ رقيقِ القشرِ يَحْكِي | ثُدِيَّ الغِيدِ[8] في أثواب لاذٍ[9]
إذا قشّرتُه طلعتْ علينا | فصوصٌ من عَقيقٍ أو بَجَاذِي[10]

---

(١) بلخش: ضرب من الجواهر.
(٢) الدوحة: الشجرة الكبيرة الملتفّة الأغصان.
(٣) النضار: الذهب.
(٤) تفضّ: تفتح.
(٥) تفترّ: تنشق.
(٦) الريم: الظبي أو ولده، شبه به المرأة.
(٧) العسجد: الذهب.
(٨) الغيد، جمع غيداء، وهي الحسناء التي فيها غيد، والغيد: بياض العنق وتلوّيه.
(٩) اللاذ: ضرب من الثياب الحريرية الحمر.
(١٠) البجاذي: ضرب من الحجارة الكريمة.

وقال آخَر: [من المنسرح]

ولاح رمّـانُـنـا فـأبـهَـجَـنـا بـيـن صـحـيـحٍ وبـيـن مـفـتـوتِ
مـن كـلّ مـصـفـرّةٍ مـزعـفَـرةٍ تـفـوق فـي الـحُـسنِ كـلَّ مـنعوتِ
كـأنـهـا حُـقّـةٌ فـإن فُـتِـحَـتْ فـصُـرّةٌ مـن فـصـوصِ يـاقـوتِ

وقال آخَر: [من المتقارب]

ولابـسـةٍ صـدفًـا أصـفـرًا أتـتـك وقـد مُـلِئَتْ جـوهـرًا
حُـبوبًا كـمِـثـلِ لِثـاتِ الـحـبيب رُضـابًـا[1] إذا شـئـتَ أو مَـنْـظَـرًا

وقال آخَر: [من الكامل]

طعمُ الوصال يَصُونُه طعمُ النّوى سـبـحـانَ خـالـقِ ذا وذا مـن عُـودِ
فـكـأنّـهـا والـخُـضْـرَ مـن أوراقِـهـا خُضْرُ الثّياب على نـهـود الغِـيـدِ

وأنشدني الشيخ شهابُ الدين أحمدُ بنُ الجبّاس الدِّمياطيُّ لنفسه في ذي الحِجّةِ سنةَ ثلاث عشرة وسبعمائة في رمّانةٍ مشقوقةٍ يتساقط منها الحَبّ: [من الكامل]

كَتَمتْ هوًى قد لَجَّ في أشجانِها[2] وحشَتْ حَشاها من لظى نِيرانِها
فتشقّقَتْ من حُبِّها عن حَبِّها وجدًا[3] وقد أبدت خفا كتمانِها
رمّـانـة تَـرْمِـي بـهـا أيـدِي الـنّـوى من بعد ما رُمّتْ[4] على أغصانِها
فأعجَبْ وقد بكَتْ الدُّموعَ عقائقا[5] لا مِـن مـآقـيـهـا ولا أجـفـانِـهـا

ومنه ما وُصِف به الجُلّنار ـ قال أبو فِراس الحمدانيّ[6]: [من مجزوء الرجز]

وجُـلّـنـارٍ مُـشـرِقٍ عـلى أعـالِي الـشـجـرَه

(١) رضابًا: ريقًا.
(٢) أشجانها: أحزانها.
(٣) وجدًا: حبًا، وهيامًا.
(٤) رمّت: تقبّضت، واجتمعت.
(٥) عقائق: جمع عقيقة، واحدة العقيق، الحجر الكريم المعروف.
(٦) هو أبو فراس الحمداني، واسمه الحارث، أميرٌ وشاعر، وابن عم سيف الدولة الحمداني أمير حلب. حارب ضدّ الروم وأسر في خرشنة والقسطنطينية، قتل سنة ٩٦٨ م. له الرّوميات، وهي القصائد التي قيلت في سجون الروم.

كـأنّ فـي أغـصـانِـه أحـمـرَه وأصـفـرَه
قُـراضـةٌ(١) مـن ذهـبِ في خِرْقةٍ معصفَرَه(٢)

وقال ابنُ وكيع: [من المجتث]

وجُـلّـنـارٍ بـهـيٍّ ضِـرامُـه يـتـوقّـدْ
بـدا لـنـا فـي غـصـونٍ خضـرٍ من الرّيِّ مُـيَّـدْ(٣)
يَـحْـكِـي فـصـوصَ عَـقـيقٍ فـي قُـبّـةٍ مـن زبـرجـدْ

وقال آخَر: [من مخلّع البسيط]

كـأنّـمـا الـجُـلّـنـار لـمّـا أظـهَـرَه الـعَـرْضُ لـلعـيـونِ
أنـامِـلٌ كـلُّهـا خَـضـيـبٌ تَـنْـشُـر لاذًا عـلى الـغـصـونِ

وقال أبو الحسن الشِّمْشاطيّ: [من الخفيف]

وبـدا الـجُـلّـنـارُ مِـثـلَ خـدودٍ قد كساها الحياءُ لونَ عُقارِ(٤)
صِـبـغـةَ الله كـالـعَـقـيـق تـراه أحمرًا ناصعًا لدى الاخضرار

وأمّا الموزُ وما قيل فيه ـ فقال أبو بكر بنُ وحشيّة في توليده: وإن خلطتم باليَبْرُوح(٥) مثلَ وزنِه من التّمر، وعجنتموهما عجنًا جيّدًا، ثمّ زرعتموهما وتعاهدتم ذلك بالسقي الكثير، خرج منه شجرُ الموز؛ وكذلك إن عجن القُلقاسُ(٦) بالتّمر خرج منهما الموز، إلّا أنّ ما يَنبتُ عن اليَبْرُوح أكبرُ موزًا، وأشدُّ حلاوة.

وقال الشيخ الرئيس: الموزُ مليِّن، والإكثارُ منه يورث السُّدُد، ويزيد في الصّفراء، والبَلْغَم بحَسَب المِزاج، وهو نافعٌ للحَلْق والصّدر؛ وهو ثقيلٌ على المعدة؛ ويجب أن يَتناولَ المحرورُ بعدَه سِكَنْجَبِينًا بُزُوريًا، والمبرودُ عسلًا. قال: وهو يزيد في المنيّ، ويوافق الكُلَى، ويُدِرّ البول.

---

(١) القراضة: ما يفتّ من الذهب عند صياغته.
(٢) معصفرة: لونها كلون العصفر، وهو نبت يشبه الزعفران.
(٣) ميّد: متثنيّة، تميد وتتمايل.
(٤) عقار: خمرة.
(٥) اليبروح: اللقاح البرّي.
(٦) القلقاس: نبات عسقولي، أوراقه كبيرة ولبّه النشوي يشبه لبّ البطاطا، يؤكل مطبوخًا ومقليًا.

وأمّا ما وُصِف به وشُبِّه من الشّعر ـ فمن ذلك قولُ ابنِ الرُّوميّ: [من الخفيف]

إنّـمـا الـمـوزُ إذا تُـمُـكِّـنَ مـنـه — كاسمِه مُبدَلًا من الميم فاءَا[1]
وكـذا فـقـدُه الـعـزيـزُ عـلـيـنـا — كاَسمِه مُبدَلًا من الزاي تاءَا[2]
فـهـو الـفـوزُ مِـثـلَمـا فـقـدُه الـمـو — تُ لـقـد عَـمّ فـضـلُه الأحـيـاءَا
ولـهـذا الـتـأويـلِ سـمّـاه مَـوزًا — مَـن أفـادَ الـمـعـانـيَ الأسـمـاءَا
نَـكْـهـةٌ عـذبـةٌ وطـعـمٌ لـذيـذٌ — فـنـعـيـمٌ مُـتـابِـعٌ نَـعـمـاءَا[3]
لـو تـكـونُ الـقـلـوبُ مـأوَى طـعـامٍ — نـازعـتْـه قـلـوبُـنـا الأحـشـاءَا

وقال فيه أيضًا: [من الرجز]

لِلمـوزِ إحـسـانٌ بـلا ذنـوبِ — لـيـس بـمـعـدودٍ ولا مـحـسـوبِ
يـكـاد مـن مـوقِـعـهِ الـمـحـبـوب — يُـسـلـمُـه الـبـلـعُ إلـى الـقـلـوبِ

وقال الصّاحب جمالُ الدّين عليُّ بنُ ظافر: [من مجزوء الرجز]

كـأنّـمـا الـمـوزُ إذا — مـا جـاءنـا بـالـعَـجَـبِ
أنـيـابُ أفـيـالِ صِـغـا — رٍ طُـلِّـيـتْ بـالـذّهـبِ

ونحوُه قولُ الآخَر ـ وكأنّه مأخوذٌ منه ـ: [من مجزوء الكامل المرفّل]

مَـوزٌ حـلا فـكـأنّـه — عـسـلٌ ولـكـن غـيـرُ جـارِي
ذو بـاطـنٍ مِـثـلِ الأقـا — حِ[4] وظاهرٍ مِثلِ النُّضارِ[5]
يَـحْـكِـي إذا قـشَّـرتَـه — أنـيـابَ أفـيـالٍ صِـغـارِ

وحَكَى صاحبُ (بدائع البداءة) أنّ الحسنَ بنَ رَشِيقٍ ومحمّد بنَ شرف القَيْرُوانيّ اجتمعا في مجلس المعزِّ بنِ باديسَ وبين يديه مَوز، فاقترَحَ على كلِّ واحدٍ منهما أن يَعْمَل فيه شيئًا، فقال ابنُ شرف: [من السريع]

يـا حـبّـذا الـمَـوزُ إسْـعـادُه — مِـن قَـبـلِ أن يـمـضُـغـه الـمـاضـغُ

---

(١) أي يصير فوزًا، بدلًا من (موز). (٢) أي يصير موتًا.
(٣) نعماء: خلاف بأساء، وهي النعمة.
(٤) الأقاح: ضرب من الزهر مختلف الأنواع والألوان، وأهمّه شقائق النعمان والأقحوان الأصفر والأبيض.
(٥) النضار: الذهب.

لَانَ إلَى أن لا مُحَسَّ لَه ... فالفمُ ملآنُ به فارغُ
سِيّانَ قلنا مأكلٌ طيّبٌ ... فيه وإلّا مَشربٌ سائغُ[١]
إن قيل فيما قد حَلا طيّبٌ ... فالمَوزُ حُلوٌ طيّبٌ بالغُ
أحلَى مَذاقًا مِن دماء العِدا ... أُمكِنَ منها أسدٌ والِغُ[٢]

وقال ابنُ رَشِيقٍ ـ وتَوارَدَا في المعنى والقافية ـ: [من مجزوء الرجز]

مَوزٌ سَريعٌ سَوغُه ... من قبلِ مَضغِ الماضغِ
مأكَلةٌ لآكلٍ ... ومَشْرَبٌ لسائغِ
فالفمُ من لِينٍ به ... ملآنُ مِثلُ فارغِ
يُخالُ وهو بالغٌ ... للحَلْقِ غيرَ بالغِ

ثمّ سألهما في مثلِ ذلك، فقال محمدُ بنُ شرف: [من مجزوء الرجز]

هل لك في مَوزٍ إذا ... ذقناه قلنا حبّذا
فيه شرابٌ وغِذا ... يُريك كالماء القَذَى[٣]
لو مات من تَلَذُّذا ... به لقلنا: ذا بِذا

وقال ابنُ رَشِيق: [من المجتثّ]

لله مَوزٌ لذيذُ ... يُعيذُه المستعيذُ
فواكهٌ وشرابٌ ... به يُفيقُ الوَقِيذُ[٤]
تَرَى القَذَى العينُ فيه ... كما يُريها النَّبيذُ

فانظر إلى هذا التّوارد العجيبِ المرّةَ بعد المرّة:

وقال نجم الدين بن إسرائيل يصفه: [من الرجز]

أنْعَتُ لي مَوزًا شهيَّ المَنظَرِ ... مستحكِمَ النُّضجِ لذيذَ المَخبَرِ
كأنّه في جِلدِه المعصفَرِ[٥] ... لِفَاتُ زُبْدٍ[٦] عُجِنتْ بسكّرِ

---

(١) سائغ: مريء، شهيّ ولذيذ.
(٢) والغ: كارع وشارب.
(٣) القذى: الغبار أو القشّ يدخل في العين.
(٤) الوقيذ: المدنق في حالة الغيبوبة.
(٥) المعصفر: الأصفر كالعصفر.
(٦) الزبد: خالص اللبن إذا مخض.

وأنشدني الشيخُ الفاضلُ شهابُ الدين أحمدُ بنُ منصور الدِّمياطيُّ ـ عُرِف بابن الجَبّاس ـ في ذي الحِجّة سنةَ ثلاث عشرةَ وسبعمِائةَ لنفسِه وأجاد: [من المنسرح]

كـأنّـمـا الـموزُ فـي عـراجنِـه(١) وقـد بـدا يـانـعًـا عـلى شـجـرِه
فـروعُ شَـعْـرٍ بـرأس غـانـيـةٍ عُـقِّـص مـن بـعـد ضَـمِّ منتشِرِه
كـأنّ مَـن ضَـمَّـه وعَـقَّـصَـه(٢) أرسَـلَ شَـرّابـةً عـلى أثـرِه
كـأنّ أمـشـاطَـه مَـكـاحـلُ مـن زمـرّدٍ نُـظِّـمـت عـلى قَـدَرِه
كـأنّـمـا زَهـرُه الأنـيـقُ وقـد شُـقِّـق عـنـه كِـمـامُ مسـتـتِـرِه
نِـظـامُ ثـغـرٍ يَـزيـنُـه شَـنَـبٌ(٣) مـمـتـزجٌ شَـهـدُه بـمـعـتـصَـرِه
كـأنّ قـامـاتِ سُـوقِـه عَـمَـدٌ حَـنَـت أواويـنَـهـا(٤) على جُدُرِه
كـأنّ أشـجـارَه وقـد نَـشَـرَت ظِـلالَ أوراقِـهـا عـلى ثـمـرِه
حـامـلةٌ طـلـفَـهـا عـلى يـدِهـا تقيه حرَّ الهَجيرِ في خُمُرِه(٥)
كـأنّـمـا سـاقُـه الـصَّـقـيـلُ وقـد بـدت عـلـيـه رُقـومُ مـعـتـبِـرِه
سـاقُ عـروسٍ أُمـيـطَ(٦) مـئـزرُهـا فبان وشيُ الخِضاب في حَبرِه(٧)
تـصـاغ مـن جـوهـرٍ خـلاخـلُها(٨) فـتـنـجـلي والـنِّـثـارَ مـن زَهَـرِه
حـدائـقٌ خـفَّـقـت سَـنـاجِـقُـهـا(٩) كـأنّـهـا الـجـيـشُ أمَّ فـي زُمَـرِه
وكـلُّ آيـاتِـه فـبـاهـرةٌ تَـبِـيـن في وِرْدِه وفي صَدَرِه(١٠)
كـأنّـمـا عُـمـرُه الـقـصـيـرُ حَـكَـى زمانَ وصلِ الحبيب في قِصَرِه
كـأنّـه عُـرجُـونَـه الـمَـشِـيـبُ أتـى يُـخـبِـر أنْ خـانَـه انـقِـضـا عُـمُـرِه
كـأنّـه الـبـدرُ فـي الـكـمـال وقـد أُصيبَ بالخَسْف في سَنا قمرِه
كـأنّـه بـعـد قـطـعِـه وقـد أُصـفِـ ـرّ لِما نال مِن أذى حَجَرِه(١١)

---

(١) عراجنه: جمع عرجون، وهو عذقه وعثكوله.
(٢) عقصه: جعله ضفائر ضفائر.
(٣) الشنب: بياض الأسنان وجلاؤها.
(٤) أواوين: جمع إيوان، وهو الفناء الكبير.
(٥) خمره: جمع خمار، وهو الغطاء للرأس ولغيره.
(٦) أميط: كشف وأزيح.
(٧) الحبرة: الحلّة الموشّاة.
(٨) الخلاخل: جمع خلخال، وهو ما يشدّ إلى الرجل ويلبس فيها زينة.
(٩) سناجقها: جمع سنجق، وهو الراية.
(١٠) الصدر: الرجوع عن مشرب الماء بعد الارتواء منه.
(١١) حجره: حبسه ليختمر.

مـتـيَّـمٌ قـد أذابـه كـمـدٌ[١] يَبيت من وجدِه على خطرِه

مـعـلَّقٌ بـالـرّجـاء، ظـاهـرُه يُخبِر عمّا أجَنَّ[٢] من خبرِه

يَطِيب رِيحًا ويُستلَذُّ جَنًى على أذًى زاد فوقَ مصطبَرِه

كـأنّـه الـحُـرُّ حـالَ مـحـنـتِـه يـزيـد صبرًا على أذى ضررِه

وأمّا ما وُصِف به وشُبِّه النّارَنْج ـ فمن ذلك قولُ شاعر: [من البسيط]

لله أنـجُـمُ نـارَنْـجٍ تَـوقُّـدُهـا يكاد ينجاب[٣] عن لألائه الغَسَقُ[٤]

تبدو لعينيك في لألائها[٥] ولَهَا من الغصونِ بُروجٌ دَوْحُها[٦] الأُفُقُ

تَجني به اليدُ جمرًا ليس يطفئه غيثٌ ولا اليدُ إذ تجنيه تَحْترِقُ

كأنّه مستعارُ الشِّبهِ من قُطْن مذهَّبٍ أو حَباه لونَه الشَّفَقُ[٧]

وقال آخَر: [من الوافر]

تـأمّـلـهـا كُـراتٍ مـن عَـقـيـقِ تَـروقُـك فـي ذُرا دَوْحٍ وَريـقِ[٨]

صَوالِجُ[٩] من غصونٍ ناعماتٍ غـذتـهـا دِرّةُ الـغـيـثِ الأَنِـيـقِ

تَخال غصونَها فيها نَشاوَى[١٠] بأيديهم كؤوسٌ من رَحيقِ[١١]

عجبتُ لها شربن الماءَ رِيًّا وفي لبّاتِها[١٢] لهبُ الحريقِ

وقال آخَرُ يصف نارَنْجه: [من البسيط]

يـا رُبَّ نـارَنْـجـةٍ يـلـهـو الـنـديـمُ بـهـا كـأنّـهـا كُـرَةٌ مـن أحـمـر الـذهـبِ

أو جَذْوةٌ[١٣] حَملتْها كفُّ قابِسها[١٤] لـكـنّـهـا جَـذْوةٌ مـعـدومـةُ الـلَّـهَـبِ

---

(١) الكمد: الحزن الشديد.
(٢) أجنّ: ستر.
(٣) ينجاب: ينزاح وينفرج.
(٤) الغسق: الظلام في أوّله. والغسق: ظلمة أوّل الليل.
(٥) لألائها: سناها وبريقها.
(٦) الدوح: الشجر الكبير الملتفّ الأغصان.
(٧) الشفق: الحمرة في الأفق من السماء.
(٨) وريق: كثير الورق.
(٩) صوالج: جمع صولجان، وهو عصا معقوفة.
(١٠) نشاوى: فيهم نشوة ولذّة من أثر الخمر.
(١١) الرحيق: صفة للخمرة.
(١٢) لبّاتها: جمع لبّة، وهي النحر وأعلى الصدر.
(١٣) الجذوة: القبس من النار.
(١٤) قابسها: حاملها ومن أتى بها.

وقال آخَر: [من الطويل]

ومُورِقةٍ في صيفِها وشِتائها يَحارُ النُّهَى[١] في أرضها وسمائها
إذا ما زَهى الكانونُ يومًا بجمرِه نظرتَ إليه تحت فضلِ ردائها
أرى الماءَ يُطفِي كلَّ نارٍ ونارُها تزيد حياةً ما تغذّتْ بمائها
كُراتُ عَقيقٍ أم خدودُ كواعبٍ[٢] بدت وهي حُمْرٌ من صباغِ حيائها

وقال آخَر: [من البسيط]

أُنظرْ إلى مَنْظَرٍ يلهيك مَنْظَرُه بمِثلِه في البرايا يُضرَب المَثلُ
نارٌ تلوح على الأغصان في شجرٍ لا الماءُ يُطفِي ولا النِّيرانُ تَشْتَعِلُ

وقال آخَرُ يصف نارَنْجةً نصفُها أحمرُ ونصفُها أخضر: [من البسيط]

وبنتِ أيكٍ[٣] دنا مِن لمسِها قُزَحٌ[٤] فلاح منها على أرجائها أثرُ
يبدو لعينيك منها مَنْظَرٌ عَجَبٌ زبرجدٌ ونُضارٌ صاغه المطرُ
كأنّ موسى كليمَ الله أقبَسَها نارًا[٥] وجَرَّ عليها كفَّه الخَضِرُ[٦]

وقال الصّاحبُ بنُ عَبّاد[٧]: [من الطويل]

بَعَثْنا من النارَنْج ما طاب عَرْفُه[٨] ونَمّتْ على الأغصان منه نَوافِجُ[٩]
كُراتٍ من العِقْيان[١٠] أُحْكِم خَرْطُها[١١] وأيدي النَّدامَى حولهنّ صوالجُ

---

(١) النهى: العقل.
(٢) كواعب: جمع كاعب، وهي الفتاة التي كعب ثديها وبرز.
(٣) الأيك: ضرب من الشجر الملتفّ الأغصان.
(٤) قزح: أو قوس قزح وهو نصف الهالة من الضياء فيه الأحمر والأصفر والأزرق والأخضر والبرتقالي والبنفسجي يظهر عند تراكم الغيوم إيذانًا بسقوط المطر.
(٥) إشارة إلى النار التي ظهرت لموسى، النبيّ، في الطور، فأراد أن يحمل منها قبسًا.
(٦) الخضر: هو مرافق النبيّ موسى، والذي علّمه أشياء لم يكن يعلمها.
(٧) الصاحب بن عباد: أديب ولغوي وشاعر وكاتب ووزير، وزر للبهويهيين، رسائله من أجود الرسائل. له من الكتب «المحيط» و«الوزراء» و«الكشف عن مساوىء المتنبّي». مات في الرّي ودفن بأصبهان سنة ٩٩٥ م.
(٨) عرفه: نشره ورائحته.
(٩) نوافج: جمع نافجة، وهي الصّرّة من المسك، أو الوعاء.
(١٠) العقيان: الذهب الخالص.
(١١) خرطها: تأليفها وتركيبها.

وقال أبو الحسن الصّقلّيّ: [من المتقارب]

تَنعَّمْ بنارَنْجِكَ المجتنَى فقد حضر السعدُ لمّا حضرْ
فيا مرحبًا بقُدودِ الغصون ويا مرحبًا بخدود الشجرْ
كأنّ السماءَ هَمَتْ[1] بالنُّضار فصاغت لها الأرضُ منه أُكَرْ[2]

وقال ابنُ المعتزّ: [من السريع]

كأنّما النارَنْجُ لمّا بدت صُفرتُه في حُمرةٍ كاللّهيبْ
وجنةُ معشوقٍ رأى عاشقًا فاْصفرّ ثمّ اْحمرّ خوفَ الرّقيبْ

وقال السّريُّ الرّفّاء: [من الكامل]

وبديعةٍ أضحى الجمالُ شِعارَها[3] صَبَغَ الحَيَا[4] صِبْغَ الحياءِ إزارَها
حَلّتْ عِقالَ نَسيمِها وتَوشّحتْ بالأُرْجُوانِ وشَدّدتْ أزرارَها
فالعينُ تَحسِر[5] إن رأت إشراقَها والنفسُ تَنعَم إن رأت أخبارَها
فكأنّها في الكفّ وجنةُ عاشقٍ عَبِثَ الحياءُ بها فأضْرَمَ نارَها
محمولةٌ حَمَلتْ عَجاجةَ[6] عنبرٍ[7] فإذا سَرَى[8] رَكْبُ النسيمِ أثارَها
أمِنتْ على أسرارِها ريحَ الصَّبا[9] وَهْنًا فضَيّعت الصَّبا أسرارَها
وكأنّما صافحَت منها جمرةً أمِنَتْ يمينُك حرَّها وشَرارَها
ما أحسَب النارَنْجَ إلّا فتنةً هتك[10] الزّمانُ لناظرٍ أستارَها
عَشقتْ محاسنَه العيونُ فلو رنتْ أبدًا إليه ما قضت أوطارَها[11]

وقال آخر: [من المنسرح]

سَقْيًا لأيّامنا ونحن على رؤوسِنا نَعْقِد الأكاليلا
في جنّةٍ ذُلّلت لقاطفِها قُطوفُها الدّانياتُ تذليلا

---

(١) همت: سالت.
(٢) أكر: كرات، جمع كرة.
(٣) شعارها: ثوبها الرقيق.
(٤) الحيا: المطر.
(٥) تحسر: تطرف ولا تستطيع الرؤية لشدّة انبهارها.
(٦) العجاجة: الغبار.
(٧) العنبر: مادّة تستخرج من حيوان اسمه العنبر، وهي عطريّة وذات رائحة جيّدة.
(٨) سرى: مشى ليلًا.
(٩) الصبا: ريح الشرق الناعمة.
(١٠) هتك: خرق ومزّق.
(١١) أوطارها: حاجاتها، جمع وطر.

كــأنّ نــارَنْــجَــهــا يــلــوح عــلى أغـصـانِـهـا حـامـلًا ومـحـمـولا
سـلاسـلٌ مـن زبـرجـدٍ حَـمَـلـتْ مـن ذهـبٍ أحـمـرٍ قـنـاديـلا

وقال آخَر: [من الطويل]

وأشـجـارِ نـارَنْـجٍ كـأنّ ثـمـارَهـا حِـقـاقُ عَـقـيـقٍ قـد مُـلِئن مـن الـدُّرّ
تُـطـالِـعـنـا بـيـن الـغـصـون كـأنّـهـا خُدودُ غَوانٍ في مَلاحفها الخُضْرِ
أتـت كـلّ مـشـتـاقٍ بـرَيّـا[1] حـبـيـبِـه فهاجت له الأحزانَ من حيث لا يدري

وقال آخَر: [من الطويل]

حـدائـقُ أشـجـارٍ كـإقـبـالِ دولـة عليكَ أو الـبـشـرى أتـت لـقَـعـيـدِ
أنارت بـنـارَنْـجٍ لـرَيّـاه فـي الـحَـشـا مواقعُ وصـلٍ مـن فـؤادِ عـمـيـدِ[2]
إذا مـا حَـنـى أغـصـانَـه فـكـأنّـه صوالجةُ الأصداغ[3] فـوق خـدودِ

وقال آخَر: [من الوافر]

وأغـصـانٍ مـقـوَّمـةٍ حـسـانٍ ومـنـهـا مـا يُـرَى كـالـصَّـوْلَـجـانِ
كـأنّ بـهـا ثُـدِيًّـا نـاهـداتٍ غـلائـلُـهـا صُـبِـغْـن بـزعـفـرانِ

وقال آخَرُ يصف نارَنْجًا مختلَف الألوان: [من الطويل]

ريـاضٌ مـن الـنـارَنْـج كـالأمـن والـمـنـى
جُـمِـعْـنَ ومِـثـلُ الـنـوم بـعـد الـتـسـهُّـدِ[4]
تُـجلّي الـعـشـق[5] عـن نـاظـرَيْ كـلّ نـاظـرٍ
وتجلو الصَّدَى[6] عن قلب ذي اللَّوْعة الصّدِي
فـمِـن أخـضـرٍ غَـضّ الـنّـبـاتِ كـأنّـه
مَـشـاربُ مِـيـنَـا[7] أو حِـقـاقُ زمـرّدِ

---

(١) الرّيا: الرائحة.
(٢) العميد: من عمّده الحبّ وأضناه.
(٣) الأصداغ: جمع صدغ، وهو جانب الرأس.
(٤) التسهد: عدم النوم.
(٥) العشوّ: مرض يصيب العين عشاءً، فلا تبصر.
(٦) الصدى: الصّدأ، وقد يكون الصدى، هنا، بمعنى العطش.
(٧) المينا: ضرب من الزجاج.

ومِن أحمرٍ كالأُرْجُوان إذا بدا
وكالرّاح[1] صَرْفًا أو كخدٍّ مورَّدِ
ومِن أصفرٍ كالصَّبِّ، يبدو كأنّه
كُراتٌ أديرتْ من خلاصة عسجدِ
إذا لاح في أشجاره فكأنّه
شموسُ عَقيقٍ في قِبابِ زبرجدِ

وقال آخَر: [من الكامل]

أهْدَى لنا النّارَنْجُ عند قِطافِه ... أُكَرا تَرُوق بمَنظَرٍ وبمَخْبَرِ
ببواطنٍ من يَاسَمِينٍ أبيضٍ ... وظواهرٍ من جُلَّنارٍ أحمرِ

وقال آخَر: [من الكامل]

كانت هديّته لنا نارَنْجةً ... كالعِهْنِ[2] لُفّتْ في حريرٍ أصفرِ
صفراءَ تحسَب أنّها قد جُدِّرتْ[3] ... فترى ببهجتها انتثارَ مجدَّرِ
فسألتُها عمّا يغيِّر لونَها ... قالت سألتَ فخذ جوابَ مُخبِّرِ
كنّا حبائبَ فوق غصنٍ ناعمٍ ... أوراقُه مِثلُ الفِرِنْدِ[4] الأخضرِ
فرَمَى الزّمانُ وصالَنا بتفرُّقٍ ... فلِذاكِ صفرةُ وجنتي وتَغيُّري

وقال ابنُ وكيع التِّنّيسيّ: [من الرجز]

أُنظرْ إلى النّارَنْج في بَهْجاته ... يَلُوح في أفنان هاتيك الشّجرْ
مِثلَ دَبابيسِ نُضارٍ أحمرٍ ... أو كعَقيقٍ خُرِطتْ منه أُكَرْ

وقال أبو الحسن الصِّقِلّيّ: [من الطويل]

ونارَنْجةٍ بين الرّياض نظرتُها ... على غُصُنٍ رَطْبٍ كقامة أغْيَدِ
إذا ميّلتْها الرّيحُ مالت كأُكْرةٍ ... بدت ذهبًا في صَوْلَجانِ زمرّدِ

---

(١) الراح: الخمرة. (٢) العهن: أي الصوف.
(٣) جدّرت: أصابها الجدري، الداء المعروف، ويترك ندوبًا في الوجه صفرًا.
(٤) الفرند: السيف.

وأمّا ما وُصِفَ وشُبِّه به اللَّيْمُو ـ فمن ذلك قولُ الشاعر: [من السريع]

أُنظرْ إلى اللَّيْمُون في شكله ... وحسنهِ لمّا بدا لِلعيانْ
كأنّه بَيضُ دَجاجٍ وقد ... لطّخه العابثُ بالزّعفرانْ

وقال السريُّ الرّفّاء: [من مجزوء الرّمل]

واصْطَبَحناها على نهـ ... ـرِ بصفو الماء يَجْري
ظَلّلَتْه شجراتٌ ... عِطرُها أطيَب عِطْرِ
فَلَكٌ أنجُمُهُ اللَّيْـ ... ـمُو فمِن بِيضٍ وصُفرِ
أُكَرٌ من فضّةٍ قد ... شابَها تلويحُ تِبرِ

وقال آخَر: [من البسيط]

يا رُبَّ ليمونةٍ حيًّا بها قمرٌ ... حلوُ المقبّلِ ألمَى[1] باردُ الشَّنَبِ[2]
كأنّها كُرَةٌ من فضّةٍ خُرِطتْ ... فاستَوْدَعوها غلافًا صِيغَ من ذهبِ

البابُ الثاني
من القسم الثاني من الفنّ الرابع
فيما لثمره نوًى لا يُؤكَل

ويشتمل هذا البابُ على عشرة أصناف، وهي النّخلُ وما يشبهه، وهو النّارَجيل، والفَوْفَلُ والكاذِيُّ والخَزَم، ثمّ الزّيْتونُ والخُرْنُوبُ والإجّاصُ والقَراسِيَا والزُّعْرُورُ والخَوْخُ والمِشْمِشُ والعُنّابُ والنَّبِق.

فأمّا النّخلُ وما قيل فيه ـ فقال الله تعالى: ﴿وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ۝١٠ رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ﴾ [قٓ: الآيتان ١٠، ١١]. وقال عبدُ الله بنُ عمرَ رضي الله عنهما: قال رسولُ الله ﷺ: «إنّ من الشجر شجرةً لا يسقط ورقُها، إنّها مثلُ المُسلِم، فحدِّثوني ما هي»؟ فوقع الناسُ في شجر البوادي؛ قال عبدُ الله: ووقع في نفسي أنّها النّخلة، فاستحييت؛ ثمّ قالوا: حدِّثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: «هي النخلة»؛ قال عبد الله: فحدَّثتُ أبي بما وقع في نفسي؛ فقال: لأن تكونَ قُلتَها أحبُّ إليّ من كذا وكذا.

(١) ألمى: فيه لمى، وهو سمرة مستحبّة في الشّفاه.
(٢) الشنب: كناية عن الأسنان الرقيقة البيض.

وفي لفظ عنه، قال: كنّا عند النّبيّ ﷺ فأُتِيَ بجُمّار، فقال: «إنّ من الشجر شجرةً مَثَلُها كَمَثل المُسلِم» الحديث.

وفي لفظٍ عنه رضي الله عنه: أنّ النبيّ ﷺ قال: «إنّ من الشجر لما بركتُه كَبَرَكة المُسْلِم» وساق الحديث.

وللنّخلة أسماءٌ نطقتْ بها العرب من حينِ تبدو صغيرةً إلى أن تَكبُر، وكذلك الرُّطَب[1] من حِين يكون طَلْعًا[2] إلى أن يصير رُطَبا؛ تقول العرب لصغار النخل: الجَثِيثُ والهِرَاءُ والوَدِيُّ والفَسِيلُ والأَشاء.

وقال الثّعالبيُّ في (فقه اللغة): إذا كانت النخلةُ صغيرةً فهي الفَسِيلةُ والوَدِيّة؛ فإذا كانت قصيرةً تَنَاوَلُها اليدُ فهي القاعد، «وفي (غريب المصنّف): العَضِيد، والجمع: عِضْدان»، فإذا صار لها جِذع لا يتناوَل منه المتناوِل فهي جَبّارة، فإذا ارتفعتْ عن ذلك فهي الرَّقْلةُ والعَيْدانة، فإذا زادت فهي باسِقة، فإذا تناهت في الطُّول مع انجراد فهي سَحُوق.

فصل في نعوتها

إذا كانت النخلةُ على الماء فهي كارِعةٌ ومُكْرَعة، فإذا حَملتْ في صغرها فهي مهتَجِنة، فإذا كانت تُدْرِك في أوّل النخل فهي بَكُور، فإذا كانت تَحْمِل سنةً وسنةً لا تَحْمِل فهي سَنْهَاء، فإذا كان بُسْرُها[3] يَنتثِر وهو أخضرُ فهي خَضِيرة، فإذا دَقّت من أسفلها وانجرَدَ كَرَبُها[4] فهي صُنْبُور، فإذا مالت فبُنِيَ تحتها دُكّانٌ تَعْتَمِد عليه فهي رُجَبِيّة، فإذا كانت منفردةً عن أخواتها فهي عَوَانة.

ويقال للطَّلْع: الكافور، والضَّحْك، والإغْريض. فإذا انعقد سمّته السَّيَاب، فإذا اَخضرَّ قبل أن يشتدّ سمّته الجَدَال، فإذا عظم فهو البُسْر، فإذا صارت فيه طرائق فهو المُخَطَّم، فإذا تغيّرتْ البُسْرةُ إلى الحمرة فهي شَقْحَة، فإذا ظهرت الحُمْرة فهو الزَّهْو، وقد أزهى؛ فإذا بدت فيه نُقَطٌ من الإرطاب نصفها فهي المجزِّع، فإذا بلغ ثلثيها فهي حُلْقانة، فإذا جرى الإرطاب فيها فهي مُنسَبِتة.

---

(١) الرطب: ما نضج من البسر قبل أن يصير تمرًا، من النخل.

(٢) الطلع: ما يبدو من تمرة النخل في أوّل ظهورها.

(٣) البسر: التمر إذا لوّن ولم ينضج.

(٤) كربها: أصول سعفها الغلاظ التي تقطع معها، من النخل.

وللشّعراء في النّخل أوصاف، فمن ذلك ما أنشده الأصمعيّ[١]: [من الوافر]

غـدتْ سَـلْمَـى تـعـاتـبـنـي وقـالـت رأيـتـك لا تُـرِيـع[٢] لـنـا مَـعـاشـا

فـقـلـت لـهـا: أمـا يـكـفـيـكِ دُهْـمٌ إذا أَمــحَــلـتِ كــنّ لــنــا رِيَــاشــا

بَــوارِكُ مــا يــبــالــيــن الــلّــيــالــي ضَــرَبــنَ لــنــا ولــلأيّــام جــاشــا

إذا مـا الـغـاديـاتُ[٣] ظَـلَـمـن مَـدّتْ بــأسـبـابٍ نَـنـال بـهـا انـتـعـاشـا

تَـرَى أمـطـاءَهـا[٤] بـالـبُـسْـرِ هُـدْلاً[٥] مــن الألــوان تَــرتَــعِــش ارتــعــاشــا

وعن الشّعبيّ[٦] قال: كَتب قيصر[٧] إلى عمر بنِ الخطّاب رضي الله عنه: إنّ رسلي أخبَروني أنّ بأرضك شجرةً كالرجل القائم تَفَلّقُ عن مِثلِ آذانِ الحُمُر[٨]، ثمّ يصير مِثلَ اللّؤلؤ، ثم يعود كالزّمرّد الأخضر، ثمّ يصير كالياقوت الأحمر والأصفر، ثمّ يُرطِب فيكونُ كأطيَبِ فالُوذٍ[٩] أتُّخِذ، ثمّ يَجِفُّ فيكون عصمةً للمقيم، وزادًا للمسافر، فإن كان رسلي صدَقوني فهي الشجرةُ التي نبتت على مريم[١٠] بنت عمران. فكتب إليه عمر رضي الله عنه: إنّ رسلَك صدقوك، وهي الشجرةُ التي نبتت على مريم، فاتّق الله، ولا تتّخذ عيسى إلـهًا من دون الله.

أخَذ عبدُ الصمد بنُ المعذِّل[١١] هذه التشبيهات، فقال يصف النّخلَ في أُرجوزةٍ أوّلُها:

حــدائــقٌ مــلـتــفّــةُ الــجِــنــانِ رَســتْ بــشــاطــي تَــرعٍ رَيّــانِ[١٢]

---

(١) الأصمعي: هو أبو سعيد عبد الملك، أحد كبار علماء اللغة البصريين. عهد إليه الرشيد تأديب ولده الأمين، له من كتب «خلق الإنسان» و«الخيل» و«الإبل» و«الأصمعيات».
(٢) تريع: تبغي وتريد.
(٣) الغاديات: جمع غادية، وهي السحابة الممطرة في الغداة.
(٤) أمطاءها: ظهورها وشماريخها. (٥) هدلًا: جمع هدلاء، أي مسترخية.
(٦) الشعبي: من الرواة، والمحدثين والحفّاظ. اتصل بعد الملك بن مروان، وكان رسوله إلى ملك الروم. مات سنة ١٠٣ هـ/ ٧٢١ م.
(٧) قيصر: هو ملك الروم. (٨) الحمر: جمع حمار.
(٩) الفالوذ: ضرب من الحلواء، يدخل فيها العسل.
(١٠) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَـٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾﴾ [مريم: الآية ٢٥] مخاطبًا مريم.
(١١) هو أحد شعراء العصر العباسي، امتاز شعره بالجدّة والابتكار، وعني بوصف الطبيعة والرياض.
(١٢) ريّان: ناضر.

تَـمـتـار(١) بـالأعـجـازِ لـلأذقـانِ لا تَـرهـب الـمَـحـلَ مـن الأزمـانِ
إن هـي أبـدت زيـنـةَ الـرحـمٰـن لاحـت بـكـافـورٍ عـلـى إهَـانِ(٢)
يَـطْـلُع مـنـهـا كَـيَـدِ الإنـسـانِ إذا بـدت مـلـمـومـةَ الـبَـنـانِ
عُـلّت بـوَرْسٍ(٣) أو بـزعـفـرانِ حـتّـى إذا شُـبِّـه بـالآذانِ
مِن حُمُر الوحشِ لدَى العِيانِ شـقّـقـه عِـلْـجـانِ(٤) مـاهـرانِ
عن لؤلؤٍ صِيغَ على قُضبانِ مَصُوغةٍ من ذهبٍ خلصانِ
ثـمّ يُـرَى لـلسّـبـعِ والـثّـمـانـي قد حالَ مِثلَ الشَّذْرِ(٥) في الجُمانِ(٦)
يَضحَك عن مشتبهِ الأقرانِ كـأنّـه فـي نـاضـر الأغـصـانِ
زمـرّدٌ لاحَ عـلـى تـيـجـانِ حـتّـى إذا تـمّ لـه شـهـرانِ
وانسَدلتْ عَثاكِلُ(٧) القِنْوانِ(٨) كـأنّـهـا قُـضـبٌ مـن الـعِـقْـيـانِ
فُـصِّـلنَ بـالـيـاقـوت والـمَـرْجـانِ رأيـتَـه مـخـتـلِفَ الألـوانِ
مِـن قـانـئٍ أحـمـرَ أرْجُـوانـي وفـاقـعٍ أصـفـرَ كـالـنِّـيـرانِ

* مِـثـلِ الأكـالـيـلِ عـلـى الـغَـوانِـي *

ونحوهُ قولُ أبي هِلال العسكريّ: [من الخفيف]

ونخيلٍ وقفن في مَعْطِف الرّمـ ـل وقوفَ الحُبْشانِ في التّيجانِ
شَـرِبـتْ بـالأعـجـازِ حـتّـى تـروّتْ وتـراءتْ بـزيـنـة الـرّحـمٰـنِ
طَلَعَ الطَّلْعُ في الجماجم منها كـأكُـفٍّ خـرجـن مـن أردانِ
فـتـراهـا كـأنّـهـا كُـمْـتُ الـخيـ ـلِ(٩) تـوافـتْ مُـصِـرّةً(١٠) الآذانِ
أهـو الـطَّـلْعُ أم سـلاسـلُ عـاجٍ حُمِلتْ في سفائن العِقْيانِ

(١) تمتار: تطلب الحيرة، أي الطعام.
(٢) الإهان: عرجون النّخل وحملها من البسر.
(٣) الورس: نبت يشبه الزعفران، لونه أصفر.
(٤) علجان: مثنّى علج، وهو الضخم من كفّار العجم.
(٥) الشذر: القطعة من الذهب.
(٦) الجمان: اللؤلؤ.
(٧) عثاكل: جمع عثكل، وعثكول، وهو بمثابة العنقود في النّخل.
(٨) القنوان: جمع قنو وقني، وهو كالعنقود في النّخل.
(٩) كمت الخيل: الخيل فيها كميتة، وهي السواد الضارب إلى الحمرة.
(١٠) مصرّة الآذان: متفتّحة.

ثمّ عادت شبائهّا تتباهى ... بأعالٍ شبائه أقرانِ
خرزات من الزّبرجدِ خُضْرٌ ... وَهبتها السّلوكُ للقُضبانِ
ثمّ حالَ النّجارُ[١] واختلف الشّـ ... ـكلُ فلاحت كجوهرٍ ألوانِ
بين صفرٍ فواقعٍ تتباهى ... في شماريخها[٢] وحمرٍ قَواني

وقال النَّمِرُ بنُ تَوْلَب[٣]: [من الوافر]

ضَرَبن العِرْقَ في يَنبوعِ عَيْنٍ ... طَلَبن مَعِينَه حتّى رَوِينا
بَناتُ الدّهر لا يخشَين مَحْلا ... إذا لم تَبْقَ سائمةٌ[٤] بقينا
كأنّ فروعَهنّ بكلّ ريحٍ ... عَذارَى بالذوائب يَنْتَضِينا[٥]

وقال النابغة[٦]: [من الطويل]

صِغارُ النّوى مكنوزةٌ ليس قِشرُها ... إذا طار قِشرُ التّمرِ عنها بطائرِ[٧]
مِن الواردات الماءَ بالقاع تَسْتَقِي ... بأعجازها قبلَ استقاء الخناجرِ

وقال السّريُّ الرّفّاء: [من الكامل]

وكأنّ ظِلَّ النّخل حولَ قِبابِها ... ظلُّ الغمام إذا الهجيرُ تَوقَّدا
من كلّ خضراءِ الذّوائب زَيَّنَتْ ... بثمارِها جِيدًا[٨] لها ومُقلّدا[٩]
خَرَقتْ أسافلُهنّ أعماقَ الثّرَى ... حتّى اتّخَذن البحرَ فيه مَوْرِدا
شجرٌ إذا ما الصّبح أسفَر لم يَنُخْ ... لِلأمنِ طائرُه ولكن غَرَّدا

---

(١) النجار: الأصل.
(٢) شماريخها: أعذاقها عليها البسر، جمع شمراخ.
(٣) النمر بن تولب: أحد الأربعة الذين يشكلون الطبقة الثامنة من طبقات الشعراء الجاهليين، ومعه عمرو بن قمئة، وأوس بن غلفاء، وعوف بن عطية. انظر: طبقات الشعراء الجاهليين والإسلاميين، ص ٥٩، لابن سلام الجمحي نسخة طبع أوروبا.
(٤) السائمة: واحدة السوام، وهي الإبل والنعم. (٥) ينتضينا: يبرزن ويظهرن.
(٦) النابغة: من فحول الشعراء الجاهليين، من بني ذبيان، وصاحب المعلقة من المعلقات العشر. مدح الغساسنة والمناذرة، ودافع عن قومه الذبيانيين. وضعه ابن سلام في الطبقة الأولى من الشعراء الجاهليين. انظر: طبقات الشعراء، لابن سلام ٢٥ ـ ٣٠.
(٧) انظر القصيدة التي أخذ منها البيت في: ديوان النابغة الذبياني، ص ١١٢، دار صعب، بيروت ١٩٨٠.
(٨) الجيد: العنق.
(٩) المقلّد: موضع القلادة من الجيد. والمقلّد: ما يقلّد به الجيد، أي القلادة.

وقال شهابُ الدّين الشّطَنُوفيّ: [من الطويل]

كأنّ النّخيلَ الباسقاتِ وقد بدتْ لِناظرِها حُسنًا قِبابُ زبرجدِ
وقد عُلِّقتْ من حولِها زينةً لها قناديلُ ياقوتٍ بأمراسِ عَسْجَدِ

وأمّا الجُمّارُ وما قيل فيه ـ فالجُمّار، هو رأسُ النّخل، وإذا قُطِعَت الجُمّارةُ لا تعيشُ النخلةُ بعدَها أبدًا.

وقال الشيخُ الرئيس: طبعُه باردٌ في الثانية، يابسٌ في الأُولى؛ وهو قابض؛ وينفع من خشونة الحَلْق، ويقبِض الإسهالَ والنَّزْف؛ وينفع من لَسْعِ الزُّنْبُور ضِمادًا.

وقال شاعرٌ يصفه: [من السريع]

جُمّارةٌ[1] كالماءِ تبدو لنا ما بين أطمارٍ[2] من اللِّيفِ
جسمٌ رَطيبُ اللَّمْس لكنّه قد لُفَّ في ثوبٍ من الصّوفِ

وأمّا ما وُصِف به الطَّلْع ـ فمن ذلك قولُ كُشاجِم: [من الكامل]

أَفْدِي الّذي أَهْدَى إلينا طَلْعَةً أهدتْ إلى قلبِ المَشُوق بَلابِلا
فكأنّما هي زَوْرَقٌ من صندلٍ قد أَوْدَعوه من اللُّجَين سلاسلا

وقال ابنُ وكيع: [من السريع]

طَلْعٌ هتكنا عنه أستارَه من بعد ما قد كان مستورا
كأنّه لمّا بدا ضاحكًا في العين تشبيهًا وتقديرا
دُرْجُ[3] من الصّندلِ قد أودَعتْ فيه يدُ العطّار كافورا

وقال محمّدُ بنُ القاسم العَلَويّ: [من الطويل]

وَطَلْعٍ هتكنا عنه جيبَ قميصِه فيا حُسنَه في لونه حين هُتِّكا
حَكَى صدرَ خَوْدٍ[4] من بني الرّوم هَزَّها سَماعٌ فَشقّتْ عنه ثوبًا ممسَّكا

وقال كُشاجم: [من الرجز]

ولابس ثوبًا من الحريرِ مضمَّخٍ[5] الظاهرِ بالعَبيرِ

---

(١) الجمّارة: شحم النخلة.
(٢) أطمار: جمع طمر، وهو الثوب البالي.
(٣) الدرج: الموضع توضع فيه الأشياء وتدرج.
(٤) الخود: الفتاة الشابّة الناعمة.
(٥) مضمّخ: معطر، ومخلوط.

مـضـمَّـن الـبـاطـنِ ثـوبَ نُـور يَـفْـتَـرّ عـن مـكـنـونـةِ الـثُّـغـورِ
* كـأنّـمـا فُـتّ مـن الـكـافـورِ *

وقال أيضًا: [من الخفيف]

قـد أتـانـا الّذي بَـعـثـتَ إلـيـنـا وهـو شـيءٌ فـي وقـتـنـا مـعـدومُ
طَـلْعَـةٌ غـضّـةٌ[1] أتـتـنـا تُـحـاكـي سَـفَـطـا[2] فـيـه لـؤلـؤٌ مـنـظـومُ

وقال الرّبيعُ بنُ أبي الحُقَيْق اليهوديُّ يَرْثِي كعبَ بنَ الأشرف[3]: [من الرّمل]

ذو نَـخـيـلٍ فـي تِـلاعٍ[4] جَـمّـةٍ تُـخـرِج الـطَّـلْعَ كـأمـثـال الأكُـفْ

وأمّا البلحُ والبُسْرُ والتّمر ـ فرُوِيَ عن عامر بنِ سعدٍ عن أبيه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «من تَصبَّح كلَّ يوم سبعَ تَمرات ـ يعني عجوةً ـ لم يضرَّه في ذلك اليوم سمٌّ ولا سِحر»، خرّجه البخاريُّ[5] في صحيحِه.

وقال الشيخ الرئيسُ أبو عليّ بنُ سينا: إنّ طبعَهما باردٌ يابسٌ في الثانية؛ والبُسْرُ أقبَضُ من القَسْب[6]؛ وإذا أُكِل وشُرِب الماءُ على أثره نَفَخ، وإن كان أوّلَ ما يحلو قَرْقَرَ أكثر، ويُحدِثان السُّدَدَ في الأحشاء، وطبيخُ البُسْرِ يسكن اللّهيبَ مع حفظ الحرارةِ الغريزيّة؛ والإكثارُ منهما يولّد في البدن أخلاطًا غليظة، والبُسْرُ يصدّع، وكثيرُه يُسْكِر؛ وهما رديئان للصّدر والرّئة، ويُحْدِثان السُّدَدَ في الكبد، وهضمُهما بطيء، والهَشُّ أقلُّ هضمًا؛ وغِذاؤهما يسير، وكلُّ واحد منهما يَعْقِل البطن. قال: والبلحُ يُغزِر البول، وإذا شُرِب بخلٍّ عَفِصٍ منعَ سيلانَ الرّحِمِ ونَزْفَ البواسير، وكثرةُ استعمالهما تُوقِع في القُشَعْريرة[7].

وقف وصف الشعراء البلحَ والبُسْرَ في أشعارهم ـ فمن ذلك ما قاله ابنُ وَكِيع التِّنّيسيّ في البلح: [من المنسرح]

أمـا تَـرى الـنّـخـلَ طـارحًـا بـلـحًـا جـاء بـشـيـرًا بـدولـة الـرُّطَـبِ

---

(١) غضّة: طريّة.
(٢) السفط: الوعاء.
(٣) كعب بن الأشرف: شاعر جاهلي طائي، شبّب بالمسلمات فقتله الأنصار سنة ٦٢٥ م.
(٤) تلاع: جمع تلعة، وهي القطعة من الأرض وما ارتفع منها.
(٥) البخاري: أبو عبد الله محمد، من كبار المحدّثين، ولد في بخارى. أشهر كتبه «الجامع الصحيح» في الحديث، وله «التاريخ» و«الضعفاء» في تراجم رجال الإسناد والحديث. مات سنة ٢٥٦ هـ.
(٦) القسب: الرديء من التمر اليابس.
(٧) القشعريرة: الارتجافة في الجلد والبدن.

كـأنّـه والـعـيـونُ تـنـظُـره إذا بـدا زهـرُه عـلى الـقُـضُـبِ
مَـكـاحِـلٌ[١] مـن زمـرّدٍ خُـرِطـتْ مـقـمَّـعـاتُ الـرؤوسِ بـالـذّهـبِ

وقال عبدُ الصّمد: [من الرّجز]

كـأنّـه فـي نـاضـرِ الأغـصـانِ زمـرّدٌ لاحَ عـلى تـيـجـانِ

وقال كمالُ الدين بنُ بشائرَ الإخْميمِي[٢] ـ وهو عصريّ ـ: [من مجزوء الرجز]

حـيَّـا بـهـا رائـحـةً كـالمِسك للمشتنشِقِ
وقـال شَـبِّـهْـهـا لـنـا فـقـلـتُ غـيـرَ مُـطْـرِقِ
مُـكْـحُـلةٌ مـخـروطـةٌ مـن دَهْـنَـجٍ مـوثَّـقِ[٣]
سِـدادُهـا مـن ذهـبٍ ومِـيـلُـهـا مِـن وَرَقِ[٤]

وقال شاعرٌ يصف البُسْرَ الأحمر: [من مخلّع البسيط]

أمَـا تَـرَى الـنّـخـلَ حـامـلاتٍ بُـسْـرًا حَـكَـى لـونُـه الـشَّـقـيـقـا
كـأنّـمـا خُـوصُـه[٥] عـلـيـه زمـرّدٌ مـثـمِـرٌ عَـقـيـقـا

وقال ابنُ المعتزّ: [من الرجز]

كَـقِـطَـعِ الـيـاقـوت يـانـعـاتِ بـخـالـص الـتِّـبـر مـقـمَّـعـاتِ

وقال في الأصفر: [من مجزوء الرجز]

أمـا تَـرَى الـبُـسْـرَ الّذي قـد حـاز كـلَّ الـعَـجَـبِ
كـيـف غـدا فـي لـونِـه كـعـاشـقٍ مـكـتـئـبِ
مَـكـاحـلٌ مـن فـضّـةٍ قـد طُـلِيَـتْ بـالـذّهـبِ

ووصفوا الرُّطَبَ والتّمر ـ فمن ذلك ما قاله محمدُ بنُ شرف القيروانيّ: [من الوافر]

ومـطـبـوخٍ بـغـيـر عَـقـيـدِ نـارٍ عَـزَمـتُ عـلى جَـنـاه بـابـتـكـارِ

---

(١) مكاحل: جمع مكحلة، وهي وعاء الكحل.
(٢) الإخميمي: نسبة إلى إخميم، مدينة مصرية على النيل بمحافظة سوهاج.
(٣) الدهنج الموثق: ضرب من الجواهر.
(٤) سدادها: ما تسدّ به المكحلة. وميلها: العود الذي يطلى بالكحل، وتكتحل به العين.
(٥) خوصه: ورق نخله.

تَوابيت تبدّت من عقيقٍ مقمَّعة بمسبوك النُّضارِ
تَرَى لصفاء جوهرِها نواها[١] كألسنة العصافير الصِّغارِ

وقال ابنُ الروميّ: [من الطويل]

بَعثتَ ببرْنيٍّ[٢] جَنِيٍّ[٣] كأنّه
مَخازنُ تِبْرٍ قد مُلِئن من الشَّهْدِ
مختَّمة الأطرافِ تَنقدُ قُمْصُها
عن العسل الماذِيِّ والعنبرِ الهنديّ
تُنقَّلُ من خُضرِ الثياب وصُفرِها
إلى حُمرِها باللّحظ إلّا من البعدِ
فكم لبثتْ في شاهقٍ لا تُرَى به
ولا تُجْتَنَى باللّحظ إلّا من البعدِ
ألذّ من السّلوَى وأحلى من المنى
وأعذبُ من وصل الحبيبِ على الصَّدِّ[٤]

وقال محمدُ بنُ شرف القَيْرَوانيّ في التّمر: [من المجتثّ]

أما تَرى التّمرَ يَحْكِي في الحُسنِ للنُّظّارِ
مَخازنًا من عقيقٍ قد قُمِّعتْ بنُضارِ
كأنّما زعفرانٌ فيه مع الشُّهْد جارِي
يَشِفّ مِثلَ كؤوسٍ مملوءةٍ من عُقارِ

وحيث انتهينا من وصف النخل وثمرتِه على اختلافها إلى ما وصفنا، فلنذكر أعجوبةً نَقَلَها محمّدُ بنُ عليِّ بن يوسفَ بنِ جَلَب راغب في تاريخ مصرَ في حوادث سنةِ اثنتين وسبعين وثلاثِمائة، فقال: اتّفق يومُ النَّوْرُوز[٥] في هذه السنة لسبعٍ خلون من شهر ربيع الأوّل، فأكل النّاسُ الرُّطَبَ قبل النَّوْرُوز، ولم يَبق في النّخل شيءٌ من الرُّطَب، ثمّ حَمَل النَّخلُ حَمْلًا ثانيًا، فأكل الناسُ البلحَ والبُسْرَ

---

(١) نواها: بذورها، جمع نواة.
(٢) البرني: من أنواع التمور.
(٣) جنيّ: طيّب، حسن الجنا، وشهيّ.
(٤) الصّد: الامتناع والبعد والنفور.
(٥) النوروز: عيد فارسي يصادف أول يوم في الربيع، وتقام فيه احتفالات مشهورة. واللفظة فارسية وتعني: اليوم الجديد.

مرّةً ثانية، ولم يتّفق مِثْلُ هذا في سنةٍ من السّنين، ولا سُمِع في تاريخ إلى وقتنا هذا.

ولنصِلْ ذكرَ النخلِ بما يشبّهه، وهو النّارَجِيلُ والفَوفَلُ والكاذيُّ والخَزَم.

فأمّا النارَجِيل؛ ويُسمَّى الرَّانِج، وسمّاه ابنُ سينا الجوزَ الهنديّ، وهو المشهورُ من أسمائه على ألسنة العوامّ؛ فهي نخلةٌ طويلةٌ تَميل بمرتقيها حتّى تُدنيه من الأرض للينِها، ولها أقناء[1]، يكون في القِنْو الكريم ثلاثون نارَجِيلة، ولها لبنٌ يسمّى الأطواقَ، يُشْرَب، حلوٌ، يُسكِر سُكْرًا معتدلًا؛ وأهلُ الهند يصنعون من النّارَجِيل الرَّطْب سُكّرًا، إلّا أنّه لا ييبسُ ويكونُ كالرّمْل.

وقال الشيخ الرئيسُ أبو عليّ بنُ سينا فيه: جيّدُه الطريُّ الشديدُ البياض؛ ويجب أن يؤخذَ عنه قِشرُ لبّه. قال: وطبعُه حارٌّ في أوّل الثانيّة، يابسٌ في الأولى، وفيه رطوبةٌ فَضْليّة؛ والرَّطْبُ منه رَطْبٌ في الأولى. وقال في أفعالِه وخواصِّه: هو ثقيل، غيرُ رديءِ الغِذاء؛ وقِشرُ لُبِّه لا ينهضِم. قال: ويجب ألّا يُتناوَلُ عليه الطعامُ إلّا بعد ساعة؛ ودُهنُه الطريُّ أفضلُ كَيْمُوسًا من السَّمْن، ولا يُلزِج المعدة؛ ودهنُه للبواسير، وخصوصًا دُهنَ العتيق منه، لا سيّما مع دُهن المِشمِش مشروبًا من كلِّ واحدٍ مثقال.

وقال كُشاجِم يصفه: [من السريع]

وذاتِ قِـشْـرٍ أسْـوَدٍ حَـشْـوُهـا	كـافـورةٌ مـومـوقـةُ الـمَـنـظـرِ[2]
قـد نُـشِـرتْ فـي رأسـهـا وَفْـرةٌ[3]	تَـسْـتُـرهـا عـن نـاظـر الـمـبـصـرِ
كـأنّـهـا جـمـجـمـةٌ أُلْبِـسـتْ	ذوائـبًـا[4] مـن خـالـص الـعـنـبـرِ

الفَوفَل ـ فقال أبو حنيفة: هي نخلةٌ مِثْلُ نخلة النّارَجِيل، تَحْمِل كبائسَ فيها الفَوفَل مِثْلُ التّمر، فمنه أسوَد، ومنه أحمر. وقال الشيخ الرئيس: قوّةُ الفُوفَل قريبةٌ من قوّة الصَّندَل، وهو مبردٌ بقوّة، قابض؛ وهو جيّدٌ للأورام الحارّةِ الغليظة، وموافِقٌ لمن به التهابٌ في عينه.

---

(١) أقناء: جمع قني وقنو، وهو عنقود النخل. (٢) مومُوقة المنظر: ينظر إليها بومق، أي بحبّ.

(٣) الوفرة: الشعر.

(٤) ذوائب: جمع ذؤابة، وهي الضفيرة من الشعر.

وأمّا الكاذِيّ ـ فقال: هي نخلة، إلّا أنّها لا تطول طولَ النّخل، فإذا أَطْلَعَت الطَّلْعَةَ قُطِعَتْ قبلَ أن تنشق، ثمّ تلقى في الدّهن، وتُتْرَك حتّى يأخذَ الدُّهنُ رائحتَها، فيُتطيَّب به، فإنْ تُرِكَت الطَّلعةُ حتّى تنشقَّ صار بلحًا، ويتناثر ولم توجد له رائحة.

وأمّا الخَزَم ـ فقال: هو شجرةٌ كالدَّوم[1]، له أَقْناءٌ وبُسْرٌ أسوَدُ إذا أينع إلّا أنه مرٌّ عَفِصٌ لا يأكله الناس؛ وتُتَخَذُ من خُوصِه[2] وعُسُبِه[3] الحبال، فلا يكون شيءٌ أقوى منها.

وأمّا الزّيتون وما قيل فيه ـ فقال الشيخ الرئيس: الزّيتونُ يغذو قليلًا؛ وورقُ البَرّيّ جيّدٌ للدّاحس[4]، ويَمنَع العَرَق مَسْحًا؛ وصَمْغُ البَرّيّ ينفع من الجرب المتقرّح والقوابي، وينفع الغِشاوَة والبَياض، ويجلو العين ووسخَ قروحِها ويُخرِج الجنين.

وماءُ الزّيتون المملَّح يُحقَن به لعِرق النَّسا، وورقُه يُطبَخ بماء الحِصْرِم حتّى يصيرَ كالعسل، وتُطلَى به الأسنان المتآكلةُ فينفعها؛ وعُصارةُ ورقِه للجُحوظ[5]. قال: والزّيتونُ الأسودُ مع نواه من جملة البَخورات للرَّبْو وأمراضِ الرّئة؛ والزّيتونُ الغليظُ المملوحُ يثير الشهوةَ، ويقوّي المعدةَ، ويولّد كَيْمُوسًا قابضًا؛ والمخلَّلُ أقبَلُ الجميع للهضم وأسرعُه.

وقال ابنُ وَكيع يصفه: [من مجزوء الرّجز]

أُنْـظُـرْ إلـى زيـتـونِـنـا ... فـيـه شـفـاءُ الـمُـهَـجِ[6]
بـــدا لـــنـــا كـــأعـــيُـــنٍ ... شُـهْـلٍ[7] وذاتِ دَعَـجِ[8]
مـــخـــضـــرُه زبـــرجـــدٌ ... مـــســـودُه مـــن سَـبَـجِ[9]

(١) الدوم: ضرب من الشجر من فصيلة النخليّات، يستخرج منه شيء كالدّبس، ويطلق عليه أيضًا اسم شجر المقل.
(٢) خوصه: سعفه وورقه.
(٣) عسب: جمع عسيب، وهو الجريدة من النخل كشط خوصها.
(٤) الداحس: من فيه دحس، وهو ضرب من الجروح والبثور في الجلد.
(٥) الجحوظ: نتوء العينين إلى الخارج.
(٦) المهج: جمع مهجة، وهي النفس والروح.
(٧) شهل: جمع شهلاء، من الشّهل، وهو حسن منظر العينين واتّساعهما.
(٨) الدعج في العينين: اتّساعهما، وشدّة سوادهما.
(٩) السبج: ضرب من الخرز والأحجار الكريمة.

وأمّا الخُرْنُوب وما قيل فيه ـ فقال الشيخ الرئيس: أصلَحُه الخُرْنُوب الشاميُّ المجفَّف، وهو قابض، والرَّطْبُ منه مُطلِق. قال: وإذا دُلِكت الثآليلُ بالخُرْنُوب النَّبَطِيّ الفِجّ دلكًا شديدًا أذهبها ألبتّة؛ والمضمضةُ بطبيخِه جيّدةٌ لوجع الأسنانِ؛ والرَّطْب من الشامِيّ رديءٌ للمعدة، لا ينهضم، واليابسُ أبطأ انهضامًا. قال: والجلوسُ في طبيخِه يقوّي المعدة؛ وفيه إدرار؛ والنَّبَطيُّ نافعٌ من سيلان الطَّمْث[1] المُفْرط أكلًا واحتمالًا. وقال جالِينُوس: ليت هذه الشجرةَ لم تُجْلَب إلى بلادٍ أخرى. وحُكِيَ أنّ سليمانَ عليه السلامُ كان من عادته أن يعتكفَ في البيت المقدَّس المُدَدَ الطِّوال، وكانت تخرج له في كلّ يوم من محرابه شجرة، فيسألها عن اسمها فتخبره، فخرجتْ له شجرةُ الخُرْنُوب، فسألها عن اسمها، فأخبرتْه، فبكى، وقال: نُعِيتْ إليَّ نفسي، فقيل له في ذلك، فقال: الخُرْنُوب خراب؛ ومات بعد ذلك بقليل.

وقال شاعرٌ فيه: [من المنسرح]

لـمّـا أتـى الـخُـرْنُـوبُ فـي طـبـقٍ حـنّـت إلـيـه الـنُّـفـوسُ والـمُـهَـجُ
كـأنّـه فـي كـمـال حـالـتِـه حَـبُّ عـقـيـقٍ أصـدافُـهـا سَـبَـجُ

وأمّا الإجّاصُ وما قيل فيه ـ فقال أبو بكر بنُ وحشيّةَ في توليده: إن خلطتم اليَبْرُوحَ بورق العُنّاب ومثلِ نصفِ وزنِ اليَبْرُوح كُنْدُسًا، وزرعتموه في أيِّ البلاد، خرج عن ذلك شجرُ الإجّاص الحامض؛ وإن أردتموه حُلوًا فاخلطوا مع اليَبْرُوح خميرَ دقيقِ الشّعير والحنطة مختلطَين، وقد طال اختمارهما حتى حَمُضا، فإنّه يخرج عنه شجرُ الإجّاص الحلو، وذلك بعد أن يُخْلَط بما تقدّم، ومن الخمر الحديث برِطل.

وقال الشيخ الرئيس في الإجّاص: البستيّ[2] منه أقوى من الأسوَد، والأصفرُ أقوى من الأحمر، والأبيضُ الكبير ثقيلٌ قليلُ الإسهال، والأَرْمَنِيُّ أحلى الجميع وأشدُّه إسهالًا، وأجوَدُه الكبارُ السَّمِينة؛ وطبعُه باردٌ في أوّل الثانية رَطْبٌ في آخرها. وقال في أفعالِه وخواصّه: صَمْغُه ملطِّف قَطّاعٌ مُغَرٍّ؛ وفي الدِّمَشْقِيِّ عَقْلٌ وقبضٌ عند دِيسْقُورِيدُس؛ وقال جالِينُوس: والذي لم يَنْضَج فيه قبض وغِذاؤه قليل، وليؤكل قبلَ الطعام، ويشرب المرطوبُ بعدَه ماءَ العسلِ والنَّبيذ وصَمْغُه مُلْحِمٌ للقروح، وبالخلِّ

(١) الطمث: دم الحيض.
(٢) البستي: نسبة إلى بست، مدينة قديمة في أفغانستان.

يَقْلَع القُوبَاء. وخاصّةً إن كان معه عسلٌ أو سكّر وخصوصًا في الصِّبيان؛ وورقه إذا تُمِضْمِض بمائه مَنَع من النوازل إلى اللّوزتين[١] واللّهاة[٢]؛ وإذا اكتُحِل بصَمْغِه قوّى البصر، والمُرُّ منه يسكِّن التهابَ القلب، وهو أشدُّ قَمْعًا للصّفراء؛ والحلوُ منه يُرخي المعدةَ بترطيبِه ويُبردها؛ وبالجملة لا يلائمها، والحلوُ منه أشدُّ إسهالًا للصّفراء؛ والرَّطْبُ أشدّ إسهالًا من اليابس، والدِّمَشقيُّ يَعْقِلُ البطنَ عند بعضهم؛ والبَرِّيُّ ما دام لم يَنْضَج جدًّا ففيه قبضٌ إجماعًا. وقال جالينُوس: إنّ دِيسْقُورِيدُس أخطأ في قوله: إنّ الدِّمَشِقيَّ يَقْبِض، بل هو مُسْهِل وصَمْغُه يفتِّت الحَصاة، وماؤه يُدِرّ الطَّمْث، وكلّما صَغُر كان أقلّ إسهالًا.

وقال سليمانُ بنُ بطّال الأندلسيّ يصفه: [من السريع]

بَعَثْتُ ما يَنْدُرُ لكنّه ... في وصفه النّاعتُ لم يَبْرِرِ
جيشًا من الزِّنج ولكنّه ... جيشٌ متى يَلقى العِدا يُقْهَرِ
يَنْفِي لك الصّفراءَ مهزومةً ... والزِّنجُ أعداءُ بني الأصفرِ[٣]

وقال آخر: [من السريع]

كأنّما الإجّاصُ في صِبغِه ... مسترِقٌ في اللّونِ صِبْغَ المُهَجْ
لم يَخْطُ في لونٍ وفي منظرٍ ... مستحسَنِ الوصف وعَرْف أرِجْ[٤]
قطائعَ العنبر ملمومةً ... أو خرزاتٍ خُرِطت من سَبَجْ

وممّا وُصِف به القَرَاسِيا ـ قال شاعر: [من الخفيف]

وحبوبٍ كأنّها حَدَقُ الأعـ ... ـينِ سُودٍ دموعهنّ دماءُ
مائلاتٍ مِثل النّجومِ علينا ... في بُرُوجٍ لها الغصونُ سماءُ
وإذا ما نثرتَها ففصوصٌ ... صَبَغتْها بمائها الظّلماءُ
من يذُقْها يذُقْ رُضابَ[٥] غزالٍ ... فهي والخمرُ في المَذاقِ سواءُ

وأمّا الزُّعْرُور وما قيل فيه ـ فقال الشيخ الرئيس: الزُّعْرُور يُسمّى مثلَّثَ العَجَم، ومنه نوعٌ تسمّيه اليونانيّون هيقيليمون، وربّما سمّوه التّفاحَ البَرّيّ، وشجرُه يُشْبِه شجرَ

---

(١) اللوزتان: لحمتان في أقصى الحلق إلى داخل جنبيه.
(٢) اللهاة: لحمة تطل من سقف الحلق، في أقصاه.
(٣) بنو الأصفر: تطلق هذه اللفظة على الروم، وقد تطلق على الجنس الأصفر في شرق آسيا.
(٤) عرف أرج: رائحة ذكيّة. (٥) الرضاب: الريق.

التفّاح حتّى في ورقه، إلّا أنّه أصغرُ منه، عَفِصُ الطّعم؛ وهو قابض، يَقْمَع الصّفراء، ويَحْبِس السيلاناتِ أكثرَ من كلّ ثمرة.

وفي وصفه يقول ابنُ رافع: [من السريع]

كأنّما الزُّعْرُورُ لمّا بدا في حُسنِ تقديرٍ ومَرأى أنِيقْ
جلاجلٌ[1] مخضوبةٌ عَنْدَمًا[2] أو خرزاتٌ خُرِطتْ من عقيقْ
يَضُوع من رَيّاه[3] إمّا هفا به نسيمُ الرّيح مِسكٌ فَتِيقْ[4]

وقال أيضًا فيه: [من الرّجز]

أُنظرْ إلى زُعْرورنا المنعوتِ نَكْتُه كالعنبر المفتوتِ
كأنّه في الوصف والنُّعوتِ بنادقٌ من أحمرِ الياقوتِ

وأمّا الخَوْخ وما قيل فيه ـ فالشاميُّون يسمّونه الدُّراقِن؛ قال الشيخ الرئيس: طبعُ الخَوْخ باردٌ في أوّل الثانية، رَطْبٌ في الأُولى دون آخِرها، ورطوبتُه سريعةُ العفونة، وهو مليّن، وفيه قبض ما، وأقبَضُه المقدَّد[5]، وفيه منعٌ للسَّيلان؛ والفجُّ منه قابضٌ أيضًا، وإذا قُطِرَ ماءُ ورقِه في الأُذُن قَتَل الدِّيدان، ودُهنُه ينفع من الشَّقِيقَةِ[6] وأوجاع الأُذُن الحارّةِ والباردة؛ والنَّضِيجُ منه جيّدٌ للمعدة، وفيه تشهيةٌ للطّعام؛ ويجب ألّا يؤكَل على غيرِه فيَفْسُد عليه ويُفسِدَه، بل يقدَّم على الطّعام، وقَدِيدُه بطيءُ الهَضْم ليس بجيّد الغِذاء. قال: وإذا ضُمِدتْ بورقِه السُّرّةُ[7] قَتَل دِيدانَ البطن، وكذلك إن شُرِبتْ عُصارةُ فُقّاحِه[8] وورقِه؛ والنّضِيجُ منه يليِّن البطن؛ والفِجُّ عاقل. قال: وقد قال بعضهم: إنّه يزيد في الباه، ويُشْبِه أن يكون ذلك للأبدان الحارّة.

وأمّا ما وُصِفَ به من الشّعر ـ فمن ذلك قولُ شاعر: [من المنسرح]

في الخَوْخِ أُعجوبةٌ لناظرِهِ ما مِثلُها جاء في الأحاديثِ
كأنّه وجنةُ الحبيبِ وقد أثّرَ فيها قَرْصُ البراغيثِ

---

(١) الجلاجل: جمع جلجل، وهو الجرس الصغير.
(٢) العندم: ضرب من النبت، له صبغ مشهور، أحمر.
(٣) ريّاه: رائحته. (٤) فتيق: شديد الرائحة وطيّبها.
(٥) المقدّد: المعرّض للشمس لكي ييبس ويصير كالقديد من اللحم.
(٦) الشقيقة: الصداع المزمن في الرأس، أو في جانبه والشقّ منه.
(٧) السرّة: النقرة في وسط البطن، وهي أصل المشيمة للولد في بطن أمّه.
(٨) فقّاحه: زهره.

وقال أبو بكر الصَّنَوْبَريّ: [من مخلّع البسيط]

أهـدَى إلـينـا الـزمـانُ خَـوْخَـا مَـنْـظَـرُهُ مَـنْـظَـرٌ أنِـيـقُ
مـن كـلِّ مـخـصـوصـةٍ بـحُـسْـنٍ مـعـنـاه فـي مِـثْـلِهـا دقـيـقُ
صـفـراء حـمـراء مـسـتـفـيـدٌ بـهـجـتَـهـا الـتِّـبْـرُ والـعـقـيـقُ
ذاتُ أديـمَـيـن[١] ذا بَـهـارٍ[٢] لـمـجـتـنـيـه، وذا شَـقـيـقُ[٣]
كـوجـنـةٍ أُلْبِـسـتْ خَـلُوقـا[٤] فـزال عـن بـعـضِـهـا الـخَـلُوقُ

وقال أبو بكر بنُ القُرْطُبيّة: [من البسيط]

وطيّبِ الرِّيقِ عذبٍ آبَ[٥] في آبِ وزار مشتمِلًا[٦] في زِيِّ أعرابِ
في مُخْمَلِ الثوبِ لم تَحْمُل رَآسَتُه بين الفواكه من نقصٍ ولا عابِ
خالسْتُه نظري فاحمرّ من خَجلٍ ثمّ أنثنى مُعْرِضًا عنّي كمرتابِ
مَن اسمُه فيه مقلوبًا ومبتدأً أربَى على اللّوز في تطريزِ جِلبابِ[٧]

وقال أيضًا: [من الوافر]

وبـنـتِ نَـدًى مـخـطَّـطـةِ الأعـالـي بـمـحـمـرٍّ كـلَوْن الأُرْجُـوانِ
كـوجـنـةِ غـادةٍ[٨] خـافـت رقـيـبـا فـغـطّـتـهـا بـمـحـمـرّ الـبَـنـانِ[٩]

وقال أبو هلال العسكريّ: [من السريع]

وخَـوخـةٍ مِـلءِ يـدِ الـجـانـيـهْ تَـملِك لـحظَ الأعيُن الرّانيهْ[١٠]
مـصـفـرّةِ الـوجـنـةِ مـحـمـرّةٍ كـأنّـهـا عـاشـقـةٌ سـالـيـهْ

وأمّا المِشْمِش وما قيل فيه ـ فقال الشيخُ الرئيس: أجْوَدُ المِشْمِش الأرمَنيّ، فإنّه لا يُسْرِع إليه الفسادُ ولا الحُموضة، وإذا أُكِلَ المِشمِشُ فيجب أن يؤخذَ من المُصْطَكَا والأَنِيسُون بالسويّة وزنُ درهم أو درهمين في خمرٍ صِرْفٍ أو نبيذِ زبيبٍ أو نبيذِ عسل.

(١) أديمين: مثنّى أديم، وهو الجلد. (٢) البهار: ضرب من الأزهار.
(٣) الشقيق: واحد شقائق النعمان، الأزهار المختلفة اللون، وأشهرها الأحمر.
(٤) الخلوق: ضرب من الطّيب. (٥) آب: رجع وعاد.
(٦) مشتملًا: لابسًا عليه، كالشّملة. (٧) الجلباب: الثوب الواسع يتجلبب به.
(٨) الغادة: الحسناء في ريعان صباها. (٩) البنان: الأصابع في اليد، وأطرافها.
(١٠) الرانية: الناظرة بحنوّ.

قال: وطبعُه باردٌ رَطْبٌ في الثانية، ودُهنُ نواه حارٌّ يابسٌ في الثانية، وخِلْطُه سريعُ العفونة، وهو يسكِّن العطش؛ ودُهنُ نواه ينفع من البواسير، وهو يولِّد الحُمَّيات لسرعةِ تعفُّنه؛ ونَقيعُ المقدَّد منه ينفع من الحُمَّيات الحارّة.

وقد وصفه الشعراءُ وشبَّهوه؛ فمن ذلك قولُ بعض الشعراء: [من السريع]

أفـدِي حـبيـبًـا جـاءنـي مـتـحِـفًـا ... بـمِـشـمـشٍ أحـلَى مـن الـسُّـكَّـرِ
فـخِـلـتُـه حـيـن تـأمّـلـتُـه ... بـنـادقًـا[1] مـن ذهـبٍ أحـمـرِ

وقال ابنُ وكيع: [من الطويل]

بدا مِشْمِشُ الأشجارِ يذكو[2] شِهابُه ... على خُضرِ أغصانٍ من الرِّيِّ مُيَّدِ[3]
حَكَى وحكت أشجاره في اخضرارِها ... جـلاجـلَ تِـبْـرٍ فـي قِـبـابِ زبـرجـدِ

وقال ابنُ رَشِيق: [من السريع]

كـأنّـمـا الـمِـشـمـشُ لـمّـا بـدت ... أشـجـارُه وهـو بـهـا يَـلْـتَـهِـبْ
خضرُ قِبابِ المُلك حَفّت بها ... جـلاجـلٌ مـصـقـولـةٌ مـن ذهـبْ

وقال ابنُ المعتزّ: [من البسيط]

ومِشْمِشٍ بان منه أعْجَبُ العَجَبِ ... يدعو النفوسَ إلى اللّذّاتِ والطَّرَبِ
كأنّه في غصون الدَّوْح[4] حين بدا ... بنادقٌ خُرِطَتْ من خالص الذَّهَبِ

وقال ابنُ الرُّوميّ: [من الكامل]

قِشرٌ من الذّهب المصفّى حشوُه ... شُـهْـدٌ لـذيـذٌ طـعـمُـه لـلـجـانـي
ظَلْنا لـديه نـديرُ فـي كـاساتِـنـا ... خمرًا تُشَعْشَع كالعقيق القاني
وكـأنّـمـا الأفـلاكُ مـن طربٍ بـنـا ... نَـثَـرَتْ كـواكـبَـهـا عـلى الأغـصـانِ

وقال أيضًا يذمّه: [من الطويل]

إذا ما رأيتَ الدّهرَ بستانَ مِشْمِشٍ ... فـأيـقِـنْ يـقـيـنًـا أنّـه لِطـبـيـبِ
يُـغِـلّ لـه مـا لا يُـغِـلّ لـربِّـه ... يُغِلّ مريضًا حَمْلُ كلِّ قضيبِ

---

(١) بنادق: جمع بندقة، وهي الحبة من البندق، ومن كل شيء.
(٢) يذكو: يتّقد. (٣) ميّد: متثنّية.
(٤) الدوح: الشجر الكبير الملتفّ.

وأمّا العُنّابُ وما قيل فيه ـ فقال أبو بكر بنُ وحشيّةَ في توليدِه: وإن أردتم العُنّابَ الكبارَ فخذوا بِطّيخةً هنديّةً فقوّروا[١] رأسَها من جهة الرأس، واْحشوا اليَبْرُوحَ فيها، وأعيدوا القُوَارَةَ في موضعِها، وصبّوا اللّبَن الحامضَ بزُبْدِه عليها وازرعوها في الأرض، وعمّقوا لها الحفرَ قليلًا، واسقوها في أوّل زرعها، فإنّها تُخرِج شجرةً تَحْمِل عُنّابًا كبارًا كأمثال الإجاص اللّطيف.

وقال الشيخ: أجوَدُ العُنّاب أعظَمُه، وطبعُه باردٌ إلى الأُولى معتدلٌ في اليُبوسة والرطوبة، وهو إلى قليلِ رطوبة، وينفع حِدّةَ الدّم الحارّ. قال: أظنّ ذلك لتغليظه الدّم، وتلزيجِه إيّاه. قال: والّذي يُظَنّ من أنّه يصفّي الدَّمَ ويغسله ظنٌّ لستُ أميل إليه، وغِذاؤه يسير، وهضمُه عسير. قال: والقولُ الجيّدُ فيه ما قاله جالِينُوس: «ما وَجدتُ للعُنّاب في حفظ الصّحّة ولا إزالةِ المرض أثرًا، لكن وجدتُه عسيرَ الهضم، قليلَ الغِذاء». قال الشيخ: والعُنّابُ ينفع الصّدرَ والرّئة، وهو رديءٌ للمعدة. وقيل: إنّه نافعٌ لوجع الكُلْيَة والمَثانة.

وقد وصفه الشعراءُ وشبّهوه ـ فمن ذلك قولُ ابنِ القُرْطُبيّة: [من البسيط]

أما تَرَى شجرَ العُنّاب مُوقَرةً[٢] ... بكلِّ أحمرَ لمّاعٍ من الخَرَزِ
وقد تدلّت به الأغصانُ مائلةً ... مِثلَ العَثاكِيل[٣] من صدرٍ إلى عَجُزِ
وقد حمَتْه عن الأيدي أسنّتُها ... حِذارَ مفترسٍ أو خوفَ منتهِزِ

وقال أبو طالب المأمونيّ: [من المجتثّ]

يَرُوقُني العُنّابُ ... فبي إليه انصبابُ
إذ لاح لي منه أطرا ... فُ من أحبُّ الرِّطابُ
يَحْكِي فرائدَ دُرٍّ ... لها العقيقُ إهابُ[٤]

وقال ابنُ رافع: [من الرّجز]

أحْبِبْ بعُنّابٍ بدا أَنيقِ ... كمِثْلِ لونِ وجنةِ المعشوقِ
أو خَرزٍ لُمّتْ من العقيقِ ... أو كقلوبِ الطّير في التحقيقِ
جاءت بها شَغْواءُ[٥] رأسَ نِيقِ[٦] ... كأنّما اشتُقّ من الشّقيقِ

---

(١) قوّروا: جوّفوا، وجعلوه مدوّرًا في جوفه.
(٢) موقَرة: محمّلة.
(٣) العثاكيل: جمع عثكول، وهو العنقود.
(٤) إهاب: جلد وثوب.
(٥) الشغواء: صفة لأنثى العقبان.
(٦) النيق: أعلى قمة في الجبل.

أو كان يُسْقَى بجَنَى الرَّحِيقِ[١] أحلَى من السُّكَّر في الحُلوقِ
* في نَكْهَةِ العنبرِ والخَلُوقِ[٢] *

وقال أيضًا فيه: [من السريع]

كأنّما العُنّابُ لمّا بدا يَلوح في أعطافِ غصنٍ أنِيقْ
تطريفُ[٣] مَن تطريفُها مِن دمي أو خَرَزاتٌ خُرِطَتْ من عَقِيقْ
أو كقلوب الطّير جاءت بها أفراخَها شَغْواءُ في رأسِ نِيقْ

وقال فيه: [من السريع]

كأنّما العُنّابُ في دَوْحِهِ لمّا تَناهَى حُسنُه واستَتَمّ
أقراطُ ياقوتٍ تبدّت لنا أو أنملٌ قد طُرِّفتْ بالعَنَمْ[٤]

وأمّا النَّبِقُ[٥] وما قيل فيه ـ فقال الشيخ الرئيس: الرَّطْبُ من النَّبْق واليابسُ فيهما تجفيفٌ وتلطيف؛ ودخانُ السِّدْرِ[٦] شديدُ القبض؛ والنَّبْقُ قابض وخصوصًا سَوِيقَه[٧]، ويَمْنَع تساقُط الشّعر، ويطوِّلُه، ويقوّيه، ويليّنُه، وورقُ السِّدْرِ يليّن الورمَ الحارَّ ويحلّله؛ وينفع من الرَّبْو وأمراضِ الرِّئة؛ وهو مقوٍّ للمعدة عاقلٌ للطبيعة، وينفع من نَزْفِ الحيضِ والطَّمْثِ، ومن قُروح الأمعاء، خصوصًا سَوِيقَه؛ وينفع من الإسهال الكائنِ بسبب ضَعف المعدة. قال: والسِّدْرُ يُحْتَقَن بطبيخِه، ويُشْرَب لهذه العِلَلِ، ولسَيَلانِ الرَّحِم.

وقد وصفه الشعراءُ وشبّهوه ـ فمن ذلك قولُ شاعر: [من الطويل]

وأشجارِ نَبْقٍ قد تَكامَل حُسْنُها أتت بغريبٍ في الثّمار بديعِ
فمِن أحمرٍ قانٍ وأصفرَ فاقعٍ ويانعِ مخضرٍّ كزهرِ ربيعِ

وقال آخَر: [من المجتثّ]

وسِدْرَةٍ كلّ يومٍ من حُسنِها في فنونِ

---

(١) الرحيق: الخمرة، والخالص من الزهر. (٢) الخلوق: ضرب من الطّيب.
(٣) تطريف: تزيين وترصيع. (٤) العنم: ضرب من النبات، ثمره أحمر اللون.
(٥) النبق: دقيق حلو يخرج من لبّ النخلة، والنبق: ضرب من الشجر أيضًا، تستخرج منه مادة طبّية.
(٦) السدر: ضرب من الشجر، وهو النبق نفسه، أو ما يشبه النبق، ومن فصيلته.
(٧) سويقه: أي ماؤه المستخرج منه مخلوطًا بغيره.

كـأنّـمـا الـنَّـبْـقُ فـيـهـا وقـــد بـــدا لـــلعـــيـــونِ
جـلاجـلٌ مـــن نُـضـارِ قـد عُـلِّقتْ فـي الـغُـصـونِ

وقال كُشاجِم من أبيات: [من الرّجز]

في ظلّ سِدْرٍ مثمرٍ داني العَذَبْ[1] فيه لأنواعٍ من الطّير صَخَبْ
إذا الرّياحُ زَعْزَعَتْ تلك الشُّعَبْ أهدَى لنا بنادقًا من الذَّهَبْ

وقال عبدُ الله بنُ المعتزّ: [من مجزوء الكامل المرفّل]

أُنــظـرْ إلــى الــنَّـبْـق الّذي فـيـه الـشّـفـاءُ لـكـلّ ذائـقْ
فــكـــأنّـــه فـــي دَوْحِـــهِ والـلّيـلُ مـمـدودُ الـسُّـرادِقْ[2]
ذهـبٌ تُـبـهـرِجُـه[3] الـصَّـيـا رفُ[4] صـار حَبًّا لـلمَـخـانقْ[5]

وقال أبو الفرج البَبّغاء: [من الرّجز]

أُنظرْ إلى النَّبْق البديعِ المنظَرِ الطّيّبِ الرّيحِ اللّذيذِ المَخبَرِ
أحلَى مَذاقًا من مَذاقِ السُّكّرِ كَخَرَزٍ مـن كـهـربـاءٍ أصـفـرِ

الباب الثالثُ

من القسم الثاني من الفنّ الرابع

فيما ليس لثمره قشرٌ ولا نوى

ويَشْتمِلُ هذا البابُ على ثمانية أصناف، وهي العِنَب والتِّينُ والتّوتُ والتُّفّاح والسَّفَرْجَلُ والكُمَّثْرَى واللُّفّاحُ والأُتْرُجّ.

فأمّا العِنَبُ وما قيل فيه ـ فشجرةُ العنب: الكَرْمة، والجمعُ كَرْمٌ وكُروم. والجَفْنةُ: الكَرْمة، ويقال فيها: الجَفَنةُ بفتحتين. ويقال للقضيب منها: الحَبَلة، وقيل: الحَبَلةُ، أصلُ الكَرْمة: والقضيب: السَّرْغ بغين معجمة، والجمعُ سُروغ، رواه أبو عمرو عن ثعلب؛ وقال أبو بكر: السَّرْع بعينٍ غيرِ معجمة: قضيبٌ من قُضبان الكَرْم.

---

(١) العذب: أغصان الشجرة.
(٢) السرادق: الممشى العريض فيه بهاء وجلالة.
(٣) تبهرجه: تزيّنه وتصوّغه.
(٤) الصيارف: جمع صيرفي، وهو الذي يعمل في النقود، جلائها وتمييز الصحيح منها من الزائف.
(٥) المخانق: جمع مخنق، وهو ما يوضع حول العنق من العقود.

وفي القضيب الأُبْنة، والجمعُ أُبَن، وهي العُقَد التي تكون فيه. فإذا أَخْرَج القضيبُ ورقَه قيل: قد أطلَعَ، فإذا ظهر حَمْلُه قيل: قد أحْثَر وحَثِر، فإذا صار حِصْرِمًا قيل: حَصْرَم، ويقال للحِصْرِم: الكَحْب، الواحدة كَحْبَة؛ ولِما تَساقَطَ من العنب: الهَرُور. فإذا اسودّ نصفُ حَبِّه قيل: شَطَّر تَشْطيرًا. فإذا اسودَّت الحَبَّةُ إلّادون نصفِها قيل: قد حَلْقَم يُحَلْقِم، فإذا اسودّ بعضُ حَبِّه قيل: قد أَوْشَمَ إيشامًا؛ ولا يقال للعنب الأبيض: أَوْشَم. فإذا فشا فيه الإيشام قيل: قد أَطْعَمَ. فإذا أَدْرَك غايةَ الإدراك قيل: يَنَعَ وأَيْنَعَ وطاب. والعُنقُود معروفٌ ما دام عليه حَبُّه. فإذا أُكِلَ فهو عمشوش. ويقال لمَعْلَق الحَبِّ من الشِّمْرَاخ: القِمَع؛ ويقال إذا جُنِيَ: قد قُطِف قِطافًا، فإذا يَبِس، فهو الزَّبيب والعُنْجَد. والقِطْفُ: العُنقود؛ وفي التّنزيل: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [الحَاقَّة: الآية ٢٣].

قال الشيخ الرئيس أبو عليّ بنُ سينا: الأبيضُ أحمدُ من الأسود إذا تَساوَيا في سائر الصّفات من المائيّةِ والرِّقَّةِ والحلاوةِ وغيرِ ذلك؛ والمتروكُ بعد القَطْفِ يومين أو ثلاثةً خيرٌ من المقطوف في يومِه.

وأمّا طبعُه ـ فإن قِشْرَه باردٌ يابسٌ بطيءُ الهضم، وحَشْوُه حارٌّ رَطْب، وحَبُّه باردٌ يابس؛ والمقطوفُ منه في الوقت ينفخ، والمعلَّقُ حتى يَضمُر قِشرُه جيّدُ الغِذاء، مقوٍّ للبدن؛ وغِذاؤُه شبيهٌ بغِذاء التّين في قلّة الرّداءةِ وكِثرةِ الغِذاء، وإن كان أقلَّ من غِذاء التّين، والنَّضيجُ أقلُّ ضررًا من غيرِ النَّضيجِ، وإذا لم ينهضم العنبُ كان غِذاؤه فِجًّا نِيئًا؛ وغِذاءُ العنب بحالِه أكثرُ من غِذاء عصيرِه، ولكنّ عصيرَه أسرعُ نفوذًا وانحدارًا. قال: والزَّبيبُ صديقُ الكبدِ والمعدة؛ والعنبُ والزَّبيب بعَجَمهما[1] جيّد لأوجاع المِعَى؛ والزَّبيب ينفع الكُلَى والمَثَانة؛ والعنبُ المقطوفُ في الوقت يحرِّك البطنَ وينفخ؛ وكلُّ عنبٍ فإنّه مضِرٌّ للمثانة، والله أعلم.

وأمّا ما وُصفتْ به الكُرومُ والأعنابُ نظمًا ونثرًا ـ فمن ذلك ما قاله مؤيِّدُ الدِّين الطُّغْرائيّ[2]: [من السريع]

وكَـرْمـةٍ أعـراقُـهـا فـي الـثَّـرَى بـعـيـدةِ الـمَـنْـزع والـمَـضْـرِبِ

---

(١) عجمها: نواها وبزرها.

(٢) هو مؤيّد الدين الطغرائي، الشاعر والوزير والكاتب، ولد بأصبهان، ولي الوزارة للسلطان مسعود السلجوقي. مات قتلًا سنة ١١٢٠ م. اشتهر بلامية العجم ومطلعها:

أصالة الرأي صانتني عن الخطل وحلية الرأي زانتني من العطل

كـريـمـةٍ تـلـتـفّ أغـصـانُـهـا الـ ـغَـضّـةُ[١] بـالأقـربِ فـالأقـربِ
تَمتاحُ[٢] مِن قَعرِ الثَّرَى رِيَّها[٣] أشـطـانُـهـا[٤] عَـفـوًا ولـم تُـجْـذَبِ
ألْقَحها الرّيح وصَوْبُ الحَيا[٥] والشمسُ في المشرقِ والمغربِ
فـأعـقَـبـتْ حـائـلُـهـا[٦] بـعـد مـا عـاشـت زمـانًـا وهـي لـم تُـعـقِـبِ
ووضـعـتْـهـا نُـخَـبـا تَـنْـتَـمِـي إلـى أبٍ أَكْـرِمْ بـه مـن أبِ
وألـحَـفَـتْـهـا خـضـرًا أوراقُـهـا مـغـذوّةً بـالـحَـلَـبِ[٧] الأعـذَبِ
وأسلمتْها الشمسُ من صِبغةِ التـ ـلويـح لـلأغـربِ فـالأغـربِ
فَـمَـهَـرتْ فـيـهـا وجـاءت بـمـا يَبـهَـر من مستحسَن معجِبِ
وبَـدّلَـتْ خـضـرَ عـنـاقـيـدِهـا بـالأدهـم اليَـحْـموم والأشـهَـبِ[٨]
واستَـسـلَـفتْ مـاءً وجـاءت بـه مُـدامـةً[٩] كـالـقَـبَـس الـمُـلـهَـبِ
ولـم تَـزَل بـالـرِّفق حـتّـى اكـتَـسَـى لُجَيْنُها[١٠] من صِبْغِها المُذْهَبِ
فـالأشـقـرُ الـمَـنْـتُـوجُ من نـسـلِـهـا سَليلُ ذاك الأشهبِ المُنْجِبِ[١١]
تَـرَى الـثُّـريّـا[١٢] من عـنـاقـيـدِهـا تـلوح في أخضرَ كـالغيـهَبِ[١٣]
ألـقـابُـهـا شـتّـى وألـوانُـهـا متّفقاتُ النَّجرِ[١٤] والمَنْصِبِ
كـم دُرّةٍ فـيـهـا وكـم جَـزْعـةٍ[١٥] صـحـيـحـةِ الـتّـدويـرِ لـم تُـثـقَـبِ
كـأنّـمـا الـحـالِكُ مـنـهـا لـدى أبـيـضِـهـا الـلامـعِ كـالـكـوكـبِ
جِيلان من زَنْجٍ ورُوَمٍ[١٦] غدت فـي جُـنَـنٍ خـضـرٍ لـهـا تَـخْـتَـبِي

---

(١) الغضّة: الطرية.
(٢) تمتاح: تمتصّ وتأخذ الماء.
(٣) ريّها: شربها وشبعها.
(٤) أشطانها: حبالها، كناية عن جذورها.
(٥) صوب الحيا: المطر المتساقط.
(٦) حائلها: من يميل، ولم يلقح أو يحمل بعد.
(٧) الحلب: الحليب، أي عصير مادّتها.
(٨) الحجوم والأشهب: الأسود والأبيض.
(٩) مدامة: خمرة.
(١٠) لجينها: فضّتها.
(١١) المنجب: الذي ينتج وينجب أولادًا.
(١٢) الثريا: مجموعة أنجم صغار في السماء، تبدو كالثريّا.
(١٣) الغيهب: الظلام.
(١٤) النجر: اللون، والأصل.
(١٥) الجزعة: الخرزة.
(١٦) إشارة إلى لونيها الأسود والأبيض أو الأشقر.

كـأنـمـا تَـحْـمِـل حَـبّـاتِـهـا أكـارعُ الـنّـغْـرانِ[١] بـالـمِـخْـلَبِ
أطْيِبْ بـهـا جِـلّا ومـحـظـورةً[٢] فـي كَـرْمِـهَـا أو كـأسِـهـا أطْـيِـبِ

وقال آخر: [من مجزوء الرّجز]

رُحْـنـا إلـى حـديـقـةٍ بـكـلِّ حُـسـنٍ مُـحْـدِقَـهْ
كـأنّـمـا عُـنـقـودُهـا زِنْـجٌ جَـنَـوا فـي سَـرِقَـهْ
فـأصـبـحـتْ رؤوسُـهـم عـلـى الـذُّرا مُـعـلَّـقَـهْ

وقال ابنُ المعتزّ: [من البسيط]

ظلّت عناقيدُها يَخْرُجن من ورقٍ كما احْتَبَى[٣] الزِّنْجُ في خُضرٍ من الأُزُرِ

وقال النّاجِم: [من المنسرح]

مُـعـرَّشٌ[٤] لـلكُـروم مـنـتـشِـرٌ أوراقُـه الـخُـضْـرُ دونَ مَـرآهَـا
فـكـلُّ كَـرْمٍ هـو الـسـمـاءُ دُجًـى وكـلُّ عُـنـقـودِه ثُـرَيّـاهـا

وقال الرّفّاه[٥]: [من الكامل]

يَـخْـمِـلن أوعـيـةَ الـمُـدام كـأنّـمـا يـحـمـلـنـهـا بـأكـارعِ الـنّـغْـرانِ

وقال الصّاحبُ بنُ عَبّاد[٦]: [من الرجز]

وحَـبّـةٍ مـن عـنـبٍ قـطـفـتُـهـا تحسُدها العقودُ في التّرائِبْ[٧]
كـأنّـهـا مـن بـعـد تـمـيـيـز لـهـا لـؤلـؤةٌ قـد ثُـقِـبـتْ مـن جـانـبِ

وقال ابنُ المعتزّ: [من مجزوء الرّجز]

وحَـبّـةٍ مـن عـنـبٍ مـن الـمُـنَـى مُـتّـخَـذَهْ
كـأنّـهـا لُـؤلـؤةٌ فـي بـطـنِـهـا زمـرّده

---

(١) النغران: ضرب من الطيور. (٢) محظورة: ممنوعة.
(٣) احتبى: قعد الحبوة، أو لبس الثوب واحتبى به في قعدته.
(٤) معرّش: مكان العريش، وهو شجر الكرمة.
(٥) هو السريّ الرفّاه، الشاعر العباسي، سبق التعريف به.
(٦) الصاحب بن عباد: أديب وشاعر ووزير، سبق التعريف به.
(٧) الترائب: جمع تريبة، وهي الضلع في الصدر.

وقال البادَنيّ: [من مجزوء الرّمل]

وعـــنـــاقـــيـــدِ تــراهـــا إذ تَـمـايَـلن مَـمـيـلا
رُكِّـبـتْ فـيـهـا لآلٍ[١] لـم تُـثـقَّـبْ فـتـزولا

وقال عبدُ المحسن الصوريّ[٢] يصف عنبًا أُهْدِيَ إليه وهو مغطًّى بورقه: [من الخفيف]

جاءنا منكَ تُحفةٌ أنا منها أبدًا في تَضاعُفِ السَّرّاءِ[٣]
عـنـبٌ أسـودٌ كـأنّ عـلـيـه حُللًا من حَنادِسِ الظَّلْماءِ[٤]
خِلْتُه في خِلال أوراقِه الخُضـ ـرِ ولونِ اسودادِه والصّفاءِ
كقُموعٍ على أنامِلِ خَوْدٍ[٥] لحُنَ من كُمِّ لاذةٍ[٦] خضراءِ

وقال ابنُ الرُّوميّ يصف العنبَ الرَّازقيّ: [من الوافر]

كـأنّ الـرازقـيَّ وقـد تَـبـاهـى وتاهت بالعناقيد الكُرومُ
قَواريرٌ[٧] بماء الوَرْدِ مـلآى تَشِفّ ولؤلؤٌ فيها يعومُ
وتَحسبُه من العسل المصفّى إذا اختَلفتْ عليك به الطُّعومُ
فكلُّ مجمَّعٍ منه ثُريًّا وكلُّ مفرَّقٍ منه نجومُ

وقال فيه أيضًا: [من الرجز]

ورازقيٌّ مُخْطَفِ الخصورِ[٨] كـأنّـه مَـخـازنُ الـبَـلُّورِ
قد ضُمِّنتْ مِسْكًا إلى الشُّطورِ وفي الأعالي ماء وَرِدٍ جُورِيّ[٩]
لم يُبْقِ منه وَهَجُ الحَرورِ[١٠] إلّا ضـيـاءً فـي ظـروفِ نُـورِ
له مَذاقُ العسلِ المَشُورِ[١١] ورِقّـةُ الـمـاء عـلى الصّدورِ

---

(١) لآل: أي لآلىء، جمع لؤلؤة.
(٢) عبد المحسن الصوري، شاعر من صور، حسن الإشارة، لطيف العبارة، اشتهر بوصفه الطبيعة والرياض. له ديوان شعر مطبوع.
(٣) السرّاء: السرور، بخلاف الضّرّاء. (٤) حنادس الظلماء: الظلمات الشديدة الحالكة.
(٥) الخود: الفتاة الشابة المتثنّية. (٦) اللاذة: ضرب من الثياب الحريرية.
(٧) قوارير: أوعية من الزجاج وغيره تعبّأ بالسائل، جمع قارورة.
(٨) مخطط الخصور: ضامرها.
(٩) جوري: منسوب إلى بلد جور قرب شيراز، وفيها السور المعروف باسمها من أجمل الورود.
(١٠) الحرور: القيظ والحرّ. (١١) المشور: المستخرج من أقراص شمعه.

وَنَفحةُ المِسْكِ مع الكافورِ لو أنّه يَبْقَى على الدّهورِ
قَرّطَ آذانَ الحِسانِ الحُورِ بلا فَريدٍ[١] وبلا شُذورِ[٢]

وقال أبو الوليد بنُ زيدون[٣] وقد أهداه: [من الخفيف]

قد بعثناه ينفع الأعضاءَ حين يجلو بلطفه السَّخْناءَ
جاء يُزْهَى بمستشَفٍّ رقيقٍ خَدَعَ العينَ رِقّةً وصفاءَ
تَنفُذ العينُ منه في ظَرفِ نُورٍ مَلأتْه أيدي الشُّموسِ ضياءَ
اكتسبتْه الأيامُ بَرْدَ هواءٍ فهو جسمٌ قد صيغَ نارًا وماءَ
مَنظَرٌ يُبْهِجُ القلوبَ وطَعْمٌ يُسكِر النفسَ شَهدُه استمراءَ
فَضَلَ السابقَ المقدَّمَ في السِّنْـ ـخِ[٤] فأَزْرَى[٥] بِطَعْمِه إزراءَ
غيرَ أنّي بعثتُ هذا غِذاءً يشتهيه الفتى وذاك دواءَ
مُلطِفٌ يَبرُد المِزاجَ إذا جا شَ بحَرٍّ ويَقمَع الصفراءَ
ومُعينٌ لواصلِ الصّومِ يَسْرِي بَرْدُه في الحشا ويُرْوِي الظَّماءَ
فاقْبَلِ النَّزْرَ[٦] شافعًا لأيادِ يك التي بعضُها يفوت الثَّناءَ

وقال أبو طالب المأمونيُّ الزّبيبَ الطّائفيّ: [من المنسرح]

وطائفيٌّ من الزَّبيب به يَنْتَقِلُ[٧] الشَّرْبُ[٨] حين ينتقِلُ
كأنّه في الإناءِ أوعيةٌ من النَّواجيدِ[٩] ملؤها عسلُ

وأمّا التّين وما قيل فيه - فقال ابنُ وحشيّةَ في توليده: وإن خلطتم من اليَبْرُوح الرَّطب أصلًا وفرعًا، ومِثلَ وزنِه من العسل والشَّمَع، وزرعتموه في الأرض كما تزرعون سائر الأشياء، وصببتم عليه وقت زرعِه من الماء ما تعلمون أنه قد وصل إليه، ثمّ تركتموه ولم تزيدوه، خرج من ذلك التينُ الأصفرُ الشديدُ الحلاوة؛ وإن خَلطتم باليَبْرُوح أربعَ ثُوماتٍ وبصلةٍ، وسَحقتم الجميع، وزرعتموه خرج عن ذلك

(١) الفريد: النفيس من اللآلىء. (٢) الشذور: حبّات الذهب والقطع منه.
(٣) ابن زيدون: هو أبو الوليد أحمد، الشاعر والوزير الأندلسي، ولد في قرطبة، أشهر شعره قاله في ولّادة بنت المستكفي. مات في إشبيلية سنة ١٠٧٠ م.
(٤) السنخ: النوع والأصل. (٥) أزرى: عاب.
(٦) النزر: القليل.
(٧) ينتقل: يأكلون النقل، وهو كل شيء يؤكل على مائدة الشراب مع الخمرة.
(٨) الشرب: جماعة الشاربين. (٩) النواجيد: جمع ناجود، وهو وعاء الخمرة.

التّينُ الأسودُ المتوسّطُ بين السواد الشديدِ، والأحمر، وهو الذّي يُنْفِط الفم. وأخبَرَني من يُرجَع إلى قولهِ ويُوثَق بنقلِه من حكّام المسلمين أنّ بثغر[١] الإسكَندريّة صِنفًا من التّين أسودَ يسمّى الغُرابيّ، إذا نَضَج يُكْتَبُ بالبياض فربّما وُجِد في بعضِه مكتوبًا اسمُ الله تعالى؛ وأخبَرَني أيضًا أنه رأى ذلك كثيرًا؛ وأخبَرَني أنه أُخْبِر من ثقاتٍ أنّه فيه ما يُوجد مكتوبًا عليه: (لا إلـٰه إلّا الله محمّد رسول الله)؛ وسألتُه: هل يُتحيَّل على ذلك بشيء؟ فقال: لا، وأنّه خلقةٌ من الله تعالى؛ فسبحان القادرِ على كلّ شيء.

وأمّا المختار من التّين وما قيل في طبعه وخواصّه ـ فقد قال الشيخُ الرئيس: أجوَدُ التّين الأبيضُ ثمّ الأحمرُ ثم الأسود؛ والشديدُ النُّضج منه خيرُه، وقريبٌ من ألّا يضرّ، واليابسُ محمودٌ في أفعاله، إلّا أن الدَّم المتولِّدَ منه غيرُ جيّدٍ إلّا أن يكونَ مع الجَوْزِ فيَجُودَ كَيْمُوسُه، وبعد الجَوْزِ اللّوز، وأخفُّ الجميعِ الأبيض. وطبعُه: الرَّطْبُ منه حارٌّ قليلًا، ورَطْبُه كثيرِ المائيّة، قليلُ الدّوائيّة، والفِجُّ منه جَلّاءٌ إلى البَرْدِ ما هو إلّا لبَنه؛ واليابسُ منه حارٌّ في الأُولى في آخِرها لطيف. قال: واليابسُ منه قويُّ الجِلاء، مُنضِجٌ محلِّل، واللَّحِيمُ أكثرُ إنضاجًا، وفيه تغريةٌ وتقطيعٌ وتلطيف. قال: والتّينُ أَغْذَى من سائر الفواكه؛ وعُصارةُ ورقِه قويّةُ التسخين والجِلاء؛ وفيه تليينٌ نافعٌ يدفع العُفونات إلى الجِلد. قال: وفي تَناوُلِه تسكينٌ للحرارة، ولبنُه يُجمد الذوائبَ من الدّماء والألبان، ويُذِيبُ الجامد؛ والرَّطْبُ منه سريعُ الغَوْرِ والنّفوذ في المعدةِ وفي البدن. قال: وشرابُ التّين لطيفٌ رديءُ الخِلْط. قال: ولقُضْبان التّين من اللّطافة ما يهرّيء اللّحمَ إذا طُبِخَ بها؛ وفي الجُمّيز قوّةٌ جاذبةٌ من عُمق البدن وتحليلٌ لما جُذب. قال: والفِجُّ منه يُطْلَى به، ويُضْمَد به على الخِيلانِ[٢] والثّآليل وأصنافِها والبَهَق[٣]، وكذلك ورقُه؛ وتَناوُلُه يُصْلِح اللّونَ الفاسد، ويُنْضِج الدّماميل. قال: ولبنُ الجُمّيز وعُصارةُ ورقِه يقلعان آثارَ الوَشْم[٤] وبقَيْرُوطي على شُقاق البَرْد. قال: وتُضْمَد به الأورامُ الصُّلبة، وبالجُمّيز مطبوخًا مع دقيق الشّعير؛ والفِجُّ منه على البَهَق، ويُنْضِج الدّماميل، ويَجْذِب رَطْبُه الحَصَفَ[٥]، وطبيخُه ينفع لأورام الحَلْق وأورامِ أصولِ

(١) الثغر: المدينة أو الموقع المهم الواقع على البحر، أو في أقصى تخوم الدولة.
(٢) الخيلان: البثور السود، في البشرة.
(٣) البهق: البياض في البشرة مخالفًا سائر لونها، وهو من الأمراض الجلدية.
(٤) الوشم: آثار في الوجه يحدثها غرز الإبر بالإثمد.
(٥) الحصف: بقع في الجلد.

الأذنين غَرْغَرةً كذلك مع قُشور الرّمّان، وللدّاحِس مع الفانِيذ[١]، ويضرّ اليابسُ أورامَ الكبدِ والطِّحالِ بحلاوته؛ وأمّا إذا كان الورمُ صُلْبًا لم يضرَّ ولم ينفع، إلّا أن يُخْلَطَ بالمُلطِّفاتِ المحلِّلات فينفع جدًّا؛ والجُمّيزُ شديدُ التحليلِ للأورام العَسِرة. قال: وطبيخُ التّين برَغْوة الخردلِ يُطْلَى به على الحِكّة: وورقُه ينفع من القُوباء؛ وإن استُعْمِل مع قشور الرّمّان أبرأ الدّاحس، ومع القَلْقَنْدِ لقُروح الساقَيْن الخبيثة؛ ولبنُ الجُمّيز مُلزِقٌ للجراحات. قال: ورَطْبُ التّينِ ويابسُه ينفع الصَّرْع، ويُقطَر طبيخُه مع رَغْوة الخَرْدَلِ في الأُذُن التي بها طنين؛ وينفع لبنُه أو عُصارةُ قُضبانِه قبل أن تُورِق إذا جُعِل في السّنّ المتآكلة؛ وينفع استعمالُه على أورام ما تحت الأُذُن ضِمادًا؛ والفِجُّ منه يبرىء قُروحَ الرأس ذَرُورًا؛ ولبنُه مع العسل ينفع الغِشاوةَ الرَّطْبةَ في العين وابتداءَ الماء وغِلَظَ الطّبقات، وتُدلَك بورقِه خُشونةُ الأجفان وجَربُها؛ والرَّطْبُ واليابسُ ينفعان من خشونةِ الحَلْق ويوافقان الصّدرَ وقصبةَ الرّئة، وشرابُ التّينِ يُدِرّ اللّبن؛ وينفع من السُّعال المزمِن وأوجاعِ الصّدر؛ وينفع من أورامِ القصبةِ والرّئة. قال: والتّين يفتّح سُدُدَ الكبد والطِّحال. وقال جالِينُوس: رَطْبُه رديءٌ للمعدة، ويابسُه ليس برديء، فإن أُكِل بالمُرّيّ نقّى فُضولَ المعدة؛ وهو ممّا يقطع العطشَ الّذي يكون من بَلْغَم مالح؛ ويابسُه يَهيجُ العطش، وينفع من الاستسقاء، خصوصًا بالأَفْسَنْتِين، ورُبُّ شرابِه نافعٌ للمعدة، ويقطع شهوةَ الطعام. قال: والتّينُ سريعُ النّفوذ بِجلائه، واليابسُ يضرّ بالكبد والطِّحال الوَرِمَين بِجلائه فقط، فإن كان الورمُ صُلْبًا لم يضرَّ ولم ينفع. قال: ولاستعماله على الرّيق منفعةٌ عجيبةٌ في تفتيحِه مَجاريَ الغِذاء، وخصوصًا مع الجَوْزِ واللَّوْز. قال: وجميعُ أصناف التّين غيرُ موافقٍ لسَيَلان الموادِّ إلى المعدة؛ ورَطْبُه ويابسُه ينفع الكُلَى والمَثانة؛ وعُصارةُ ورقِه تُفتِّح أفواهَ عُروقِ المَقعَدة[٢]؛ ورَطْبُه يليّن ويُسْهِل قليلًا، خصوصًا إذا أُكِلَ منه بلوزٍ مدقوق، وكذلك لصلابة الرَّحِم، وكذلك إن خُلِط بالنَّطْرُون والقِرْطِم وأُخِذ قبلَ الطعام؛ ويُحْتَمَل لبنُه بصُفرةِ البيضِ فينقّي الرَّحِمَ ويُدِرُّ الطَّمْث، ويُتّخَذ في ضِماد الأرحامِ مع الحُلْبة، وفي حُقَن المَغْصِ مع السَّذاب؛ ويُسقَى من ماءِ رَمادِ خشبِه المكرَّرِ لمن به إسهالٌ ودُوسِنطاريا[٣] أوقيّةٌ ونصف. قال: ولبنُه ينفع من لَسعة

(١) الفانيذ: ضرب من الحلواء يدخل فيها العسل.

(٢) المقعدة: المؤخرة والعجيزة.

(٣) الدوسنطاريا: مرض معوي يسبّب الإسهال، يشبه الزّحار.

العقربِ مَرُوخًا[١]، وكذلك الرُّتَيْلاء[٢]؛ ويُجْعَل الفِجُّ منه أو الورقُ الطَّريُّ على عضّةِ الكلب الكَلِب فينفع؛ ويُضْمَد به مع الكِرْسِنةِ[٣] على عضّةِ ابنِ عِرْسٍ فينفع، هذا ملخَّصُ ما أورَدَه الشيخُ في أفعالِه وخواصِّه، والله أعلم بالصواب.

وأمّا ما وصفه به الشعراءُ وشبّهوه ـ فمن ذلك قولُ أُسامةَ بنِ مرشد بن منقذ: [من المنسرح]

أمَا تَرَى التّينَ في الغصون بدا ... ممزَّقَ الجِلْدِ مائلَ العُنُقِ
كأنّه رَبُّ نِعمةٍ سُلِبتْ ... أصبحَ بعد الجديدِ في خَلَقِ[٤]
أو كأخي شِرّةٍ[٥] أُغيظ وقد ... مَزَّقَ جِلبابَه من الحَنَقِ[٦]
مِثلُ نُهودِ الأبكارِ صورتُه ... لو لم يُنادَ عليه في الطُّرُقِ
قد عَقدتْه يدُ السَّموم[٧] لنا ... فالُوذَجَ[٨] الدَّوْحِ غيرَ محترِقِ
فالشُّهْدُ والزّعفرانُ مَعْ عَرَقِ الـ ... ـوَرْدِ وحَبُّ الخَشْخَاشِ في نَسَقِ
فقُمْ بنا نحوَه نباكرُه ... قبلَ جَفافِ النَّدى عن الورقِ
ولا تَمِلْ بي إلى سواه فلا ... أَمِيل عنه ما دمتُ ذا رَمَقِ[٩]

وقال إبراهيمُ بنُ خفاجةَ[١٠]: [من المتقارب]

وسُودِ الوجوهِ كلَوْنِ الصُّدوذْ ... تَبسَّمن تحت عُبوسِ الغَبَشْ[١١]
إذا ما تَجلَّى بياضُ الضُّحى ... تَطلَّعن في وجههِ كالنَّمَشْ[١٢]
كأنّي أقطِّف منها ضُحَى ... ثُدِيَّ صغارِ بناتِ الحَبَشْ

وقال أبو الفتح كُشاجِم يصف تينًا أصفرَ وأسوَد: [من مجزوء الرّجز]

أهلًا بتينٍ جاءنا ... منضَّدًا على طَبَقْ

---

(١) المروخ: ما يمرخ به الجلد أو الجرح، ويضمّد ويدّهن.
(٢) الرتيلاء: جنس من العقارب السامّة.
(٣) الكرسنة: ضرب من الحبوب تشبه العدس، وتستعمل في علف الماشية.
(٤) الخلق: الرّثاثة والبِلى.
(٥) شرّة: سَوْرة، وطبع حادّ.
(٦) الحنق: الغيظ والغضب.
(٧) السموم: شدّة الحرّ.
(٨) الفالوذج: ضرب من الحلواء.
(٩) الرمق: بقية الروح في الجسم أو الجسد.
(١٠) ابن خفاجة، واسمه إبراهيم، شاعر أندلسي اشتهر بالرقّة والعذوبة في أشعاره، وخصوصًا شعر الطبيعة والروضيات والنوريّات. توفي سنة ١١٣٨ م.
(١١) الغبش: الظلام الخفيف.
(١٢) النمش: بثور في الوجه تشين حسنه.

يَـحْكِـي الـصّـباحَ بـعـضُـه وبعـضُـه يَـحْكِـي الـغَـسَـقْ[1]
كـسُـفْـرةٍ مـضـمـومـةٍ قـد جُـمِّـعـت بـلا حَـلَقْ

وقال أيضًا في تينٍ أصفر: [من الكامل]

قُمْ قد أتى ضوءُ الصّباح المُسْفِرِ يا صاحِ نَغتنم الحياةَ وبَكِّرِ
نُلْمِمْ بتينٍ لذَّ طَعمًا واكْتَسى حُسنًا وقارَبَ مَنْظَرًا من مَخْبَرِ
لطُفتْ معانيه لطافةَ عاشقٍ في لونِ مشتاقٍ حليفَ تَفكُّرِ
كالثَّلج بَرْدًا في صفاءِ التِّبْرِ في رِيح العَبِيرِ وفوقَ طعمِ السّكّرِ
يَحْكِي لَنا ما صُفَّ في أطباقه خِيَمًا تلوح من الحرير الأخضرِ

وقال آخَر: [من الرّجز]

مـا الـتّـيـنُ إلّا سـيّـدُ الـثّـمـارِ بـلا امـتـراءٍ[2] وبـلا مُـمـاري
كـأنّـه إذ لاح فـي الأشـجـارِ أطـرافُ أثـداءٍ مـن الـجـواري
* أو أُكَـرٌ صـيـغـتْ من الـنُّـضـارِ[3] *

وأمّا ما وُصِف به على سبيل الذّم ـ فمنه قولُ محمد بن شرف القَيْرُوانيّ: [من السريع]

لا مـرحـبًـا بـالـتّـيـن لـمّـا أتـى يَـسْـحَـب كـاللّـيل عليه وِشاحْ[4]
مـمـزَّقَ الـجـلـبـابِ يَـحْـكِـي لـنـا هـامـةَ زِنـجـيٍّ عـلـيـهـا جِـراحْ

وقال آخَر: [من السريع]

لا أشـتـهـي ما عـشـتُ تـيـنًـا فـمـا أقـبَـحـه مـذ كـنـتُ في عـيـنـي
لأنّــه بَــيْــنٌ ومــن ذا الّذي يـحـبّ أن يَـسـمَـع بـالـبَـيْـنِ

وأمّا التُّوتُ وما قيل فيه ـ فقال الشيخ الرئيس أبو عليّ بنُ سينا: التُّوتُ صِنفان: أحدُهما هو الفِرْصاد الحلو، وهو يَجْرِي مَجرى التّين في الإنضاج إلّا أنّه «أردأ غِذاء» وأفسَدُ دمًا، وأقلُّ، وأردأ للمعدة؛ وله سائرُ أحوال التّين ولكنّه دونَه.

---

(١) الغسق: ظلمة أوّل الليل.
(٢) امتراء: كذب ومواربة.
(٣) النضار: الذهب.
(٤) وشاح: ثوب رقيق يتّشح به، وخصوصًا حول الخصر وعلى الكتفين.

وأمّا المُزّ الّذي عُرِف بالتُّوتِ الشّاميِّ فليكن أكثرِ كلامِنا فيه؛ وطبعُه الحلوُ حارٌّ رَطْب، والحامضُ الشاميُّ هو إلى البَرْد والرّطوبة، وفي التُّوت قبضٌ وتبريد؛ وعُصارتُه قابضة، خصوصًا إذا طُبِخَتْ في إناء نحاس؛ ويَمنع سَيلانَ الموادِّ إلى الأعضاء، وخصوصًا الفِجَّ منه. قال: وإذا طُبِخَ ورقُه وورقُ الكَرْم وورقُ التّين الأسوَدِ بماء المطر سَوَّدَ الشَّعر، والحامضُ يَحْبِس أورامَ الفَم والحَلْق وورقُه ينفع للذَّبْحَةِ والخوانق؛ والحامضُ ينفع القروحَ الخبيثةَ مجفَّفُه وعُصارتُه، ورُبُّ الحامض نافعٌ لبُثور الفم؛ والتمضمُضُ بعُصارة ورقِ الحامِض جيّدٌ للسِّنّ الوَجِعة، والتُّوتُ رديءٌ للمعدة يَفسُد فيها، وخصوصًا الفِرْصاد، وإذا لم يَفسُد الفِرْصادُ في المعدة بسرعةٍ لم يضرّ، ويجب أن تؤكل جميعُ أصنافه قبلَ الطعام وعلى معدةٍ لا فساد فيها؛ وأمّا الشاميُّ فلا يضرّ معدةً صفراويّةً، وليس فيه من رداءة الموافَقة للمعدة ما في الفِرْصاد، وهو يشهِّي الطعامَ ويُزْلِقه، ويُخْرِجه بسرعة، والعَفِصُ المجفَّفُ المملَّحُ من التُّوت يَحبس البولَ شديدًا، وينفع من الدُّوسِنْطاريا؛ ودمعةُ التُّوت تُسهِل، وفي لِحائه[1] تنقيةٌ وإسهال، وفي الحلو سرعةُ انحدار، وفي جميع أصناف التُّوت إدرارٌ للبول، وإذا شُرِب من عُصارةِ ورقِه أوقيّةٌ ونصف نَفَع من لَسْع الرُّتَيْلاء، ولَيَّن الطبيعة.

وأمّا ما وصفه به الشّعراء ـ فمن ذلك قولُ محمدِ بنِ شرف القَيْرَوانيّ: [من السريع]

أُنظرْ إلى تُوتِ الجِنانِ الّذي ... وافَى به النّاطُورُ في جامِ[2]
يَحْكِي جراحًا دمُها سائلٌ ... لدى جُسومٍ من بني حامِ[3]

وقال بعضُ الأندلسيّين وقد أهداه: [من الطويل]

تفاءلتُ بالتُّوت التأتّي لزَورةٍ ... وذلك فألٌ ما علمتُ صَدوقُ
فأهدَيتُه غضًّا حَكى حَدَقَ المَهَا[4] ... له مَنْظَرٌ بالحُسنِ منه يَرُوقُ
فذا سَبَجٌ[5] لمّا يُرَى بأسودادِه ... وذا لاحمرارِ اللّونِ منه عَقيقُ

(١) لحائه: قشوره. (٢) جام: وعاء.
(٣) بنو حام: وهم جنس الزنوج، يتسبون إلى حام بن نوح.
(٤) المها: البقر الوحشي، مشهور بجمال عيونه.
(٥) السبج: خرز أسود.

وقال ابنُ الرّوميّ: [من الطويل]

ومختضِباتٍ من نَجيعِ دمائها ... إذا جُنِيتْ في بُكرةِ الغَدَواتِ

تَكاد بأن تُفْطا[1] إذا ما لمستُها ... فأرحمُها من سائر الثّمراتِ

وأمّا التّفّاحُ وما قيل فيه ـ فقال الشيخ: أعْدَلُ التُّفّاح الشاميّ، والتَّفِهُ منه رديءٌ قليلُ المنافع، وكذلك الفِجّ، وطبعُه، العَفِصُ والقابضُ والحامضُ باردٌ غليظ؛ والحلوُ مائيٌ أمْيَلُ إلى الحرارة من غيرِه، وإن كان الغالبُ البَرْد، فهي مختلفة؛ وكذلك أوراقُها وأشجارُها مختلفة؛ وبالجملة فإنّ الغالبَ في جوهره رطوبةٌ فضليّةٌ باردة. قال: وفيه منعٌ للفُضول، وخصوصًا في ورقه؛ وفي التّفّاح نَفْخٌ فيما ليس بحُلو؛ والحامضُ والفِجُّ مولِّدٌ للعفونات والحُمّيات لخاميّةِ خلطهما وفَجاجتِهما، وخِلْطُ الحامض ألطفُ من خِلْطِ القابض؛ وشرابُ التّفّاح عتيقُه خيرٌ من طريِّه، لتحليل البخارات الرديئة؛ وورقُه ولِحاؤه يَدمُلان، وكذلك عُصارةُ القابض منه؛ وإدمانُ أكلِ التُّفّاح يُحدِث وجعَ العَصَب؛ والتّفّاح يقوّي القلب، خصوصًا العَطِرَ الشّاميّ، والمشويُّ في العجين نافع لقِلّة الشهوة، وينفع من الدّود ومن الدّوسِنْطاريا، وأوفَقُه للدُّوسِنْطاريا العَفِص؛ وسَويقُ التّفّاح يقوّي المعدة، ويمنع القَيْء، والحلوُ والحامضُ إذا صادف في المعدة خِلْطًا غليظًا ربّما حَدَرَه[2] في البِراز[3]، وإن كانت خاليةً حَبَس، والتُّفّاح نافعٌ من السُّموم، وكذلك عُصارةُ ورقِه.

وأمّا ما وصفه به الشّعراء ـ فمن ذلك قولُ ابن المعتزّ: [من الطويل]

وتُفّاحةٍ حمراءَ خضراءَ غَضّةٍ[4] ... مضمَّخةٍ بالطِّيب من كلِّ جانبِ

تَكامَلَ فيها الحُسنُ حتّى كأنّها ... تَورُّدُ خدٍّ فوق خُضرةِ شاربِ

وقال العسكريّ: [من الطويل]

وتُفّاحةٍ صفراءَ حمراءَ غَضّةٍ ... كخدِّ مُحبٍّ فوقَ خدِّ حبيبِ

أُحيّا بها طَوْرًا وأشرَبُ مِثلَها ... من الرّاحِ[5] من كفَّيْ أغنَّ رَبيبِ[6]

---

(١) تفطا: تشق وتخرق. (٢) حدره: أسقطه وأخرجه.

(٣) البراز: الخرء وما يخرج من جسم الإنسان، من الفضلات.

(٤) غضّة: طريّة. (٥) الراح: الخمرة.

(٦) ربيب: ناعم، والربيب في الأصل: ابن المرأة من رجل غير الأب.

وقال الرَّقِّيّ: [من مجزوء المتقارب]

وتُــفّــاحــةٍ غَــضّــةٍ عـقـيـقـيّـةِ الـجـوهـرِ
تَـنَـدّت بـمـاء الـرَّبـيـ ـعِ في روضِـهـا الأخـضـرِ
فـجـاءت كـمِـثـلِ الـعَـرو سِ فـي لاذهـا[1] الأحـمـرِ
ذَكـرتُ بـهـا الـجُـلَّـنـا رَ[2] فـي خـدّك الأزهـرِ
فِـمـلـتُ سـرورًا بـهـا إلـى الـقَـدَح الأكـبـرِ
وأنـت لـنـا حـاضـرٌ وإن كـنـتَ لـم تَـحْـضُـرِ

وقال آخَر: [من الرّجز]

تُـفّـاحـةٌ تُـذكِـر صـفـوَ الـوُدِّ وتَبعث النفسَ لحفظِ العهدِ
كـأنّـهـا مـقـطـوفـةٌ مـن خـدِّ نسيمُها يَحْكِي نسيمَ الوَرْدِ

وقال أبو بكر بنُ دريد[3]: [من الطويل]

وتُفّاحةٍ من سَوْسَنٍ صِيغَ نصفُها ومن جُلنّارٍ نصفُها وشقائقِ
كأنّ النّوى[4] قد ضَمّ من بعد فُرقةٍ بها خدَّ معشوقٍ إلى خدِّ عاشقِ

وقال أبو الوليد بنُ زَيْدونَ وقد أَهْدَى تُفّاحًا: [من المتقارب]

أتـتـك بـلَوْنِ الـحـبـيـبِ الـخَـجِـلْ تُـخالِط لـونَ الـمُـحِـبّ الـوَجِـلْ[5]
ثِـمـارٌ تَـضـمَّـنَ إدراكَـهـا هـواءٌ أحـاطَ بـهـا مـعـتـدِلْ
تـأتَّـى لـتـدريـج تـلـطـيـفِـهـا فـمِـن حـرِّ شـمـسٍ إلـى بَـرْدِ ظِـلْ
إلـى أن تـنـاهـتْ شـفـاءَ الـعَـلـيـلْ وأنـسَ الـخـلـيـلِ ولـهـوَ الـغَـزِلْ
فـلـو يَـجـمُـد الـراحُ[6] لـم يَـعـدُهـا وإن هـي ذابـت فـراحٌ يَـسِـلْ
قَـبـولُـكَـهـا نـعـمـةٌ غَـضّـةٌ وفـضـلٌ بـمـا جـئـتَـه مـتّـصـلْ

---

(١) اللاذ: ضرب من الثياب الحمر الحريرية.
(٢) الجلنار: زهر الرّمّان، وهو ضرب من الأزاهير يعرف بهذا الاسم أيضًا.
(٣) ابن دريد: وكنيته أبو بكر، شاعر ولغوي بغدادي، له «الجمهرة» في اللغة، وأشهر قصائده «المقصورة». مات سنة ٩٣٣ م.
(٤) النوى: البعد والبَيْن.
(٥) الوَجِل: الخائف.
(٦) الراح: الخمرة.

وقال أبو نُواس ـ ومنه أَخَذ ابنُ زَيْدون ـ: [من السريع]

الخمرُ تُفّاحٌ جرى ذائبًا ... كذلك التُّفّاحُ خمرٌ جُمَدْ
فاشربْ على جامدِها ذَوْبَها ... ولا تَدَعْ لذّةَ يومٍ لِغَدْ

وقال ابنُ المعتزّ: [من مجزوء الرّجز]

تُفّاحةٌ معضوضة ... كانت رسولَ القُبَلِ
كأنّ فيها وجنةً ... تنقّبتْ[1] بالخَجَلِ
تناولتْ كفّي بها ... ناحيةً من أمَلي
لستُ أرجّي غيرَ ذا ... يا ليت هذا دام لي

وقال آخَر: [من السريع]

فَدَّيتُ من حيًّا بتُفّاحةٍ ... في خِلَع التّوريدِ من وجنتِهْ
نسيمُها يُخبِرني أنّها ... تَسترِق الأنفاسَ من رِيقتِهْ
لمّا حكتْ نوعين من حسنِه ... قَبّلتُها شوقًا إلى نَكْهتِهْ[2]

وقال الصَّنَوْبَريّ: [من الخفيف]

فتَناولتُ منه صادقةَ الرّيـ ... ـحِ تُسمَّى صديقةَ الأرواحِ
وَشَّحتْها[3] يداه من خالص التِّبْـ ... ـرِ بسطرٍ يَجُول جَوْلَ الوِشاحِ
كُسِيتْ صِبغةَ الملاحَةِ لمّا ... صُبِغَتْ صِبغةَ الخدودِ الملاحِ

وقال آخَر: [من مجزوء الرجز]

تُخالُ تُفّاحتُها ... في لَوْنِها وقَدِّها
تَناولتها كفُّها ... من صَدرِها وخدِّها

وقال ابنُ رَشيق: [من الطويل]

وتُفّاحةٍ من كفِّ ظبيٍ أخذتُها ... جَناها من الغصنِ الّذي مِثلُ قَدِّهِ
حَكتْ لَمْسَ نَهْدَيه وطِيبَ نسيمِه ... وطَعْمَ ثناياه وحُمرةَ خَدِّهِ

---

(١) تنقبت: لبست نقابًا، وهو الغطاء للوجه، والبرقع.
(٢) النكهة: الرائحة.
(٣) وشّحتها: زينتها ودبّجتها، كزينة الوشاح ووشيه.

وقال ابنُ عَبّاد[١]: [من الطويل]

ولـمّـا بـدا الـتُّـفّـاحُ أحـمـرَ مُـشْـرِقًـا دعوتُ بكأسي وهي مَلأى من الشَّفَقْ
وقـلـتُ لـسـاقـيـنـا أدِرْهـا فـإنّـهـا خدودُ عَذارَى قد جُمِعْنَ على طَبَقْ

وقال محمّدُ بنُ سعيد: [من البسيط]

بديعةُ اللّونِ مِن نُور السُّرور بها في كلِّ حُسنٍ وطِيبٍ يُضرَب المَثلُ
جاءتكَ في حُلّةٍ بيضاءَ مُشرِقةٍ في حُمرةٍ كاتّقادِ النار تَشْتَعِلُ
أو قهوةٍ[٢] مُزِجَتْ أو نصفِ لؤلؤةٍ بنصفِ ياقوتةٍ حمراءَ تتّصلُ

وقال آخَر: [من الرّمل]

قـال جـالِـيـنـوسُ فـي حِـكْـمَـتِـهِ لـك فـي الـتُّـفّـاح فـكـرٌ وعَـجَـبْ
هـو رَوْحُ الـنّـفـس، مِـن جـوهـرِهـا وبـهـا شـوقٌ إلـيـه وطَـرَبْ
ومـزاجُ الـقـلـبِ يَـنْـفِـي هـمَّـه ويُجَلّي الحزنَ عنه والكُرَبْ[٣]

وقال ابنُ الروميّ ـ وهو ممّا يُكتَب على تُفّاحة ـ: [من المنسرح]

أرسـلَـنـي عـاشـقٌ بـحـاجـتـهِ فـجـئـتُ بـيـن الـرّجـاء والـوجَـلِ
لا تُـخـجِـلـنّـي بـالـردّ حسبُك ما تَرَى بخدّي من حُمرةِ الخجَلِ

وقال أبو الفتح البُسْتيّ[٤]: [من الطويل]

فتًى جَمَعَ العَلياءَ علمًا وعِفّةً وبأسًا وجُودًا لا يُفيق فُواقا
كما جَمَعَ التّفّاحُ حُسنًا ونَضْرةً ورائحةً محبوبةً ومَذاقا

وقال آخَر: [من المنسرح]

أكـلـتُ تُـفّـاحـةً فـعـاتـبـنـي خِلٌّ[٥] رآها كـخـدِّ مـعـشـوقِـهْ
وقـال خـدُّ الـحـبـيـب تـأكـلُه فـقـلتُ لا، بـل أمُصُّ مـن ريـقِـهْ

(١) هو الصاحب بن عباد، سبق التعريف به. (٢) القهوة: الخمرة.
(٣) الكرب: الهموم والأحزان، جمع كرب.
(٤) هو أبو الفتح عليّ البستي، نسبة إلى بست، مدينة أفغانية، أديب وشاعر. أشهر شعره قصيدته النونية المعروفة باسم «الحكم». مات سنة ١٠١٠ م.
(٥) الخلّ: الصديق والصاحب.

وقال آخَر: [من السريع]

لا آكـلُ الـتُّـفّـاحَ دهـري ولـو جنتْه كفّي من جِنان الـخُلُودْ
تـالله لا أتـركـه عـن قِـلًى[1] لـكـنّـنـي أتـركـه لـلخُـدودْ

وأمّا السّفرجَلُ وما قيل فيه ـ فقال الشيخ الرئيس: السَّفَرْجَلُ إذا غُسِل برَماد أغصانِه وورقِه كان كالتُّوتِياء، والمشويُّ منه أخفُّ وأنفع؛ وصورةُ شَيِّه أن يقوَّرَ[2] ويُخْرَجَ حَبُّه ويُجْعَلَ فيه العسل، ويُطيَّن خُرْمُه[3]، ويودَعَ الرّماد؛ قال: وطبعُ السَّفَرْجَلِ باردٌ في آخِر الأُولى، يابسٌ في أوّل الثانية؛ وهو قابض مقوٍّ، وزهرُه قابض، وكذلك دُهنُه، والحلوُ أقلُّ قبضًا، وحَبُّه مليِّنٌ بلا قبض؛ وهو يمنع سَيَلانَ الفُضول إلى الأحشاء، ويَحْبِس العَرَق؛ ودُهنُه ينفع من شُقاق البَرْد، ومن النَّمْلة والقُروحِ الجَرِبة. قال: وكثرة أكله تولِّد وجع العَصَب، ومشويُّه يوضع على أورام العين الحارّة؛ وعُصارتُه نافعة من انتصاب النَّفَس والرَّبْو، وتَمْنَع نَفْثَ الدّم؛ وحَبُّه ينفع من خشونة الحَلْق، ويليِّن قضبة الرّئة؛ ولُعابُه أيضًا يُرْطِب يُبس القصبة، والسفرجل ينفع من القَيْء والخُمار[4]؛ ويسكِّن العطش، ويقوّي المعدة القابلة للفُضول شرابُه ونقيعُه ومطبوخُه، وشرابُه مقوٍّ للشهوة الساقطة جدًّا، ونِيئُه يقوّي المعدة، ويمنع القَيْء البَلْغَميّ؛ والسفرجل مُدِرّ، والمطبوخ بالعسل أشدّ إدرارًا، وربّما أطلَق ولم يَعْقِلْ؛ ويولِّد القُولَنْج والمَغْس[5]، وينفع من الدّوسِنْطاريا؛ ويَحْبِس نَزْف الطَّمْث، وينفع من حُرْقة البول إذا قُطِرتْ عُصارتُه ودُهنُه في الإحليل[6]؛ ودُهنُه ينفع الكُلَى والمَثانة؛ وإذا أُكِلَ من السفرجل على الطّعام أطلَق، حتّى إنّه إذا استُكثر منه أخرج الطعام قبل الانهضام، ويُحقن بطبيخه لنُتوء المقعدة والرَّحم؛ هذا ما قاله الشيخ في السفرجل.

وأما ما وُصف به نظمًا ونثرًا ـ فمن ذلك ما قاله السّريُّ الرَّفّاء: [من الكامل]

لك في السفرجل مَنْظَرٌ تَحْظَى به وتـفـوزُ مـنـه بـشَـمِّـه ومَـذاقِـه
هو كالحبيب سَعِدتَ منه بحسنِه مـتـأمِّـلًا وبـلَـثْـمِـه وعِـنـاقـه

---

(١) القلى: البغض والكراهية. (٢) يقوّر: يجوّف.
(٣) خرمه: ثقبه وفتحته.
(٤) الخمار: الأثر الذي تتركه الخمرة في الرأس.
(٥) المغس: اضطراب الأمعاء بألم.
(٦) الإحليل: القضيب، والعضو المذكّر للرجل.

يَحْكِي لك الذّهبَ المصفّى لونُه | وتـزيـدُ بـهـجـتُـه عـلـى إشـراقـه
فالشَّكْلُ من أعلاه يَحْكِي شكلَه | ثَدْيَ الكَعابِ[١] إلى مَدار نِطاقه
والشَّكْلُ من سُفْلاه يَحْكِي سُرّةً | من شادنٍ[٢] يُزْهَى على عشّاقه

وقال آخَر: [من مجزوء الرجز]

سَـفَـرْجَـلاتٌ خَـرْطُـهـا | مِـثْـلُ الـثُّـدِيِّ الـنُّـهَّـدِ[٣]
زُهْـرٌ حـكـت بـلـونِـهـا | صِـبـغـة مـاء الـعَـسـجَـدِ

وقال أبو محمّد الدّاودي: [من المتقارب]

غـصـون الـسـفـرجـل مـلـتـفـةٌ | فـمـعـتـدلُ الـقَـدِّ أو مـنـثـنِـي
وقـد لاحَ فـي زِئـبـرٍ شـامـل | كـصـفـراءَ فـي مِـعْـجَـرٍ أدكَـن[٤]

وقال مؤيِّد الدّين الطُّغرائيّ: [من الكامل]

وسفرجلٍ عُنِيَ المَصيف بحفظه | فكساه قبل البَرْد خَزًّا[٥] أغبرا
صَوْغٌ من الذّهب المصفّى، نَشرُه | مِسكٌ إذا حَضَر النَّديَّ تَعطّرا
يَحْكِي نهود الغانيات وتحتَها | سُررٌ لهنّ حُشِين مِسكًا أذفَرا
يُزْهَى بمَلْمَسِه وطِيبِ مَذاقِه | ومَشَمِّه ويَرُوقُ عينَك مَنْظَرا

وقال شاعرٌ أندلسيّ: [من المتقارب]

سـفـرجـلةٌ جَـمَـعـتْ أربَـعًـا | نَظَمن لها كلَّ معنًى عجيبِ
صفاءَ النُّضار[٦] وطَعْمَ العُقار[٧] | ولَوْنَ المُحبِّ وريحَ الحبيبِ

وقال آخَر: [من الطويل]

ومصفرّةٍ تَختال في ثوبِ سندسٍ[٨] | وتَعْبَق عن مِسْكٍ ذَكيِّ التنفّسِ
لها ريحُ محبوب وقسوة قلبِه | ولونُ مُحِبٍّ حُلّةَ السُّقْم قد كُسِي

(١) الكاعب والكعاب من النساء: من كعب ثدياها وظهرا أو نهدا.
(٢) الشادن: صفة للظبي الغرير. (٣) النهّد: البارزة.
(٤) المعجر: ضرب من الثياب يلفّ على الرأس. والأدكن: الأسود والأحمر.
(٥) الخزّ: ضرب من الحرير، أو الثوب الموشّى بالحرير.
(٦) النضار: الذهب الخالص. (٧) العقار: الخمرة.
(٨) السندس: ضرب من نسيج الديباج أو الحرير، يغلب عليه الخضرة.

وقال آخَر: [من مجزوء الخفيف]

مُتْحِفي[١] بالسَّفرجلِ لا أُحبّ السفرجلَا
اسمُه لو عَقلتَه سَفَرٌ جَلّ واغتَلَى

وقال آخَر: [من مجزوء الكامل]

أتحَفْتَنا بهديّةٍ نَقَضَتْ وصالَك أوْلا
أرأيتَ من يُهْدِي إلى من يصطفيه سفرجلا
أو ما علمتَ بأنّه سَفَرٌ وآخِره جَلا

ومن رسالة لأبي عبد الله محمد بن أبي الخِصال الأندلسيّ، جاء منها في السفرجل: وقد بَعثتُ منه ما يقوم مَقام الشاهد، وينوبُ عن ثَدْيِ النّاهد[٢]؛ فدونكها مخلَّفةَ البَذْر، محلّقةَ الصَّدْر، وقد لَبست الحسن باطنًا وظاهرًا، واستوفت الطِّيبَ أوّلًا وآخِرًا؛ كأنّها من طِباعك طُبعت، أو من فضائلك أُلِّفتْ وجُمعتْ، كلّا إنّها بذكرِكَ غُذِيَت، وعلى غاياتك حُذِيَتْ[٣].

ومنها: من كلِّ ساهرة الشَّذا، نائمةٍ عن الأذى، دَوحُها لَدْن[٤]، وفَوْحُها عَدْن[٥]؛ من وسائط السلوك، وندامَى الملوك؛ لو ألفاها جَذيمةُ[٦] لاستغنَى عن مالكٍ وعَقِيل[٧]، أو ظَفِر بها بِلالٌ لَسلا عن شامةَ وطَفِيل[٨]، ولم يَعْبأ بإذْخِرٍ وجَليل[٩]، أما إنها لو حَلّت نَديًا، وتَمثّلتْ بَشَرًا سويًا، لنطقتْ بالصّواب، وأتت بالحكمة وفصل الخطاب، ونَثَرت في الطبّ دقائق، ووَضعتْ في الزهد رقائق؛ ولِمَ لا! وهي تَهْدِي للإيمان، وتدلّ على الجِنان؛ وتَحكي طُوبَى طِيبًا، وحسبُك بها أُولَى ما سَمَتْ بها النَّفْس، وواحدةً مُيِّزَ بها الجنس، وهاكَها قد تعرّضتْ لقبولِك، وانفردتْ كما انفردتُ بتأميلك، والله أعلم.

---

(١) متحفي: من أتحفني به أي جاد عليّ به.
(٢) الناهد من الفتيات: من نهد ثدياها، أي اكتملا.
(٣) حذيت: اقتفت واتّخذتك قدوة. (٤) لدن: طري مطاوع.
(٥) عدن: أي من ريح عدن، اسم إحدى الجنان في الآخرة.
(٦) هو من قواد العرب وفرسانها، كان أبرص، وحكم في شمال الجزيرة من قبل الفرس.
(٧) عقيل ومالك: كانا من ندامى جذيمة، ضرب المثل في صحبتهما.
(٨) طفيل: اسم جبل، قريب من مكة، وبجانبه جبل آخر يقال له شامة. انظر: معجم البلدان ٣/ ٣١٥ و٤/ ٣٧.
(٩) إذخر وجليل: ضربان من النباتات الصحراوية.

وأمّا الكُمّثْرَى(١) وما قيل فيها ـ فقال الشيخ الرئيس: وفي بلادنا نوعٌ يقال له: شاه أَمْرُود كثير اللحم، شديد الاستدارة، رقيق القشرة، حَسنُ اللّون؛ كأنّه ماء سكّر معقود، طيّب الرائحة جدًّا، إذا سقط من شجرته إلى الأرض اضمحلّ؛ وهذا لا مَضرّةَ فيه من أصناف الكُمّثْرَى. وقال في طبعه: الكمثرى المعروف بالصِّينيّ بارد في الأُولى، يابس في الثانية، والشاه أَمْرُود معتدِل رَطْب؛ وقال في أفعالِه وخواصّه: جميعُ أصنافِه قابض يَدخل في ضِمادات حبس المواد، وقد يجلو يسيرًا؛ وأمّا المعروف بشاه أَمْرُود في بلاد خُراسان دون غيرها فهو مليِّنٌ للطّبيعة، حَسَنُ الكَيْمُوس جدًّا. قال: وهو يَدْمُل الجراحات، خصوصًا البَرّيَّ المجفَّف، وهو يَدبُغ المعدة؛ والصِّينيُّ خاصّة يقوّي المعدة، ويَقطع العَطش، ويسكّن الصفراء. قال: وهو يَعْقِلُ البطن، خصوصًا المجفَّف منه، قال: وفي الكمثرى خاصّيّةُ إحداث القُولَنْج، فيجب أن يُشرب بعده ماءُ العسل بالأَفاوِيه(٢).

وأمّا ما وصفه به الشّعراء ـ فمن ذلك قول ظافر الحدّاد الإسكندريّ: [من البسيط]

لله وافـدُ كُـمَّـثْـرَى ذَكـرتُ بـه ... مـا كـنـتُ أعـهـد فـي أيّـامـيَ الأُوَلِ

لـم أُدْنِـهِ مـن فـمـي إلّا وأحـسَـبُـه ... مِن الـنـهـود لـذيـذَ الـعَـضّ والـقُـبَـل

فذقتُ من طعمِه ما كاد يَبْلُغ بي ... ما ذقتُ من رَشْف محبوبٍ على عجل

أَكْـرِمْ بـزَوْرَتـه لـو أنـهـا اتـصـلتْ ... أو أنـه كـان فـيـهـا غـيـرَ مـنـفـصـل

لو كنت أملك حُكَم الأرض ما حَمَلتْ ... نـبـتًـا سـواه عـلى سـهـلٍ ولا جـبـلِ

وقال أبو الفتح كُشاجِم: [من الرجز]

أحضَرَنا النّاطُور(٣) من بستانِهِ ... فـي طَـبـقٍ يـنـطـق عـن إحـسـانِـهِ

لـونًـا مـن الـرائـع فـي أوانِـهِ ... أهـدَى لـه الـجـوهـرُ مـن ألـوانِـهِ

ما احمرّ أو ما اصفرّ من مَرجانِهِ(٤) ... مثل تُرُوكِ الجيش في مَيْدانِهِ

---

(١) الكمثرى: الإجّاص.

(٢) الأفاويه: ضرب متعدّد الأجناس من المواد المطيّبة للطعام، كجوزة الطّيب والقرنفل، وسواهما.

(٣) الناطور: حارس الكرم والجنائن وغيرها.

(٤) المرجان: ضرب من العروق الحمر تطلع من البحر، ويتّخذ منها أحجارًا وفصوصًا.

مُذَهَبةً في الهام من فُرسانِهِ شِيبَ بِريق الشُّهد في أغصانِهِ

* أنْوَرُ في الناظر من إنسانِهِ[١] *

وقال آخَر ـ وقد أهداه ـ: [من الوافر]

بَعثتُ بها ولا آلوك حمدًا تحيّة ذي اصطناع واعتلاقِ

خدودَ أحبّةٍ راءين صبّا وعُدن على ارتماضٍ[٢] واحتراقِ

فحَمَّرَ بعضَها خجَلُ التّلاقي وصَفّرَ بعضَها وجلُ[٣] الفراقِ

وأمّا اللُّفّاح وما قيل فيه ـ فاللّفّاح هو ثمر نبات يسمّى اليَبْرُوح الصَّنَميّ، وليس هو اللفّاح المعدودَ في صِنف البِطيخ الّذي يقال له الدَّسْتَنْبُو؛ ويقال: إنّها شجرة سليمان بن داود عليهما السلام، التي كان منها تحت فص خاتَمِه، ومَنْبِتُ قُضُبِها وورقِها الظاهرِ وسطُ رأسِ الصنم؛ وتكون منابتها في الجبال والكروم؛ وقال التَّمِيميّ: اليَبارِيحُ سبعة، وسيّدُها الصنميّ. وقال الشيخ الرئيس أبو عليِّ بنُ سينا في كتاب الأدوية المفردة من القانون في اليبروح: هو أصلُ اللُّفّاح البَرّيّ، وهو أصلُ كلِّ لُفّاح[٤]، «كبير» شبيهٌ بصورة الناس، فلهذا سُمّيَ باليبروح، فإنّ اليبروح اسمُ الصنم الطبيعي. قال: وطبعه بارد في الثانية يابس إليها؛ وفيه قليل حرارة على ما ظنّ بعضُهم. قال: وأمّا الأصل فقويّ مجفِّف، وقشر الأصل ضعيف، والورقُ يُستعمل مجفَّفًا ورَطْبًا فينفع الفالج. وقال في خواصّه: هو مخدِّر، وله دَمْعة وعُصارة؛ وعصارته أقوى من دَمعته، ومن أراد أن يُقْطَع له عضو سُقِيَ ثلاثةَ أوبولُوسات[٥] في شرابٍ فَيسبُت[٦]. وقيل: إنّ الأصل منه إذا طبخ به العاجُ ستَّ ساعات ليّنه وأسْلَسَ قِيادَه. قال: وإذا دُلِك بورقه البَرَش[٧] أسبوعًا ذهب من غير تقريح، وخصوصًا إن وُجد رَطْبًا، ولبنُ اللفّاح يَقْلَع النَّمَشَ والكَلَفَ بلا لذع؛ قال: ويُستعمل على الأورام الصُّلْبة والخنازير فينفع؛ وإذا دُقَّ الأصل ناعمًا وجعل بالخلّ على الحُمرة أبرأها؛ وأصله بالسَّويقِ ضِماد لأوجاع المفاصِل؛ والإكثار من شَمِّ اللفّاح يورث السَّكْتة؛ وخصوصًا الأبيض الورق، وقد يُتَّخَذُ منه شراب يزيل

(١) إنسان العين: بؤبؤها. (٢) ارتماض: فساد.

(٣) الوجل: الفرق والفزع.

(٤) اللفاح: ضرب من النبات، ذو ألوان مختلفة ورائحة طيّبة.

(٥) أوبولوسات: ضرب من المعايير، يعيّر أو يوزن بها الدواء.

(٦) يسبت: يبعث على السبات والنوم. (٧) البرش: داء يصيب الجلد، كالبهق.

السَّهَر، وهو أن يُجعل من قشور أصله ثلاثةُ أَمْناءٍ[١] في مطر يطوّس شرابٍ حلو، ويُسقى منه ثلاثة قواثوسات[٢]، وقد تُطبخ القشورُ أيضًا في الشراب طبخًا يأخذ الشراب قواها؛ ويُستعمل للإسبات منه شيء كثير، وللإنامة أقلّ؛ وقوم من الأطباء يُجلسون صاحبه في الماء الشديد البرد حتّى يُفيق. قال: ودَمعته من أدوية العين، تسكّن الوجع المفرط، ويُضمد بورقه أيضًا؛ وإذا احتُمِل نصف أُوبُولُوس من دَمعته أخرج الجنين، وبزره ينقّي الرَّحم إذا شُرِب؛ وإذا احتملته المرأة قَطَعَ نَزْفَ الرَّحِم، ولبن اللفّاح يُسهِل البَلغم والمِرّة، وإذا تَناول الصبيّ الطفل اللفّاحَ بالغلط حصل له قَيْءٌ وإسهال.

وأمّا ما وصفه به الشعراء ـ فمن ذلك قول بعض الشّعراء: [من المتقارب]

أتـانـا الـمَـصـيـفُ بـلُقّـاحِـه   فـطـابَ ولـو فـاتَـه لـم يـعـطِـبْ
نـجـومٌ بـلا فَـلَـكٍ دائـرٍ   ولـكـنّ أوراقَـه كـالـقُـطُـبْ
روائـحُـه مِـن شَـذاً[٣] مِـسْـكـةٍ   وأجـسـامُـه أُكَـرٌ مـن ذهـبْ

وقال أبو هلال العسكريّ: [من الكامل]

أُنظرْ إلى اللفّاح تَنظرْ مُعْجِبًا   يجلو عليك مفضضًا في مُذْهَبِ
تعلو مَفارقَه قَلانسُ[٤] أُخْفِيَتْ   مِن تحتهنّ دراهمٌ لم تُضرَبِ

وقال آخَر: [من الكامل]

لِلعَيْن والعِرْنِين[٥] في يبروحةٍ   لونُ المُحبّ وعَبْقَةُ المعشوقِ
صفراء طيّبة النّسيم كأنّها   بَلّورةٌ محشوّةٌ بخَلُوقِ[٦]

وأمّا الأُتْرُجّ[٧] وما قيل فيه ـ فقال أبو بكر بنُ وحشيّةَ في كتاب (أسرار القمر): وإن خلطتم بأصل اليبروح وفروعِه أصلَ الجَزَرِ وورقَه أجزاءً سواء وطمرتموه في الأرض، خرج عن ذلك شجر الأترجّ؛ وإن أضفتم إليهما البِطّيخَ الفِجَّ خرجتْ عنه الشجرة الحاملة للأترجّ الكبير الطيّبِ الرائحة؛ وإن أردتم أترجًّا

(١) أمناء: جمع منّ، وهو معيار معيّن يوزن به.
(٢) قواثوسات: من أنواع المعايير يستخدمها العطّار، وصانع العقاقير.
(٣) شذا: عبير ورائحة.
(٤) قلانس: جمع قلنسوة، تلبس على الرأس.
(٥) العرنين: الأنف، أو أعلى الأنف.
(٦) الخلوق: ضرب من الطّيب.
(٧) الأترج: ضرب من الثمار يشبه الليمون.

إلى البياض شديدَ الرّيح فاخلِطوا باليبروح والجَزَر أصلًا وورقًا عِرْقَ شجرة التّين الأصفر.

وقال الشيخ الرئيسُ في طبع الأترجّ: قِشرُه حارّ في الأُولى، يابسٌ في آخر الثانية؛ ولحمُه حارٌ في الأُولى، رَطْبٌ فيها، وقال قوم: بل هو بارد رَطب في الأُولى، وبردُه أكثر، وهو الأصح؛ وحُمّاضُه بارد يابس في الثالثة، وبِزره حارٌ في الأُولى، مجفِّف في الثالثة.

وأمّا أفعاله وخواصّه ـ فإنّ لحمَه ينفُخ، وورقه يسكِّن النَّفْخ، وفُقّاحه ألطف، وحُمّاضه قابض كاسر للصّفراء، وبِزره وقِشره محلِّل؛ وإذا جُعِل قشره في الثياب مَنَعَ السُّوس؛ ورائحتُه تُصْلِح فساد الهواء والوَباء؛ وحُمّاضُه يجلو اللّون ويُذهب الكَلَف؛ وحُراقة قشره طِلاءً جيّدةٌ للبَرَص، وطبيخه يطيّب النَّكْهة، وهو مسمِّن؛ وقِشرُه يطيّب النَّكْهَة أيضًا إمساكًا في الفم، وحُمّاضُه نافع من القُوباء طِلاء، ودُهنه نافع من استِرخاء العَصَب والفالج. وحُمّاضه رديء للعَصَب، وإذا اكتُحِل بحُمّاضه أزال يرقانَ العين[١]، وحُمّاضه يسكِّن الخَفَقانَ الحارّ، والمُربَّى جيِّدٌ للحَلْق والرِّئة، لكن حُمّاضه رديء للصدر؛ ولُبّ الأترجّ إذا طُبِخ بالخلّ وسُقِيَ منه نصفُ أُسْكُرُجَةٍ[٢] قَتَلَ العَلَقة المبلوعة وأخرجها؛ ولحمُه رديءٌ للمعدة، ينفخ، بطيءُ الهضم، لكن ورقه مقوٍّ للمعدة والأحشاء، وقشرُه إذا جُعل في الأطعمة كالأبازير[٣] أعان على الهضم، ونفسُ قشره لا ينهضم لصلابته؛ وطبيخه يسكِّن القيء؛ ورُبُّه ـ وهو رُبُّ الحُمّاض ـ نافع للمعدة، قال: ويجب أن يؤكل الأترجّ مفرَدًا لا يُخلط بطعام لا قبله ولا بعده؛ ولحمه يورِث القُولَنْج، وحُمّاضه يحبس البطن، ويمنع من الإسهال الصفراويّ؛ وبِزره ينفع من البواسير، وفي بزره قوّة مسهِلة؛ وعصارة حُمّاضِه تسكِّن غُلْمة النساء[٤]؛ ووزن درهمين من بزره بالشراب والطِّلاء والماء الحارّ مقاوِمٌ للسُّموم كلِّها، وخصوصًا سمَّ العقرب شربًا وطِلاء؛ وقِشْره قريب من ذلك؛ وعُصارةُ شره تنفع من نَهْش الأفاعي شُربًا، وقِشْرُه ضِمادًا.

---

(١) يرقان العين: اصفرارها.

(٢) الأسكرجة: إناء صغير، وقد يكون ضربًا من المكاييل يكال به.

(٣) الأبازير: ضرب من التوابل والأفاويه، يطيّب الطعام.

(٤) غلمة النساء: شهوتها إلى الرجال.

وأمّا ما وصفه به الشعراء - فمن ذلك قول ابن الروميّ: [من البسيط]

كلُّ الخِلال الّتي فيكم مَحاسنُكم تشابهت منكم الأخلاق والخِلَقُ
كأنّكم شجرُ الأُترجّ طاب معًا حَمْلًا ونَوْرًا وطاب الأصل والورقُ

وقال جَحْظة[1]: [من السريع]

أُترجّةٌ كالمِسْكِ في طِيبِهِ والتِّبر في بهجة إشراقِهِ
كأنّها في كفّ أستاذنا مخلوقةٌ من طِيب أخلاقِهِ

وقال عليّ بن سعيد الأندلسيّ: [من المتقارب]

ومصفرّةِ اللّون لا من هوًى تُكابِد منه عَلاقاتِ هَمْ
ولكن كَساها سَمومُ الهَجير جلابيبَ تِبرٍ بتضريجِ دَمْ
وأَكْسَبَها طِيبَ نَشْرِ العَبير وريحَ الحبيب إذا ما يُشَمْ
عروسٌ تُزَفّ[2] إلى شاهِها[3] على كفّ أغيَد[4] مِثْلِ الصّنمْ

وقال عليّ بنُ رشيق في المعزّ بن بادِيس: [من البسيط]

أُتْرُجّةٌ سَبْطَةٌ[5] الأطراف ناعمةٌ تَلقى النّفوسَ بحظٍّ غيرِ منحوسِ
كأنّها بَسطتْ كفًّا لخالِقها تدعو بطول بقاء لابن بادِيسِ

وقال آخَر: [من السريع]

كأنّما الأترجُّ في لونه وشكلِه المستطرَف المنظرِ
أبارقٌ تَسقُط عنها العُرا مسبوكةٌ من ذهبٍ أحمرِ

وقال آخَر: [من مجزوء الرجز]

يا حبّذا أُترجّةٌ تُحدث في النفس الطَّرَبْ
كأنّها كافورةٌ لها غِشاءٌ من ذهبْ

---

(١) جحظة: شاعر وعالم بالفلك، من شعراء العصر العباسي.
(٢) تزفّ: تنقل وتحمل إلى عريسها ليلة الزفاف، أي الزواج.
(٣) شاهها: ملكها. والشاه: الملك، بالفارسية.
(٤) الأغيد: من فيه غيد، وهو لين الأعطاف، وميل العنق.
(٥) سبطة: طويلة في لدونة.

وقال السريُّ الرَّفّاء: [من الكامل]

وقريبةٍ من كلِّ قلب إن بدت ... للمرءِ أدناها إليه وقَرَّبا

أروَى القلوب نسيمُها وتَلهّبتْ ... حُسنًا فأذكت في القلوب تَلهُّبا

فكأنّها ذهبٌ حوى كافورةً ... فغدا بريّاها[1] وراح مطيَّبا

صفراء ما عَنّتْ[2] لعينَيْ ناظرٍ ... إلّا توهَّمَها سنانًا مُذهَبا

وقال فيه: [من مجزوء الرجز]

يا حبّذا أُتْرُجّةٌ ... رُحْتُ بها مسرورا

إذ جاءني يحملها ... ظبيٌ يباهي الحُورا

شبّهتُها في كفِّه ... وقد كساها النُّورا

مَخْزَنةٌ من ذهب ... قد مُلِئَتْ كافورا

وقال الزاهي: [من البسيط]

وذاتِ جسمٍ من الكافور في ذهبٍ ... دارت عليه حواشيه بمقدارِ

كأنّها وهي قُدّامِي ممثّلةً ... في رأسِ دَوْحتها تاج من النّارِ

وقال ابنُ دُرَيْد: [من المنسرح]

جسمُ لُجَيْنٍ قميصُه ذهبٌ ... زُرَّ[3] على لُعْبةٍ من الطِّيبِ

فيه لمن شَمَّه وأبْصَرَه ... لونُ مُحِبٌّ وريحُ محبوب

وقال أبو الفتح كِشاجِم: [من المنسرح]

يا حبّذَا يومُنا ونحن على ... رؤوسنا نَعْقِد الأكاليلا

في جنّةٍ ذُلّلت لقاطفها ... قُطوفُها الدّانياتُ تذليلا

كأنّ أُتْرُجّها تَميس[4] به ... أغصانُها حاملًا ومحمولا

سلاسلٌ من زبرجدٍ حَملتْ ... من ذهبٍ أصفر قناديلا

(١) ريّاها: رائحتها.

(٢) عنّت: برزت وظهرت.

(٣) زرّ: طمّ.

(٤) تميس: تتثنى وتتمايل.

وقال أبو بكر بن القُرْطُبيّة: [من البسيط]

جسمٌ من النور في ثوبٍ من النّارِ كأنّه ذهبٌ من فوق بُلّارِ[١]
وابيضّ باطنُه واصفرّ ظاهرُه كأنّه دِرهمٌ من تحت دينارِ

وقالت عُليّة بنتُ المهديّ متطيّرةً به: [من مخلّع البسيط]

أُتْرُجّةٌ قد أتتك لطفًا لا تقبَلنْها وإن سُرِرتَ
لا تَهْوَ أُتْرُجّةً فإنّي رأيت مقلوبَها هُجِرتَ

وقال العبّاس بن الأحنف[٢]: [من الكامل]

أهدى له أحبابُه أُتْرُجّةً فبكَى وأشْفَقَ من عِيافةِ زاجرِ[٣]
خاف التلوّنَ إذ أتته لأنّها لونان باطنُها خلافُ الظاهرِ

وقال آخر: [من السريع]

أماتَ إذ حيّا بأُتْرُجّةٍ فهمتُ منها كنه[٤] تأويله
لمّا تطيّرتُ بمنكوسها[٥] ضَمَّ بنانًا لي بتقليله

ومن الأُترجّ صِنف صغير مخطَّط بخضرة وصفرة، وفيه طول، يسمّى شمّامَ الأترجّ، وفيه يقول ابنُ طَباطبا: [من البسيط]

ومُخْطَفاتٍ كأنّ الحُبَّ أخطَفَها هِيف الخصور[٦] ثقيلات المآخيرِ[٧]
صُفر الثياب كأنّ الدهر ألبسها بناضر النبت ألوان الدنانير

(١) البلّار: البلّور، والزجاج.
(٢) العباس بن الأحنف: شاعر من شعراء الغزل في العهد العباسي، كان نديمًا للرشيد. له ديوان شعر مطبوع. مات سنة ٨٠٨ م.
(٣) العيافة: زجر الطير، فتطير يمينًا وشمالًا، فيتشاءم بذلك أو يتفاءل.
(٤) كنه تأويله: سرّ تفسيره.
(٥) منكوسها: قلبها، أي قلب حروفها.
(٦) هيف الخصور: أي خصورها دقيقة.
(٧) المآخير: جمع مؤخرة، وهي المقعدة والمؤخرة.

القسم الثالث
من الفن الرابع
في الفواكه المشمومة

وفيه بابان:

الباب الأول
من هذا القسم من هذا الفنّ
فيما يُشَمّ رَطْبًا ويُسْتَقطر

ويشتمل هذا الباب على أربعة أنواع، وهي الوَرْد والنِّسْرين والخِلاف والنَّيْلَوْفَر.

فأمّا الوَرْد وما قيل فيه ـ فالورد ألوان، أشهرها الأحمر والأبيض؛ وقال صاحب كتاب (نِشْوار المُحاضَرة): إنه رأى وردًا أصفر، ووردًا أسودَ حالكَ السّواد، له رائحة ذكيّة، ورأى بالبَصرة وردةً نصفها أحمرُ قانىء، ونصفها أبيض ناصع، وكأنّها مقسومة بقلم؛ وفيه ما له وجهان: أحمرُ وأبيض؛ ويقال: إنّه ربما وُجِد وَردٌ أحدُ وجهَي الورقة منه أحمرُ قانىء، والآخرُ أصفر، ومن ألوان الورد الأزرق، وهذا اللون يقال إنّه يُتحيَّل فيه، بأن تُسقَى شجرةُ الورد الأبيض الماءَ المخلوط بالنيل[1]، فيصير الورق أزرق، وقد يُتحيَّل على الأسود بمثل ذلك، والله تعالى أعلم. ومما يدلّ على وجود هذه الألوان وأنّها غير منكورة أن الشعراء وصفوها في أشعارهم فذكروا الأصفر والأزرق والأسود على ما نورده إن شاء الله تعالى، بعد ذكر منافع الورد وخواصّه.

قال الشيخ الرئيس أبو عليّ بنُ سينا: والورد مركَّب من جوهرٍ مائيّ وأرضيّ وفيه حرارة وقبض، ومرارة مع قبض، وقليلُ حلاوة، وفي مائيّته انكسارُ حَرافة بسبب

---

(١) النيل: ويقال له النيلج أيضًا، شيء يتّخذ من نبات العظلم، لونه أزرق، يصبغ به، وينظف الثياب.

الشيء الذي لأجله حلا ومَرّ، وفيه لطافة تُنفذ قبضه، فكثيرًا ما يُحدث الزُّكام. قال: والقوّة المُرّة تَثْبت فيه ما دام طريًا، فإذا يَبِس قلّت مرارته، ورَطبُه يُسْهِل إذا شُرِب منه وزنُ عشرة دراهم؛ والمسمَّى منه بالوَرد المنتن حارّ، وأصله كالعاقِر قَرْحًا[١] مُحْرِق، وقال في طبعه:

ذكر جالِينُوس أن الورد ليس بشديد البَرْد بالقياس إلينا، ويقول: يجب أن يكون باردًا في الأُولى؛ قال الشيخ، أقول: ويُبْسُه في أوّل الثانية، لا سيّما في الجافّ؛ وقال في أفعاله وخواصّه: تجفيفُه أقوى من قبضه، لأنّ مرارته أقوى من قبضِ طَعمه؛ وهو مفتِّحٌ جَلّاء، ويسكِّن حركة الصفراء؛ وبِزره أقوى ما فيه قبضًا، وكذلك الزَّغَب[٢] الّذي في وسطه، وفي جميعه تقوية للأعضاء الباطنة، ولا يجاوِز قبضُه منعَ التحليل؛ واليابس أقبض وأبرد. وقال: وإذا استُعمل الورد في الحمّام أصلح نَتْن العَرَق، ويُتّخذ منه غَسول على هذه الصفة، وهي أن يؤخذ من الورد الّذي لم تصبه نداوة - ويُترك حتى يَضمر - أربعون مثقالًا[٣]، ومن سنبل الطِّيب خمسةُ مثاقيل، ومن المُرّ[٤] ستّةُ مثاقيل، تُعمل أقراصًا صغارًا. قال: وربّما زادوا فيها من القُسْط[٥] والسَّوْسَن درهمين درهمين، فربّما جعلها النساء في المخانق[٦] علاجًا من ذَفَرِ العَرق[٧]. قال قوم: إنّه يَقْطَع الثّآليل كلَّها إذا استُعمل مسحوقًا، وهو ينفع من القروح، ولا سيّما السَّحج بين الأفخاذ وفي المَغابِن[٨]، ويُنْبِت اللحم في القروح العميقة، وادَّعى قوم أنه يُخْرِج السُّلّاءَ[٩] والشَّوْك مسحوقًا؛ وهو مسكِّن للصُّداع رَطْبُه وطبيخُ مائه، ودُهنُه معطِّس بل شَمُّه نفسِه؛ وقال قوم: تعطيسُه لحبسه البُخار، ولعلّ ذلك لتضادّ قوّتيه: الجالية والمانعة في الأدمغة الرقيقة الفضول؛ وشمّه نفسِه معطِّسٌ لمن هو حارّ الدماغ؛ وبِزرُه يَشُدُّ اللِّثة، وهو يسكِّن وجع العين من الحرارة، وكذلك طبيخ يابسه صالحٌ لغِلَظ الجفون إذا اكتُحِل به، وكذلك دُهنه وعُصارتُه؛ قال: وإنما ينفع من الرَّمَد[١٠] إذا قُطعت منه زوائد

---

(١) قرحًا: جرحًا.

(٢) الزغب: الشعر الناعم الدقيق.

(٣) المثقال: معيار يوزن به.

(٤) المرّ: ضرب من المستحضرات الطبّية الطيّبة الرائحة، مرّ الطعم، يستخرج من شجرة شائكة من فصيلة البخوريات، ويطلق على الحنظل اسم المرّ.

(٥) القسط: ضرب من الشجر يشبه العود، وهو أنواع مختلفة.

(٦) المخانق: الأعناق.

(٧) ذفر العرق: رائحته النّتنة.

(٨) المغابن: المفاصل، وما تحت الآباط.

(٩) السلاء: الشوك.

(١٠) الرمد: داء يصيب العين، فيمنعها من الإبصار، وهو أنواع، وأهمّه الرمد الربيعي، والحبيبي.

البِيض. قال: وإذا تُجُرِّعَ ماءُ الوَرد نفع من الغَشْي[١]؛ قال: والوردُ جيّدٌ للكبد والمعدة؛ ومُربّاه بالعسل يقوّي المعدة، وهو الجَلَنجَبين، ويعين على الهضم؛ ودهن الورد يطفىء التهاب المعدة، وكذلك طلاء المعدة بالورد نفسِه؛ وشرابه نافع لمن في معدته استرخاء؛ قال: وهو يسكّن وجع المقعدة طَلْيًا عليها بريشة، ووجعَ الرحم من الحرارة، وكذلك طبيخ يابسه؛ وهو نافع لأوجاع المِعَى، ويُحتقن بطبيخه لقروح المِعَى، وشرابُه يُشرب بذلك؛ قال: والنومُ على المفروش منه يقطع الشّهوة؛ هذا ما قاله الشيخ في الورد، والذي جرّبتُه أنا منه أنّ زهر الورد الأصفر يُجفَّف ويُسحق بالملح فيكون دواءً جيّدًا للجراح يلحُمها بسرعة.

وأمّا ما جاء في وصف الورد نظمًا ونثرًا ـ فقال أبو العلاء صاعد الأندلسيّ[٢]: [من المتقارب]

ودونَـك يـا سـيّـدي وردةً ... يـذكّـرك الـمِـسْـكُ أنـفـاسَـهـا

كـعـذراءَ أبـصَـرهـا مـبـصـرٌ ... فـغـطّـت بـأكـمـامِـهـا راسَـهـا

وقال أبو عُبادة البحتريّ[٣]: [من الطويل]

أتاك الربيعُ الطَّلْق يختال ضاحكًا ... من الحُسن حتى كاد أن يتكلّما

وقد نبّهَ النَّوْرُوز[٤] في غَسَق الدُّجى ... أوائلَ وَرد كُنّ بالأمس نُوَّما

يـفـتّـحـه بَـرْدُ الـنَّـدَى فـكـأنـمـا ... يَـبـثّ حـديـثًـا بـيـنـهـنّ مـكـتَّـمـا

وقال محمد بن عبد الله بن طاهر ـ ويُروَى لعليّ بن الجَهْم[٥] ـ: [من البسيط]

أما تَرَى شجراتِ الورد مظهرةً ... لنا بدائعَ قد رُكّبن في قُضُبِ

كـأنّـهـنّ يـواقـيـتٌ يُـطـيـف بـهـا ... زبرجدٌ وسطَه شَذْرٌ[٦] من الذهبِ

---

(١) الغشي: الغثيان والغيبوبة.

(٢) هو أحد الشعراء الأندلسيين المشهورين، يقال له صاعد القسطليّ.

(٣) البحتري: من شعراء العصر العباسي المشهورين، اتّصل بالمتوكّل ومدحه. شعره رقيق الحاشية، جزل العبارة، وأشهر قصائده السينيّة في وصف إيوان كسرى.

(٤) النوروز: أو اليوم الجديد، بالفارسية، هو عيد أول السنة الفارسية، في الحادي والعشرين من آذار.

(٥) عليّ بن الجهم: شاعر بغدادي كان معاصرًا لأبي تمام. اشتهر بالهجاء وخبث اللّسان، فنفي إلى خراسان، ثم جاء حلب فقتله خراسان من بني كلب سنة ٨٣٦ م.

(٦) شذر: قطع.

وقال الناشي[١]: [من الكامل]

قُضُب الزبرجد قد حَمَلن شقائقًا ... أثمارُهنّ قُراضةُ العِقْيانِ[٢]

وكأنّ قَطْرَ الطَّلِّ في أهدابه ... دمعٌ مَرَتْه فواتر الأجفانِ

وقال ابن طاهر ـ ويُروَى لابن بسام[٣] ـ: [من البسيط]

أما تَرَى الورد يدعو للورُود إلى ... خمر معتَّقة في لونِها صَهَبُ[٤]

مَداهِنٌ من يواقيت مركَّبة ... على الزّبرجد في أجوافها ذهبُ

كأنّه حين يبدو من مَطالِعه ... صبٌّ يقبِّل حِبًّا[٥] وهو يَرتقبُ

خاف المَلالَ إذا طالت إقامتُه ... فظلَّ يَظهر أحيانًا ويَحتجبُ

وقال العماد الأصفهانيّ[٦]: [من الخفيف]

قلتُ للوَرد ما لشوكُك يُدْمِي ... كلّ ما قد أَسَوته من جراحِ

قال لي هذه الرياحينُ جندٌ ... أنا سلطانُها وشوكي سلاحي

وقال آخَر: [من مجزوء الكامل المرفّل]

الورد أحسَنُ منظَرِ ... تَستمتِعُ الألحاظ منه

فإذا انقضت أيّامُه ... أتت الخدود تنوب عنه

وقال أبو طالب الرّقّيّ: [من المنسرح]

ووردةٍ في بَنانِ مِعطارِ ... حيّت بها في بديع أسرارِ

كأنّها وجنةُ الحبيب وقد ... نقّطها عاشق بدينارِ

---

(١) الناشيء: واسمه عبد الله، من الشعراء المجيدين من أهل بغداد. نشأ في الأنبار، ومات في مصر سنة ٩٠٦ م.

(٢) العقيان: الذهب الخالص.

(٣) ابن بسام: واسمه عليّ بن محمد، شاعر وأديب بغدادي، اشتهر بالهجاء والوصف. له «أخبار عمر بن أبي ربيعة» و«أخبار الأحوص» و«مناقضات الشعراء». مات سنة ٩١٥ م.

(٤) صهب: شقرة.

(٥) الحِبّ: المحبّ.

(٦) هو أبو عبد الله عماد الدين الكاتب، والمؤرّخ والشاعر، في زمن الأيوبيّين. من كتبه «خريدة القصر» و«ديوان الرسائل» و«البرق الشامي». توفي سنة ١٢٠٠ م.

وقال أبو هلال العسكريّ: [من السريع]

مرّ بنا يهتزّ في خطوه كالغصن غِبَّ[1] العارض السارِي[2]
شَمِمتُ في وجنته وردةً جاءت من المِسك بأخبارِ
تلوح في حمرتها صفرةٌ كالخدّ منقوطًا بدينارِ

وقال آخر: [من السريع]

كأنّما الوردة لمّا بدت في كفّ مَنْ أهوَى ويهواني
حُمرةُ خدّيه وفي وَسْطِها صُفرةُ لوني حين يلقاني

وقال آخر: [من مجزوء الرّمل]

جَمَع الورد خصالًا لم تكن في نُظرائهْ
حُسْنَ لون جعل الزُّهْـ ـرةَ من تحت لوائهْ
ونسيمًا عَطَّر المجـ ـلَس من فرط ذكائِهْ
فإذا غاب وولَّى عَوَّض الناس بمائهْ

وقال آخَر: [من الوافر]

وذي لونين لونُ المسك فيه يروق بحمرةٍ فوق اصفرارِ
كمعشوقَيْن ضمّهما اعتناقٌ على حِذْثان عهدٍ بالمَزارِ

وقال الطُّغرائيّ[3]: [من الوافر]

ألم تَرَ أنّ جند الورد وافَى بصُفر في مَطارِده وحُمرِ
أتى مستلئمًا[4] بالشوك فيه نِصالُ زمرّد وتِراسُ[5] تِبرِ
فجلَّى بالسرور همومَ قلبي وطارَدَ بالنشاط بنات صدري
فما عذري إذا أنا لم أقابِلْ أياديَه بسُكرٍ أو بشكرِ

---

(١) غبّ: عقب. (٢) العارض الساري: المطر الهاطل.
(٣) الطغرائي: صاحب لامية العجم، سبق التعريف به.
(٤) مستلئمًا: لابسًا لأمة، وهي الدّرع.
(٥) تراس: جمع تراس، وهي المجنّ، وما يقي الفارس من ضرب النصال أو النبال.

ومما قيل في ذمّ الورد ومدحِه ـ قال ابنُ الرّوميّ: [من البسيط]

يا مادحَ الورد لا تنفكّ عن غلطٍ ألستَ تنظره في كفّ ملتقِطهْ
كأنّه سُرْمُ[1] بغل حين يُخرجُه عند البِراز[2] وباقي الرَّوث في وَسَطهْ

وقال ابن المعتزّ في الردّ عليه: [من البسيط]

يا هاجيَ الوَرد لا حُيّيتَ من رجلٍ غَلِطت والمرء قد يُؤتَى على غَلطهْ
هل تُنبت الأرض شيئًا من أزاهرها إذا تحلّت يحاكي الوَشيَ في نَمَطهْ
أحلَى وأشهرَ من وردٍ له أرَجٌ كأنّما المِسك مذرورٌ على وسَطهْ
كأنّه خدُّ حِبّي حين مَلّكني حَلّ السراويل بعد الطُّول من سَخَطهْ

وقال العسكريّ: [من السريع]

أفضّل الورد على النرجِس لا أجعل الأنجم كالأشْمُسِ
ليس الذي يَقعد في مجلسٍ مِثلَ الّذي يَمثُل في المجلسِ

وكتب أبو دُلَف[3] إلى عبد الله بن طاهر[4]: [من الطويل]

أرى وُدَّكم كالورد ليس بدائم ولا خير فيمن لا يدوم له عهدُ
وحُبّي لكم كالآسِ حُسنًا ونَضرةً له زهرةٌ تَبْقَى إذا فَنِيَ الوَردُ

فأجابه ابن طاهرٍ يقول: [من الطويل]

وشَبّهتَ وُدّي الوردَ وهو شبيهُه وهل زهرةٌ إلّا وسيّدُها الوَردُ
ووُدُّكَ كالآسِ المَريرِ مَذاقُه وليس له في الطِّيب قبلٌ ولا بَعدُ

وممّا وُصِف به الوردُ الأبيض ـ قولُ محمد بن قيس: [من مجزوء الكامل]

جاءت بوَردٍ أبيضٍ شبّهتُه عند العِيان
بمداهنٍ[5] من فضّةٍ فيها بقايا زعفران

(١) سرم: ثقب، كناية عن مخرجه. (٢) البراز: الرّوث، والخرء.
(٣) هو أبو دلف العجلي، واسمه القاسم بن عيسى، من رجال الدولة العباسية، كان شاعرًا وأديبًا وأميرًا. له من الكتب «سياسة الملوك» و«البزاة والصيد». مات سنة ٢٢٦ هـ/ ٨٤٠ م.
(٤) عبد الله بن طاهر: والٍ عباسي في عهد المأمون، وطّد الأمن في مصر للعباسيين، ثم خلف أخاه طلحة في حكم خراسان سنة ٨٢٨ م. مات سنة ٢٣٠ هـ/ ٨٤٤ م.
(٥) مداهن: جمع مدهنة، وهي الوعاء يوضع فيه الدّهن.

وقال السّريّ الرفّاء: [من الطويل]

ورَوضٍ كساه الغيثُ إذ جادَ دمعُه مَجاسدَ[١] وشى من بَهارٍ ومنثورِ[٢]
بدا أبيضُ الوَردِ الجنيّ كأنّما تَنَسَّمَ للنّاشِي بمسكٍ وكافورِ
كأنّ اصفرارًا منه تحت ابيضاضِه بُرادةُ تِبرٍ في مَداهنِ بَلُّورِ

وقال ابنُ المعتزّ: [من الوافر]

أتاك الوَرْدُ مبيضًّا مَصُونًا كمعشوقٍ تَكنَّفَهُ صُدودُ
كأنّ وجوهه لمّا توافت بدورٌ في مطالعها سعود
بياضٌ في جوانبه احمرارٌ كما احمرّت من الخجل الخدودُ

وممّا وصف به الأصفر ـ قولُ شاعرٍ: [من المتقارب]

رعى اللهُ وَردًا غدا أصفرًا بهيًّا نَضِيرًا يُحاكِي النُّضارا[٣]
وسقّى غصونًا به أثمرتْ وحُمّلن منه شموسًا صِغارا

وقال الطُّغْرائيّ: [من الكامل الأحذّ]

شجراتُ وَردٍ أصفرٍ بَعثتْ في قلبِ كلّ متيَّم طَرَبا
سَبَكتْ يدُ الغَيْمِ اللُّجَيْنِ[٤] لها وكسته صِبغًا مُونِقًا[٥] عَجَبا
مَن ذا رأى من قبلِها شجرًا سُقِيَ اللُّجَيْنَ فأثمرَ الذّهبا
خَرَطتْ نهودَ زبرجدٍ حَملتْ أجوافُها من عَسْجَدٍ[٦] لُعَبا
فإذا الصَّبا[٧] فَتَقتْ كمائمَها[٨] سَحَرًا وماد[٩] الغصنُ وانتَصَبا
شَبّهتُها بخريدةٍ[١٠] طَرَحتْ في الخُضرِ من أثوابِها لَهَبا

وممّا وصف به الوَرد الأزرق ـ قال بعضُ الشعراء وقد وَصف بستانًا: [من الخفيف]

وبه واردٌ من الوَرد قد أيـ ـنَعَ في رِقّة الهواء اللّطيفِ

---

(١) مجاسد: مجسد، وهو ضرب من الثياب.
(٢) البهار والمنثور: ضربان من الأزاهير.
(٣) النضار: الذهب.
(٤) اللجين: الفضّة.
(٥) مونقًا: حسن المنظر والبهجة والرونق.
(٦) العسجد: الذهب.
(٧) الصبا: ريح شرقية ناعمة.
(٨) كمائمها: أزرارها.
(٩) ماد: تثنّى ومال.
(١٠) الخريدة: الفتاة البكر الطّوال والحيّية.

شبَّهوه بدمعة العاشق الآ ... ليفِ نالته جفوةٌ[١] من أليفِ
فهو يَحكيه رِقةً ومثالُ الـ ... ـقَرْص لونًا في خدِّ ظبيٍ تَرِيفِ[٢]
وَرْقٌ أزرقٌ كزُرق يواقيـ ... ـتَ تَطَلَّعن من لُجَيْنٍ مَشُوفِ[٣]

ومما قيل في الوَرد الأسود ـ قول مُؤيِّد الدّين الطُّغْرائيّ: [من البسيط]

للهِ أسودُ وَرْدٍ ظلَّ يَلْحَظنا ... من الرّياض بأحداق اليَعافِيرِ[٤]
كأنّها وجَناتُ الزّنْج نقّطها ... كفُّ الإمام بأنصاف الدّنانيرِ

وقال آخر فيه: [من الوافر]

ووَرْدٍ أسوَدٍ خلناه لمّا ... تَنَشّقَ نَشْرَه مَلِكُ الزّمانِ
مَداهنَ عنبرٍ غَضٍّ وفيها ... بقايا من سَحيق الزعفرانِ

وأمّا ما جاء فيه نثرًا ـ فقال أبو حفص عمرُ بنُ بُرْد الأصغر[٥] رسالةً قدَّم فيها الوَرْد على سائر الرّياحين، وهي رُقعةٌ خاطب بها ابنَ جَهْوَر[٦]: أمّا بعد يا سيّدي ومن أنا أفْديه، فإنّه ذكَرَ بعضُ أهل الأدب المتقدِّمين فيه، وذوي الظَّرْف المُعْتَنِين بمُلَح معانيه، أنّ صنوفًا من الرّياحين، وأجناسًا من نُوّار البساتين، جَمَعها في بعض الأزمنةِ خاطرٌ خطرَ بنفوسِها، وهاجسٌ هَجَس في ضمائرِها، لم يكن لها بدٌّ من التفاوض فيه والتّحاور، والتحاكُم من أجلِه والتناصُف، وأجمعتْ على أنّ ما ثبت في ذلك من العهد، ونَفَذ من الحِلْف؛ ماضٍ على من غاب شخصُه، ولم يَئِن منها وقتُه، فقام قائمُها فقال: يا معشر الشّجر، وعامّة الزَّهَر؛ إن اللّطيف الخبير الذي خَلَق المخلوقات، وذَرَأ[٧] البريّات، باين[٨] بين أشكالِها وصفاتها، وباعدَ بين مِنَحِها وأُعطياتِها؛ فجَعَل عبدًا ومَلِكًا، وخَلَق قبيحًا وحَسَنًا؛ فَضّل على بعضٍ بعضًا حتى اعتدل بعدله الكلّ، واتّسق على لطفِ قدرته الجميع، وإنّ لكلّ واحد منها جمالًا

(١) الجفوة: النبوّ، والصدود.
(٢) التريف: الذي فيه ترف ونعومة وغنى.
(٣) مشوف: مصنّع ومصقول.
(٤) اليعافير: جمع يعفور، وهو ولد البقرة الوحشية، أو هو ولد الظبي في لونه عفرة.
(٥) ابن برد الأصفر: من ألمع الكتاب الأندلسيين في زمن ملوك الطوائف. له رسائل منمّقة اعتمد في معظمها الصنعة والسجع والمساواة أحيانًا.
(٦) بنو جهور: من ملوك الطوائف الذين حكموا في قرطبة، من سنة ٤٢٢ هـ/ ١٠٣١ م إلى سنة ٤٦١ هـ/ ١٠٦٩ م.
(٧) ذرأ: خلق.
(٨) باين: باعد.

في صورتِه، ورِقّة في محاسنه، واعتدالًا في قَدّه، وعَبَقًا في نسيمِه، ومائيّةً في ديباجتِه[١]، قد عُطِفتْ علينا الأعين، وثُنِيَتْ إلينا الأنْفُس، وزهتْ بمحاضرتِنا المجالس؛ حتّى سفَرْنا[٢] بين الأحبّة، ووصلْنا أسبابَ القلوب، وتحمّلْنا لطائفَ الرّسائل، وصِيغَ فينا القَرِيض[٣]، ورُكّبت في مَحاسِنِنا الأعاريض، فطَمح بنا العُجْب، وازدهانا[٤] الكِبْر، وحَمَلَنا تفضيلُ من فضّلَنا، وإيثارُ من آثَرَنا، على أن نَسِينا الفكَر في أمرِنا، والتمهيدَ لعواقِبنا، والتّطييبَ لأخبارنا، وادّعينا الفضلَ بأسرِه، والكمالَ بأجمعِه؛ ولم نعلم أنّ فينا من له المزيّةُ علينا، ومن هو أَولَى بالرأسة منّا، وهو الوَرْد الذي إن بذلنا الإنصافَ من أنفسِنا، ولم نَسْبَحْ في بحرِ عمانا، ولم نَمِلْ مع هوانا؛ دِنّا له، ودَعَوْنا إليه، فمن لقِيَه منّا حيّاه بالمُلْك، ومن لم يدرك زمن سلطانِه، ودولَة أوانه، اعتقَد ما عُقِد عليه، ولَبّى إلى ما دُعِيَ إليه؛ فهو الأكرمُ حَسَبًا، والأشرفُ زمنًا؛ إن فُقد عينُه لم يُفْقَدْ أثرُه، أو غاب شخصُه لم يَغب عرْفُه[٥]؛ وهو أحمرُ والحُمرةُ لونُ الدّم، والدّمُ صديقُ الرُّوح؛ وهو كالياقوت المنضّد، في أطباق الزّبرجد، عليها فريدُ العسجد، وأمّا الأشعارُ فبمحاسنه حَسُنتْ، وباعتدال زمانِهِ وُزِنَتْ.

وفي فصلٍ منها: وكان ممّن حضر هذا المجلس من رؤساء النُّوّارِ والأزهار، النّرجِس الأصفر والبنفسَجُ والبَهار؛ والخِيرِي ـ وهو النَّمام ـ فقال النّرجِس الأصفر: والذي مَهّدَ لي في حِجْر الثّرَى، وأرضَعَني ثَدْيَ الحَيا[٦]؛ لقد جئت بها أوضحَ من لَبّة[٧] الصّباح، وأسطَعَ من لسان المصباح؛ ولقد كنتُ أسْتُر من التعبُّد له، والشغفِ به، والأسفِ على تعاقب الموت دون لقائه؛ ما أنحل جسمي ومَكّن سُقْمي؛ وإذ قد أمكَن البَوْحُ بالشَّكْوَى، فقد خَفّ ثِقَل البلوَى، ثمّ قام البنفسَجُ فقال: على الخبير واللهِ سَقطتَ، أنا والله المتعبّدُ له، والدّاعي إليه والمغشوفُ به، وكفى ما بوجهي من نَدَب؛ ولكن في التأسّي بك أُنس؛ ثم قام البَهار فقال: لا تنظرنّ إلى غَضارةِ نَبْتي، ونَضارةِ وَرَقي، وانظرْ إليّ وقد صرت حَدَقةً باهتة تشير إليه، وعينًا شاخصة تَنْدَى

(١) ديباجته وشيه وزينته.
(٢) سفرنا: عملنا سفراء ورسلًا بينهم.
(٣) القريض: المنظوم من الشعر.
(٤) ازدهانا: تملّكنا وجعلنا نزهو به.
(٥) عرفه: معروفه، وشذاه.
(٦) الحيا، الحياء، بدون الهمز، وهو المصدر من حيي، أو اسم المصدر من استحيا حياءً. والحيا، بدون الهمز: المطر.
(٧) لبّة الصباح: غرّته وبياضه.

بكاءً عليه: [من الخفيف]

ولـولا كـثـرةُ الـبـاكـيـن حـولـي　　على إخوانهم لقَتلتُ نفسي[١]

ثمّ قام الخِيريُّ فقال: والَّذي أعطاه الفضل دوني، ومَدَّ له بالبَيْعة يميني، ما اجترأتُ قَطُّ إجلالًا له، واستحياءً منه، على أن أتنفَّسَ نهارًا، أو أساعدَ في لذّة صديقًا أو جارًا، فلذلك جَعلتُ اللّيل سِترًا، واتَّخَذْتُ جوانحه كِنًّا[٢]. فلمّا استوت آراؤها قالت: إنّ لنا أصحابًا، وأشكالًا وأترابًا، لا نلتقي بها في زمن، ولا نجاورها في وطن؛ فهلم فلنكتبْ بذلك عَقدًا يَنفُذ على الأقاصي والأداني، فكتبوا رُقعة نُسختُها: هذا ما تَحالَف عليه أصنافُ الشجر، وضُروبُ الزَّهَر، وَسْمِيّها وشَتْوِيّها، ورَبْعِيُّها وقَيْظِيُّها[٣]؛ حيث ما نَجمتْ[٤] من تَلْعةٍ[٥] أو رَبْوَةٍ، وتَفتّحتْ في قَرارة[٦] أو حديقة؛ عندما راجعتْ من بصائرِها، وأُلهمتْ من رشادِها، واعترَفتْ بما أسلَفتْ من هفواتِها، وأعطت للوَرد قِيادَها، وملّكتْه أمرَها؛ وعَرفتْ أنّه أميرها المقدَّمُ بخصالِه فيها، والمؤمَّرُ بسوابقه عليها؛ واعتقدتْ له السمعَ والطاعة، والتَزمتْ له الرِّقَّ والعُبوديّة، وبرئتْ من كلِّ زَهر نازعتْه نفسُه المباهاةَ له، والانتزاء[٧] عليه؛ في كلِّ وطن، ومع كلِّ زمان، فأيّةُ زَهرةٍ قَصَّ عليها لسانُ الأيّام هذا الحِلْف، فلتتعرّفْ إرشادَها منه، وقِوامَ أمرِها به؛ والله أعلم.

ومن رسالةٍ لبعض فضلاءِ أصبهَان[٨] ممّن ذكرهم العِمادُ الأصبَهانيّ[٩] في الخريدة وَصَف فيها الرياضَ والرّياحين، وفَضَّل الوَردَ على جميعِها، وهي رسالةٌ مطوَّلةٌ في هذا النوع وغيرِه، وجاء منها: في يوم استعار نَضارتَه من عصرِ الصِّبا[١٠]، واكْتَسَى صحّتَه من عليلِ الصَّبا[١١]؛ ونَجَمَتْ فيه نجومُ الرّبيع، خاليةً من المقابَلة والتّربيع؛ وتَقابَل إشراقُ زَهرِه ونهارِه، فَراقَ بجري جداولهِ وأنهارِه، وأقبَلَ فيه جيشُه بفوارسِه وجِيادِه، وعساكرِه وأجنادِه؛ بين رافِع لواءٍ زبرجديّ،

---

(١) البيت للشاعرة العربية المعروفة الخنساء، وهو من قصيدة ترثي فيها أخاها صخرًا. انظر القصيدة في: ديوان الخنساء، ص ٥٣، ط دمشق ١٩٧٣.

(٢) جوانحه: أضلاعه، والكنّ: الستر.

(٣) قيظيّها: صيفيّها.

(٤) نجمت: ظهرت.

(٥) التلعة: الربوة.

(٦) القرارة: ما استقرّ واطمأنّ من الأرض.

(٧) الانتزاء: القفز والوثوب.

(٨) أصبهان: من مدن إيران المشهورة.

(٩) العماد الأصبهاني: الكاتب المشهور، صاحب «الخريدة» سبق التعريف به.

(١٠) الصبا: الشباب.

(١١) الصبا: بفتح الصاد، الريح الشرقية الناعمة.

وحامِلِ مِطْرَدٍ[١] عَسْجَدِيّ، وصاحبِ رِداءٍ لازَوَرْدِي[٢]، ومُعْلم[٣] قد أَطْلَق عِنانه[٤]، ورامح[٥] قد خَضَب سِنانه[٦]؛ وأخذت الأرضُ زينتَها وزخارفَها، ولَبِستْ حِليتَها ومَطارفَها[٧]؛ ومادت كُثبانُها[٨] بخمائِلها[٩]، وماست قُضبانُها[١٠] في غلائِلها[١١]؛ فبَرَزتْ بين جبينٍ متوَّج، وخدٍّ مضرَّج، وصُدْغٍ مخلَّق[١٢]، وخَصْرٍ ممنطَق[١٣]، ونادت الشمسُ بلسان الجَذَل: [من البسيط]

* يا بُعدَ ما بين برجِ الجَدْيِ والحَمَلِ[١٤] *

[ومن المتقارب]:

وفَصَّل فصلُ الرّبيع الرياض عقودًا ورَصَّع منها حُلِيّا
وفاخَرَ بالأرض أُفقَ السَّماء فحَلَّى الثَّرى بنجوم الثُّرَيَّا[١٥]

ونَشر منثورة ياقوتًا ودرًّا وزمرّدًا، وجَمَع بين ضدّين: من بَرْدِ بَرَدٍ وتَوقُّدٍ جُذًا؛ فَشَمَخ بالمناكب، على الكواكب؛ وتاه بالصَّوْج[١٦]، على الأَوْج؛ وطاوَلَ بالآكام[١٧]، عُلا الرُّكام؛ فهنالك برز النرجِسُ من بين الرّياحين، وقال: الصمتُ لا يُحْمَد في كلّ حِين؛ ومن لم يُفْصِح بتعريف نفسِه، وتفضيل يومِه على أمسِه، فهو مغبونٌ[١٨] في جنسِه؛ أنا حَدَقُ الحدائق، ونزهةُ الرّامق[١٩]؛ أخْطِر بين جسدٍ زبرجديّ[٢٠]، وفرع

(١) مطرد: شيء يطرد به، وهو الرمح.
(٢) لازوردي: منسوب إلى اللازورد، الحجر الكريم الشفّاف جدًّا والمتعدد الألوان، وإن كان أهمها وأشهرها الأزرق.
(٣) معلم: موسوم بعلامة.
(٤) عنانه: زمامه، وما يقاد به.
(٥) رامح: حامل الرمح.
(٦) سنان الرمح: رأسه الذي يطعن به، ويكون من الحديد.
(٧) مطارف: جمع مطرف، وهو رداء من خزّ.
(٨) كثبانها: جمع كثيب، وهو مجتمع الرمل.
(٩) خمائلها: جنائنها، جمع خميلة.
(١٠) قطبانها: كناية عن الأغصان.
(١١) غلائلها: ثيابها الرقيقة، كناية عن الورق والزهر.
(١٢) مخلّق: مصنّع.
(١٣) ممنطق: عليه النطاق، وهو الحزام يشدّ به الخصر.
(١٤) برج الجدي: أحد البروج الجنوبية في السماء، والحمل، من البروج الشمالية.
(١٥) الثريا: مجموعة من الأنجم الصغار المجتمعة.
(١٦) الصنوج: المنخفض، والأوج: الأعلى، بخلافه.
(١٧) الآكام: التلال وما ارتفع من الأرض.
(١٨) مغبون: وقع عليه الغبن، أي الحيف والظلم.
(١٩) الرامق: الناظر بؤمة.
(٢٠) زبرجدي: منسوب إلى الزبرجد.

كافوريّ وعَسْجَدِيّ، إليّ يُنْسَب حُسْنُ العيون، وعندي يوجَد ضعفُ الجفون: [من المتقارب]

تَـنـافَـسُ فـيَّ نـفـوسُ الـكـرام إذا مـا أديـرت كُـؤوسُ الـمُـدام[١]
فأسْبي الجليسَ إذا ما حضرتُ بـلَحـظ الـفـتـاةِ وقَـدِّ الـغـلامِ

فأيقَظ لمباهَلتِه[٢] الأُقْحُوان، وقال: الآنَ آنَ ظهوري وحان؛ ما هذه العجرفةُ[٣] والتَّباهي! لقد نطقتَ بعجائب النَّواهي؛ وتالله ما صدقتَ سنَّ بكْرك[٤]، ولا امتاز عُرفُك من نُكْرِك، فبم تَتِيه[٥] على أقرانِك، وتتكبَّر على سُجَرائك[٦] وأخدانِك[٧]؟! أنسيتَ تنكيسَ رأسِك بين النُّدَماء، وإمساكَ رَمَقِك ببِلَّةٍ من الماء، وأنَّك لا تبيت إلَّا مُوثَقًا محبوسًا، ولا تُشَمّ إلا صاغرًا منكوسًا، ولا تُستخدَم إلَّا قائمًا، ويا سوءَ يومِك إذا أصبحتَ نائمًا؟! ألا عَطَفتَ عليَّ جِيدَ الالتفات، وأشرتَ إليّ بأحسنِ الصِّفاتِ، فقلتَ: لله دَرّك من زهرٍ كَمُلَتْ محاسنُه، وصفا مِن غَديرِه آسِنُه[٨]، وتبسّم عن مؤشر الثغور[٩]، وجمع فرعُه بين لونَي التبر والكافور؛ فتَتوَّجَ بالتيجان المشرقة المرصّعة بخلاصة النُّضار والرِّقَة[١٠]؛ ألم تعلم أنّي فوز المَغاني[١١]، ونزهةُ الراني، ومَباسم الغواني؟ لا يُحكم لشاعر بالإحسان، أو يَنْسُبَ إليّ حُسْنَ ثغور الحسان: [من الخفيف]

أنـا زهـر الـرُّبـا ونَـوْرُ الـرِّيـاضِ وعـيـون تـرنـو بـغـيـر اغـتـمـاض
لـن تـرانـي إلّا بـشـاطِـي غـديـرٍ بـاسـمًـا أو مـضـاحـكًـا لـحـيـاضِ

فشُقّ الشقيق عن زفير ووَجيب[١٢]، ولَدغه بحُمَة[١٣] لسانٍ مجيب، وقال: لقد تجاوزَت بنفسك مدى الحدّ، وضربتَ في افتخارك بكهام[١٤] فَليلِ الحدّ؛ أليس ندى الطّلّ يَزينُك، وإغبابُه[١٥] يَشينُك؟ ومتى نَضب غديرُك، بدا تغييرُك؛ ما أراك بغير

---

(١) المدام: الخمرة.
(٢) مباهلته: مفاخرته.
(٣) العجرفة: الكبر.
(٤) بكرك: جملك.
(٥) تتيه: تتكبّر وتختال.
(٦) سجرائك: أقرانك وأصحابك.
(٧) أخدانك: نظرائك وأمثالك ومن هم في حوزتك ومعك في خدن واحد.
(٨) آسنة: ما أسن منه وأنتن.
(٩) مؤشر الثغور: أي الأسنان فيها أشر وبياض وتحزيز.
(١٠) النضار: الذهب، والرقة: الفضّة.
(١١) المغاني: الديار الآهلة بالسكّان.
(١٢) وجيب: اضطراب واختلاج.
(١٣) الحمة: إبرة الهامة تلدغ أو تسلع بها.
(١٤) الكهام: السيف.
(١٥) إغبابه: غيابه، وانقطاعه بين الحين والآخر.

مضاهاة الثغور تفتخر، فهل هي على الحقيقة إلّا عَظم نَخِر؟ بل أنا نزهة الناظر، وبغية الحاضر؛ جسدي من قُضبان الياقوت، وفرعي من المسك المفتوت: [من المتقارب]

أفـوق إذا مِـسـتُ بـيـن الـريـا ض زهـوًا عـلى مائسات الـقـدودِ
وأفـضُـل لـونًـا وحُـسـنًـا إذا حضرتُ على حُسنِ لونِ الخدودِ

فمالت إليه الخُزامَى[١]، وكادت تميل به جِذابا والتزامًا؛ وقالت: «أسمع جعجعةً ولا أرى طِحنًا»[٢]، وقَعْقعةً[٣] ولا أنظر إلّا شَنًّا[٤]، لقد ارتكبتَ جَللًا[٥]، واستَغزرتَ غللًا؛ ما أقبحَ عاقبةَ العجل، وأقربَ الواثقَ من الخجل! حتّام تُنْبِض ولا تَرْمي[٦]، وإلام تومِض ولا تَهمي[٧]؟ أبكُمْتة[٨] لونك تفتخر، وبعظم كونك تشمخر[٩]، ألستَ الخشنَ الجِلدة، الدمويَّ البردة، البعيدَ عن محلّ التقريب والشّم، الطريدَ عن رتبة التقبيل والضّم؟ لكن أنا المَلْبَس المشار إليه، والعِطرُ المنصوص عليه، مُدحتُ بالطِّيب واللّون، وتُخُيّرتُ للتسربل والصَّون؛ وجُمِّعت منّيَ الحُلل، وتُوّجتْ منّيَ الكِلل[١٠]: [من الطويل]

فَضَلتُ على زهرِ الربيع برتبةٍ بها صَدق الراوون للشعر إذ قالوا
كأنّ الخُزامَى جُمِّعت لك حُلّةً عليك بها في الطِّيب واللّون سربالُ

فأنهضتْ لمعارضتها البنفسَج، وألْجَمَ[١١] جواد مناضَلتها وأسرَج[١٢]، وقال: يا ساكنةَ الشَّهْباء، لقد جئتِ بالداهية الدَّهياء، أضْبَحَ[١٣] الثعالب، وإرسالَ[١٤] الأرانب، ما يغني عنكِ وصفُ الشعراء، وأنتِ منبوذةٌ بالعَراء؛ بَعُدتِ عن محاسن أخلاقِ البريّة

---

(١) الخزامى: ضرب من الأزهار البرّية، لها رائحة ذكية.
(٢) «أسمع جعجعة ولا أرى طحنًا»، مثل يدل على كثرة الكلام لكن بدون فعل.
(٣) قعقعة: صوتًا. (٤) شنًّا: قربةً بالية.
(٥) جللًا: شيئًا عظيمًا.
(٦) تنبغي: تشد الوتر، ولا ترمي: لا تطلق السهم.
(٧) تهمي: تأتي بالمطر. (٨) الكمتة: الغبرة والكدرة.
(٩) تشمخر: تتباهى وتتكبّر.
(١٠) الكلل: جمع كلّة، وهي الستر الرقيق يوضع فوق الفراش ليمنع أذى الحشرات.
(١١) ألجم: جعل له اللجام: وهو الرسن والزمام.
(١٢) أسرج: جعل عليه السّرج، وهو يوضع فوق ظهر الجواد.
(١٣) الضبح: صوت الثعلب. (١٤) إرسال: ضرب من المشي.

وقَرُبتِ من مَراتع البهائم البَرّيّة؛ وحُرِمتِ بَرْدَ نَسيمِ العراق؛ وضَعُفَتْ ساقكِ عن حَمْل ساق، إنما أنا نزهةُ الأمصار، ومَسرّةُ الأبصار، وطِيبُ النّفوس، ورَبيبُ الكؤوس، المحمولُ على الرؤوس، المحبوبُ إلى الرئيس والمرؤوس، ذو العِرق الذكيّ والعَرف المِسكيّ: [من الطويل]

رئيسُ الرّياحين المُضيفُ بلونِه ... جَمالًا إلى وَردِ الخدود المضرَّجِ
إذا ما جِنان الأرض بالنَّوْر[1] زُخرفتْ ... فتعريفُها من طِيب زهر البنفسَجِ

فغضب لذلك جُوريّ الوَرْدُ[2]، ووثب لو استطاع وَثبةَ الوَرد[3]؛ ثم قال: أرِكزًا[4] كأحاديث الضَبُع، وزمجرةً[5] كزَمْجرة السَّبُع، ذَهب بك الشتاءُ وبَردُه، وشُغِل عنك الرّبيع ووَردُه، أطعتَ هوى النفس الأمّارة، ونطقتَ بحضرة الإمارة، وأنت لا تنقضي ساعتُك حتّى تَربدّ، ولا ينصرم يومك حتى تَذبل وتسوَدّ؛ ثم تستحيل أوراقُك، ويفارقك وَراقُك[6]، وتَشْعَث قِمّتُك، وتَنْزُر قيمتُك. أتُراك لولا قرصُ الخدود، هل كنتَ في الألوان بمعدود؟ أما علمتَ أنّي مدعوٌّ بالأمير المقدَّم والميمونِ المِقدام. أنا الزائر في كلّ عام، القادمُ بمسرّة الخاصّ والعامّ، لا تَشرُفُ الأيّام إلّا باسمي، ولا تفتخر الأجسامُ إلّا بمشابَهة جسمي، فبي يُفتَن النظر، وأنا السيّد المنتظَر. وإذا انقضت مدّتي، وقُضِيت عِدّتي، أقصدَتْني[7] حَنِيّة[8] الفُرْقةِ بسِهام الفَرَق، واستَولى عليّ والِي الحَرَق، فولّد تَلهّبي رشحًا من العَرَق، قام لهم مَقامي، وساوَى عندهم بين رِحلتي ومُقامي، يعرّض كلَّ وقت بذكرِي، ويُعرِّف لديهم نُكرِي، ويجدِّد عندهم شكري: [من الطويل]

أخلِّفُ نفسي عندهم بعد رِحلتي ... فسيّان قربي إن تأمّلتَ والبُعْدُ
وقد فَضّل الكِنْديُّ بي عند قولِه ... فإنّك ماءُ الوردِ إن ذهب الوَرْدُ[9]

---

(١) النّور: الزهر.
(٢) جوري الورد: الورد المنسوب إلى جور، قرب شيراز في فارس.
(٣) الورد: صفة للأسد، لونه كالورد. (٤) الركز: الصوت الخافت جدًا.
(٥) الزمجرة: الصوت القوي يحدثه الأسد حين يصوّت.
(٦) وراقك: سيماك وهيئتك. (٧) أقصدتني: رمتني بسهمها وأصابتني.
(٨) الحنيّة: القوس.
(٩) الشطر الثاني من هذا البيت، لأبي الطيب المتنبي، والكندي، صفة له، لأن ولد بمحلّة كندة في الكوفة. انظر البيت والقصيدة في: ديوان أبي الطيب المتنبي، ص ١٧٤، تحقيق وشرح عبد الوهاب عزام، دار الزهراء، بيروت ١٩٧٨.

ومن إنشاء المولى الفاضل تاجُ الدين عبدُ الباقي بنُ عبد المجيد اليمانيّ في شهور سنةِ ستٍّ وسبعمائة، رسالةٌ ترجمها (بأنوار السعد، ونُوّار المجد، في المفاخَرة بين النّرجِس والورد)، قال: الحمد لله الذي أضحك ثغورَ الأزهار، ببكاء عيون الأمطار، وأنطَق خطباءَ الأطيار، على منابر الأشجار؛ وعقد عليها من النُّوّار إكليلًا، وأمَر الغزالةَ[١] أن تَسُلّ عليها عند بروزِها من الإبريز[٢] سيفًا صَقيلًا؛ حَمَى حدائقها بأحداق نرجسِها، فنَمّ لسانُ النسيم بطيب نَفَسِها، أبدَع في تركيب حَلّها وعَقدِها، فثغور الأُقْحُوان تقبّل خدودَ وَرْدِها، خَلْخَلتْ سُوقَها[٣] فَضَلاتُ الجداول، واطّردت أنهارُها كالأَيْم[٤] وقد حُتَّ بأطراف العوامل[٥]، فحكَت المَباردَ متونًا، والحيّاتِ بطونًا؛ أحمده على نعمه التي تأرّجَ نَشْرُها، وبدا على جبين الدّهر بِشْرُها، حمدًا تخضَلّ من تَرادف سَيْبِها[٦] أغصانُه، وتُثْمِر بأنواع السعادة أفنانه؛ وأصلّي على سيّدنا محمد الذي عَطّر الكون مسكيُّ رسالته، ووطّد القواعد الشرعيّة مُرْهَفُ بَسالته؛ صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما تَوّجت الغمائم رؤوسَ الرُّبا، وسَحَب ذيلَ الصَّبا على أزهار روضِها مَهبُّ الصَّبا[٧]؛ وبعد، فإنّ أَولى ما وقعت المفاخَرةُ بينَ غصنين نشأ في جَنّه، وبارقتين تألّقتا في دُجُنّة[٨]، وزهرتين تفتّحتا في كِمامَه، وقطرتين صدرتا من غمامَه؛ ولمّا كان النرجسُ والوردُ قَريعيْ[٩] هذه الصِّفات، وقارعَي هذه الصَّفاة[١٠]، تطاوَل كلٌّ منهما إلى أنّه النّديم، والخلّ الّذي لا يملّه الحميم، طالما عَطّر بنشره الأكوان، وغازل بعيونِه الغِزلان؛ وأنارت شموس سعودِه، وقُبِّلت حُمرةُ خدودِه؛ أحببتُ أن أقيمَهما في موقف المناضَلة[١١]، وأشخِّصهما في مَعْرِض المفاضَلة، ليبرهن كلٌّ منهما على ما ادّعى أنّه في وِطابه[١٢]، ويبديَ شعائر ما تَقلّده وتَحلّى به، فبالامتحان يَظهَر الزَّيْف، ولا يُقْبَل الحَيْف[١٣]، فعندها حَدّق النرجسُ بأحداقه، وقام على قصبة ساقِه، وتهيّأ لمناضَلة

---

(١) الغزالة: الشمس.
(٢) الإبريز: الذهب الخالص، واللفظة يونانية.
(٣) خلخلت سوقها: جعلتها مخلخلة هشّة، والسوق، جمع ساق.
(٤) الأيم: الحيّة.
(٥) العوامل: جمع عامل، وهو صدر الرمح، دون السنان.
(٦) سيبها: عطائها.
(٧) الصبا: ريح شرقية.
(٨) دجنة: ظلمة.
(٩) قريعي: صاحبي، والمقارعة: المضاربة والمنافسة.
(١٠) الصفاة: الحجر أو الصخرة الملساء.
(١١) المناضلة: المقارعة والمحاربة.
(١٢) وطابه: سقاء لبنه.
(١٣) الحيف: الظلم.

خَصمِه، وشرع يُبدي شرائع حُكْمِه؛ وقال: أشبهتُ العيونَ وأشبهتَ الخدود فلا فَرْق، ولقد علمتَ ما بينهما مِثْلَ ما بين القَدم والفرق[١]؛ فأنا حارسُ مجلس الشراب، والنديمُ المعوَّل عليه بين الأحباب، تَسمَّيتُ بأحسن الأسامي، فلستَ لي بمُسامِي[٢]؛ تَسمّت بي الحسان، ومِستُ[٣] في حُللٍ مصبّغات الألوان؛ ولو اعتبرتَ بحمرة خجلك، وتشقيقِ جيوب حُللك، ما قمتَ في موقف المُفاخِر، ولا فهتَ ببنت شفة في مَعْرِض المَفاخِر، فتَضرّج خدُّ الورد حُمره، وأوقدَ من الغيظ لمناضَلته جمرَه؛ وقال: مُتْ بداء الحسد فقد عَلاك اصفرارُه، وأين منك الطّرْف[٤] كما ادّعيتَ ولم يَبدُ عليك احورارُه[٥]؛ صدقتَ، ولكن أنت أشبه بالعين المخصوصةِ باليَرَقان والصفرةِ المنوطةِ بالأَيْهُقان[٦]؛ فلقد عَشَتْ عيونُك السقيمةُ من أشعّة شُموسي ووقفتَ على قَصَب ساقِك حيث استقرّ كرسيُّ جلوسي؛ فأنا دائرةُ الجمَال، المشتملةُ على قُطب الكمال، ربّتني الدراريُّ بدَرّها، وقلّدتْني نفيسَ دُرّها، فنَشرتُ أعلامي العقيانيّةِ على زُهَرتها، وأشبهتُ شكلها وحُسنَ زَهرتِها؛ فهزّ النرجسُ رماحَه الزبرجديّة، فتلقّاها الورد بحجفته الذهبيّة[٧]؛ وقال: أردد هذه العقودَ النفيسةَ إلى هَواديها[٨]، فقد عَلِم كَذبَك حاضرُها[٩] وباديها[١٠]؛ والطِم خدودَك حزنًا على فَوات مَقامي وقصورِك عن بلوغ مَرامي؛ من أين لك مَداهنُ دُرٍّ حشوُهنّ عَسْجَد؛ لستُ أبالي بنَفَسِك تَصوّبَ[١١] أمّ تصعّد؛ أما تراني قد نُشرتُ على رماحٍ من زبرجدٍ طالما حَرستْ حِمى الرّياض، ولبستُ أحسنَ اللّباس وهو البياض؛ وقمتُ خطيبًا على منبر الصّين وقُلِّدتُ إمرةَ الرّياحين؟ فأنا ناظر هذا الفضل، وناظر هذا الفصل؛ سبقتُك إلى الوجود مكانًا أعدمَ مكانَك، ولم يَرضَ زماني يجاورُ زمانَك، لَبثُك على وجه البسيطةِ قليل، وحالُك ـ كما علمتَ ـ ليس بالجليل؛ تتَلوّن كما يتلوّن الغُول[١٢]، من أحمرُك وأصفرِك وأبيضِك المملول؛ فلقد رماك ابنُ الروميّ بسهام هجائه،

---

(١) الفرق: أي فرق الشعر في الرأس.
(٢) مسامي: مناظر ومماثل في الرفعة والسموّ.
(٣) مست: اختلّت وتمايلت.
(٤) الطرف: العين.
(٥) احوراره: شدّة بياضه، وسواده.
(٦) الأيهقان: ضرب من الأعشاب، لها ورق عريض وزهر أحمر.
(٧) جحفته الذهبية: ترسه ومجنّه الذهبية.
(٨) هواديها: جمع هادٍ، وهو المتقدم، والعنق، والنصل، وأوّل ما يطلع من الإبل.
(٩) حاضرها: من يعيش في الحاضرة.
(١٠) باديها: من يقيم في البادية.
(١١) تصوّب: تنحدر.
(١٢) الغول: حيوان أسطوري، وأنثاه السّعلاة.

وجعلَك عرضةً لنوائب الدهر ولأوائه[١]؛ حيث قال: [من البسيط]

كأنّه سُرْمُ[٢] بغلٍ حين يُخرِجه إلى البِراز وباقي الرَّوْث[٣] في وَسَطه

وحيث مدحني وقال: [من الكامل]

أين العيونُ من الخدود نَفاسةً وَرأسةً لولا القياسُ الفاسدُ

فمِثلُ هذه المَسَبّة لا يضمحلّ أثَرُها، ولا ينقطع خبرُها؛ ولله دَرّ القائل: [من السريع]

النرجِس الغضُّ له رتبةٌ أشبهُ شيء بالعيون المِراضْ
قام على قُضبانِه مبديًا فَخارَه المشهودَ بين الرياضْ

ولو لم أُغْمِض عن مَساويك عيني، وأترك للصلح موضعًا بينك وبيني؛ لكنتُ أبديتُ أضعافَ مَساويك، لأني في الرتبة غيرُ مُساويك؛ فعندها اشتَعل الورد من كَلامِه، وظهر على جسدِه أثرِ كلامِه؛ وقال: لقد تَعدّيتَ طَورَك وستعرف جَورَك وكَوْرَك[٤]؛ ولكن قِحَة[٥] العيون مخصوصةٌ بالأنذال، والتجرّي على الملوك من شعائر الجهّال، فأنا سلطان الرياحين، وبذلك وُقِّع لي في سائر الدواوين؛ كأنّني وجنةُ حِبٍّ وقد نقّطتْ بدينار، أو أناملُ خَوْد[٦] عَنْدَمِيةٍ[٧] ضُمّت على قُراضةِ نُضار[٨]؛ أشبهتُ الشموسَ شكلًا، وفقتُ البدور مثلًا؛ أُنظَم كما تُنظَم العقود، وأصِل كما يصل الحبيب بعد الصدود، وأمّا افتخارك بالحِراسة فهي محلُّ الأسقاط، والوظيفةُ المنوطةُ بالأنباط[٩]؛ وأمّا كونُك سبقتني فهو على حُكم الحَجَبة؛ والمبشّر بوصولي وإن كان أَضْمَر بغضَه لا حُبّه؛ فلمّا عَلم أوان حَطّ رحالي حَثّ رِحالَه، وأشاع في أصحابه ارتحالَه؛ وقال: قد أظلّنا وصولُ مَلِكٍ لا يجارَى، ورئيسٍ لا يُبارَى؛ وأين زمانك من زماني، ومكانُك من مكاني؟ لا أظهر إلا والثّرى قد اكتَسَى سندسيَّ أديمه[١٠] وفاح مسكيُّ نسيمِه، وخَطبتْ أطيارُه، واخضلّت أزهارُه، وصَدحتْ بلابلُه، وتأرّجت

---

(١) لأواء الدهر: شدائده.
(٢) السرم: فتحة الدبر، أو هو ثقب الدّبر.
(٣) الروث: البراز من الحيوان وخرؤه.
(٤) كورك: ادّعاءك وكبرك.
(٥) القحّة: الوقاحة والخسّة.
(٦) الخود: الفتاة الناعمة الحسناء.
(٧) عندمية: فيها لون العندم، وهو ضرب من النبت الأحمر.
(٨) قراضة نضار: ما يتفتّت من الذهب عند صياغته وصقله.
(٩) الأنباط: جنس من الشعوب، يقال لهم النّبط.
(١٠) أديمه: جلده.

خمائلُه[١]؛ واطّردت أنهارُه، وتعانقتْ أغصانُه وأشجارُه، بزغتْ شموسي في فَلَك غِياضِه[٢]، وتَكلّل خدّي عَرَقًا من أنداءِ رياضه؛ فأنا بينها الطِّراز المذهَّب، والمَلِك المعظَّم المهذَّب؛ إذا برزتَ في لياليك المُعتِمة، وظهرتَ في أراضيك المُقْتِمة؛ وسهرتْ عيونُك في ليل شتائك، وقاسيتَ بَرْدَ مائك وطولَ عَنائك؛ ولكَم بين الشتاء والربيع، كما بين الرئيس والوضيع؛ يا جبليَّ الطباع، لقد صرتك رياحي، وصَفّرتْ عينَك حُمرةُ خمرة ارتياحي؛ وأمّا ثَلْبُك[٣] بِقصَر مُدّتي، وسرعةِ بلى جِدّتي؛ فدليلٌ على عدم عقلِك، وسقوط معقولِك ونَقْلِك، أما علمتَ أنّ المكثر للزيارة مملول، وعَقدُ وُدّه محلول؛ لو بقيت الشمسُ على الدوام، لملّتها أنفُس الأنام، ولك بذلك عِبره، وأنت في هذا الموطن من أهل الخبره؛ لمّا أقمتَ مَلّك الناشق، ولم يعرّج عليك العاشق؛ ولقد عجبتُ من رَقاعةِ عَصَبتْ رأسَك بالحماقة، وادّعيتَ شبهَ العيون وأنت أشبهُ شيءٍ بصُفرةِ بَيض على رُقاقه؛ أن ذهبتْ عينك لم يَبق لك أثر، كلّا ولا يوجد لمجدك خَبَر؛ لكن أنا إن ذهبتْ عيني فأثري على أردان الأماجد يفوح، وعلى ممرّ الأعصُر يغدو ويروح، فأنا أثرٌ بعدَ عين، فدع عنك التحلّي بالمَيْن[٤]؛ ولله درّ القائل: [من البسيط]

يا حَبّذا الورد مذ حيّا[٥] بطلعته	وعَطّر الأفق منه نشرُه العَبِقُ
كالشمس شكلًا ونشرِ المسك رائحةً	وللؤلؤِ الرَّطب في تضريجه[٦] عَرَق

فعَميتْ عيون النرجس من بزوغ أنواره، ونُكستْ أعلامُه الزبرجديّة لنضارة نُوّاره؛ فعندها قال الورد: هذه الشقراء[٧] والمَيْدان، إن كانت لك خبرة بمبارزة الأقران[٨]؛ فلمّا أورده لظى الحرب، ولم يكن من رجال الطَّعن والضَّرْب، وألزمه الحجّة، وعرّفه المَحَجّة[٩]، وبان بهرَجُه من إبريزه[١٠]، وتَحقق موادَّ تبريزه؛ دمعت عينه أسفًا، على ما أبداه من الجفا؛ ثم قال: ما أنا أوّل من بحث بظِلفِه عن حَتْفِه وجَدَع[١١] مارن[١٢] أنفه بكفّه؛ لقد قيل: عادت السعادات، سادات العادات؛ وعادة

(١) خمائله: جنائنه وأشجاره.
(٢) غياضه: أراضيه ومجتمع الشجر في مغيض الماء. والغياض: الآجام.
(٣) ثلبك: عيبك.
(٤) المين: الكذب.
(٥) حيّا: سلّم.
(٦) تضرجيه: تشقيقه.
(٧) الشقراء: صفة للفرس.
(٨) الأقران: النظراء والأمثال.
(٩) المحجّة: الطريق الواسعة.
(١٠) إبريزه: ذهبه الخالص.
(١١) جدع: قطع.
(١٢) مارن أنفه: أعلاه.

المَلِك ـ أدام الله انهمار السُّحُب على خمائله الذهبية، وأطلَع في فَلَك الاعتلاء أنواره الشمسيّة ـ الصفحُ عمّن كثر ندمه، وزلّت قدمه؛ ومَن نشرَ أعلام الاستغفار، خليق أن يُقبَل منه ما يبديه من الاعتذار؛ وما أنا أوّل من هفا ولا أنت أوّل من عفا؛ ليت شعري، أين حياؤه من وقاحتي، وأين رشاقته من كثافتي؛ الخَفارة لائحةٌ عليه، وأمور الرّياحين تساق إليه، فعندها قال الورد: من شأننا الصفحُ عما أتيتَه، فقد جنيتَ ثمار الندم بما جنيتَه، فكن قرير العين، ولا تعد لمثلها فالمؤمن لا يُلْدَغ من جُحْر مرتين؛ واحذر أن تطاوِل من هو أعلى منك مَحلّة وأبهجُ في ارتداء السيادة حُلّة؛ والآن فقد تَولّد من بياضك وحُمرتي اجتماع، والتأم شعث أمرنا بعد أن طار شَعاع[١]؛ أما علمت أنّ الامتحان، يظهر رتبة الإنسان؛ ومن سعادة جَدِّك[٢]، وقوفُك عند حدِّك؛ فكن لما قلتُه بالمرصاد، وإن عدت لمثلها فترَقَّب أوّل النحل وآخِرَ صاد[٣]؛ ونسأل الله تعالى أن يهديَنا إلى الرَّشَد، وأن يذهب عنا ضغائن[٤] الحسد؛ بمنّه وكرمه، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير.

وأمّا النَّسْرين[٥] وما قيل فيه ـ فقال الشيخ الرئيس أبو عليّ بنُ سينا: طبع النسرين حارٌّ يابس في الثالثة، وهو منقٍّ ملطِّف، وزهره أخَصُّ بذلك، وينقع من برد العَصَب، ويقتل الديدان في الأذن؛ وينفع من الطَّنين والدّويّ، وينفع من وجع الأسنان، والبرّيّ تُلطَخ به الجبهةُ فيسكِّن الصُّداع، وهو يفتّح سُدُدَ المَنْخَرَين، وإذا شُرِب مع أربع دَرْخَمَيَات[٦] سَكّن القيء، ويسكّن الفؤاق[٧] وخصوصًا البَرّيَّ منه؛ والله أعلم.

وأمّا ما جاء في وصفه ـ فقال شاعر منشدًا: [من السريع]

أكْرِمْ بِنِسْرينٍ تُذيع الصَّبا[٨] ... من نشره مسكًا وكافورا
ما إن رأينا مِن قَبلِه ... زبرجدًا يُثمر بَلُّورا

وقال آخَر: [من مجزوء الكامل]

أُنظر لِنِسرينٍ يلو ... ح على قضيب أملَدِ[٩]

---

(١) شعاع: متفرق.
(٢) جدّك: حظك.
(٣) صاد: عطشان.
(٤) ضغائن: أحقاد.
(٥) النسرين: ضرب من الزهور البيض.
(٦) درخميات: ضرب من المعايير.
(٧) الفؤاق: ما يأخذ المحتضر عند النزاع. وطبيًا: ترجيع الشهقة العالية.
(٨) الصبا: الريح، ريح الشرق خاصة.
(٩) أملد: ناعم.

كـمَـداهـنٍ مـن فـضّـةٍ فـيـهـا بُـرادةُ عـسـجـدِ[1]
حيّتك من أيدي الغصو ن بـهـا أكُـفُّ زبـرجـدِ[2]

وقال عبدُ الرحمٰن بنُ عليّ النحويّ: [من الخفيف]

زان حُسنَ الحدائق النّسرينُ فالحِجا[3] في رياضه مفتونُ
قد جرى فوقه اللُّجين[4] وإلّا فهو من ماء فضّة مدهونُ
أشبهته طُلَى[5] الحسان بياضًا وحوته شبهُ القُدود غصونُ

وقال آخر فيه مُلغِزًا: [من الوافر]

ومشموم له عَرف[6] ذكيٌّ وفي تصحيفه[7] بعضُ الشُّهورِ
إذا أسقطتَ خمسَيه تراه عِيانًا في السماءِ وفي الطّيورِ
وأوّله وآخِره سواءٌ وباقيه يَشِحّ[8] به ضميري

وأمّا البان[9] وما قيل فيه ـ فقال أبو عليّ بن سينا في ماهية البان: حَبّه أكبر من الحِمَّص، إلى البياض، وله لُبٌّ ليّن دُهنيّ؛ وطبعه حارّ في الثالثة، يابسٌ في الثانية. وقال: إنه منقٍّ، خصوصًا لُبّه، يقطع الأخلاط الغليظة، ويفتّح مع الخَلّ والماء سُدُدَ الأحشاء. قال: وقشره قابض، ولا يخلو دُهنُه من قبض وفي جميعِه جِلاءٌ وتقطيع؛ وحَبُّه ينفع من البَرَش[10] والنَّمَش[11] والكَلَف والبَهَق[12] وآثارِ القُروح وكذلك دُهنه. قال: وينفع من الأورامِ الصُّلبة كلّها إذا وقع في المراهم، ومن الثّآليل، وهو بالخَلّ ينفع من التقشّر والجَرَب المتقرّح والبُثُور اللّبَنيّة، وهو يسخُن العَصَب، ويليّن التشنّج وصلابات العَصَب، وخصوصًا دُهنُه. قال: وينفع من الرّعاف لقبضه، ودُهنه يوافق وجعَ الأذن والدويَّ فيها، خصوصًا مع شحم البطّ؛ وطبيخ أصله ينفع من وجه الأسنان مضمضة، وهو ينفع من صلابة الطِّحال والكبد إذا شُرِب بخلٍّ ممزوج وزن

(١) عسجد: ذهب.
(٢) زبرجد: حجر كريم مختلف الألوان.
(٣) الحجا: العقل.
(٤) اللجين: الفضّة.
(٥) طلى: أعناق.
(٦) عرف: رائحة.
(٧) تصحيفه: قلب حروفه.
(٨) يشحّ: يضنّ ويبخل.
(٩) البان: ضرب من الشجر الكريم يقال له الخلاف، يؤخذ منه صمغ جيّد.
(١٠) البرش: ضرب من الأمراض الجلدية يصيب الوجه خاصة.
(١١) النمش: بثور تنتشر في الوجه لونها يخالط سائر لون الوجه.
(١٢) البهق والكَلَف: بياض يعتري الجلد.

درهمين منه؛ والمثقالُ من حَبِّه يُسهل بلغمًا خامًا إذا شُرِب بالعسل، وكذلك دُهنُه إذا احتُملتْ فتيلةٌ مغموسةٌ فيه.

وأمّا ما جاء في باكورة الخِلاف[١] ـ قال شاعر: [من المنسرح]

أوّلُ ثغر الربيع مبتسِمًا ... نَور[٢] خِلافٍ درٌّ مَضاحكُه
قضبانُه القانئات في لُمَعٍ ... من لؤلؤ وُضحٍ مَسالكُه
بشيرُ صدق جاء الربيع به ... يخبر أن زُيِّنت مَمالكُه

وقال آخر: [من مخلع البسيط]

عُود خِلافٍ أتى وفاقًا ... من المَلاهي بلا خِلافِ
مرصّعٌ قشرُه بنَورٍ ... أُلِّف من لؤلؤ وِلافِ[٣]

وقال أبو عُبادة البحتريّ: [من الكامل]

هذا الرّبيع كأنّما أنوارُه ... أولادُ فارسَ في ثياب الرومِ
وترى الخِلاف كشارب من قهوة[٤] ... تَمِلِ إلى شرب المدامةُ يُومِي
بَسَط البسيطة سندسًا وتبرقعت ... قلل المياه بلؤلؤ منظومِ

وقال مؤيّد الدّين الطُّغرائيّ: [من المتقارب]

غصون الخِلاف اكتست فانبرَتْ ... لها الطّير دارسةً شدوَها
مقدِّمةً لوُرود الربيـ ... ـع تشخص أبصارنا نحوَها
أحسّت برحلة فصلِ الشتا ... فجاءت وقد قَلَبتْ فَروَها

وقال آخر، وهو شهاب الدين أحمد، عُرف بأبي جَلْنَك الحلبيّ: [من الرجز]

لله بستانٌ حللنا دَوْحَه ... في لذّةٍ قد فَتَّحتْ أبوابَها
والبان تحسَبه سنانيرَ[٥] رأت ... بعضَ الكلاب فنَفّشتْ أذنابَها

---

(١) الخلاف: البان.
(٢) نور: زهر.
(٣) الولاف: اللامع بصورة متتابعة.
(٤) القهوة: الخمرة.
(٥) سنانير: جمع سنّور، وهو الهرّ.

وكتب الصاحبُ بنُ عَبّاد ـ وقد أهدَى باكورةَ خِلاف ـ قد نَوّرتْ لتنوير الخلاف فضائلُ لا تحصَى، ومحاسن يطول أن تُستقصَى؛ منها أنّه أوّل ثغر يبتسم عند الربيع ويَضحك، ودرّ يُعقَد على القُضبان ويُسلك؛ ولتمايله اذكار لقدود الأحباب، وتهييج لسواكن الاضطراب؛ وحُمل إليّ قضيب منه ذاته متعادله، ولذّاته متقابله، فأنفذتُه مع رقعتي هذه إليك، وسألت الله أن يعيده ألفَ حول عليك. قال، وقلت: [من الخفيف]

وقضيبٍ من الخِلاف بديعٍ ... مستخَصٍّ بأحسن الترصيع
قد نَعَى شِرّةَ[1] الشتاء إلينا ... وسعى في جِلاء وجه الربيع
وحكى مَن أُحبُّ عَرفًا وظَرفًا ... واهتزازًا يثير نار الضلوع

وأمّا النَّيْلَوْفَر وما قيل فيه ـ فقال ابن التلميذ: النَّيْلَوْفَر اسم فارسيّ معناه النيليّ الأجنحة، والنيليّ الأرياش. وربما سمّي بالفارسية اسمًا معناه كرنب الماء؛ وسمّاه جالينوس: كرنب الماء؛ وحَبّه يسمّى حَبَّ العروس، وفيه حلاوة. وقال أبو بكر بن وحشيّة في توليده: إن أخذتم ظِلفَي الغزال من يديه، وقرنيه جميعًا، وطمرتم ذلك في التراب النديّ، خرج من ذلك النباتُ الذي يسمّى شاكريًا، وهو النَّيْلَوْفَر، وقال أيضًا: وإن أخذتم عيني الغزال وقرنيه وظِلْفًا واحدًا من يديه، وطمرتم ذلك في التراب، خرج منه الشاكريا الأزرق؛ فإن طمرتم ظِلفيه من رجليه وقرنَه الأيسر مع كفّ من بعره، خرج منه الشاكريا الأحمر؛ فإن نقصتم من هذا أحدَ ظِلفي رجليه، خرج الشاكريا الأصفر. قال: والهندُ تسمّيه نِينَوفَر، والنَّبَط تسمّيه نِيلَوفَريا، والعرب تسمّيه نِيلَوفه، والفُرس تسميه نِيلُوفَر.

وقال الشيخ الرئيس أبو عليّ بن سينا: والنَّيْلَوْفَر الهنديّ في حُكم اليَبْروح، وأقواه الأبيض الأصل؛ وبِزره أقوى من حَبّه. قال: وطبعه بارد رَطْب في الثانية؛ وشرابُه شديد التطفئة، ملطِّف جدًّا، وأصله بالماء على البَهَق نافع خصوصًا الأسْوَد، وأصله مع الزفت على داء الثعلب، وخصوصًا الأسود؛ وشرابه جيّد للسُّعال والشَّوْصَة[2]. قال: وأصله ينفع من الأورام الحارّة؛ وأصله وبِزره للقُروح، وأصله ينفع أورام الطِّحال شربًا وضِمادًا، وينفع الاحتلام، ويَكسِر شهوة الباه إذا شُرِب منه

---

(١) شرّة: سورة وقسوة وطفرة.
(٢) الشوصة: ضرب من الأورام أو الأرياح في الضلوع.

درهم بشراب الخَشْخَاش[١]؛ وهو يُجمِد المنيّ بخاصيّة فيه، وخصوصًا أصلَه، وهو منوّم، مسكّن للصّداع الحارّ الصفراويّ، لكنّه يُضعف؛ وأصله ينفع من الإسهال المزمن وقُروح المِعَى وأوجاع المَثانةِ ضِمادًا؛ وبِزره أقوى في كل شيء، حتى إنه يَمنع نَزَف الحيض؛ وأصل الأصفر منه وبرزُه إذا شربا نفعا سيلان الرطوبة المزمنة من الرحم؛ وشرابه مليّن للبطن، نافع من الحميّات الحارّة، شديد التطفئة، والله المستعان.

وأمّا ما جاء في وصفه ـ فقال أبو بكر الزُّبيديُّ الأندلسيّ: [من السريع]

وبِركـةٍ أحـيـا بـهـا مـاؤهـا ... مـن زهـرهـا كـلَّ نـبـات عـجـيـبْ
كـأنَّ نَـيْـلَـوْفَـرهـا عـاشـق ... نـهـارَه يَـرقُـب وجـهَ الـحـبـيـبْ
حـتـى إذا الـلـيـل بـدا نـجـمُـه ... وانصرف المحبوب خوف الرقيبْ
أطبَقَ جفنيه عسى في الكرى[٢] ... يـبـصـر مـن فـارقـه عـن قـريـبْ

وقال آخَر: [من السريع]

يـا حـبّـذا بِـركـةُ نـيْـلَـوْفَـرٍ ... قد جَمّعت من كلّ فنّ عجيبْ
أزرقَ فـي أحـمـرَ فـي أبـيـضٍ ... كقَرصة في صحن خدّ الحبيب
كـأنّـه يَـعْـشَـق شـمـس الـضُّـحـى ... فانظره في الصبح وعند المَغيب
إذا تـجـلَّـت يـتـجـلّـى لـهـا ... حـتـى إذا غـابَ سَـنـاهـا يـغـيـب
يـرنـو إلـيـهـا مـبـصـرًا يـومَـه ... ولا يـحـاشِـي نـظـراتِ الـرقـيـب
لا يَبتغي وجهًا سوى وجهِها ... فِعلَ محبّ مخلص في حبيب

وقال التَّنُوخيّ: [من الكامل]

فكأنّه في الماء صاحبُ مذهب ... أغراه وِسواس[٣] بأن لم يَطهُرِ

وقال آخر: [من مجزوء الخفيف]

كـلّـنـا بـاسـط الـيـد ... نـحـو نَـيْـلَـوْفَـرٍ نـدي
كـدبـابـيـسِ عـسـجـدٍ ... نُـضْـبُـهـا مـن زبـرجـدِ

(١) الخشخاش: نبات عشبي من فصيلة الخشخاشيات يحمل أكوازًا بيضًا وهو منوّم مخدّر.
(٢) الكرى: النوم.
(٣) الوسواس: مرض يحدث من غلبة السّوداء ويختلط معه الذهن.

وقال آخَر: [من السريع]

إشـرب عـلى بِـركـة نَـيْـلَوْفـرٍ مـحـمـرّةِ الأوراق خـضـراءِ
كـأنّـمـا أزهـارُهـا أخـرجـتْ ألـسـنـةَ الـنـار مـن الـمـاءِ

وقال آخَر: [من المتقارب]

ونَـيْـلَوْفَـر صـافـحـتْـه الـريـاح وعـانـقـه الـمـاء صـفـوًا ورَنْـقـا[١]
تَـخـيَّـلُ أوراقَـه فـي الـغـديـ ـر ألـسـنـةَ الـنـار حـمـرًا وزُرقـا

وقال آخَر: [من المنسرح]

صـفـرُ الـمـداري تـضـمّـهـا سَـرَق مـفـتـضِـحٌ عـنـد نَـشـرِهـا الـعـطِـرُ
تَـحْـمِـلـهـا خَـيْـزُرانـة[٢] ذَبُـلـت ذبـولَ صـبّ أذابـه الـهـجـرُ

وقال ابنُ الروميّ: [من الكامل]

يـرتـاح لـلنَّـيْـلَوْفَـر الـقـلبُ الـذي لا يـسـتـفـيـق مـن الـغـرام وجَـهـدِهِ
والـوَرد أصبـح فـي الـروائـح عـبـدَه والـنـرجـس الـمِـسـكـيّ خـادمُ عـبـدِه
يـا حـسنَـه فـي بِـركـة قـد أصبـحـت مـحـشـوّةً مـسـكًـا يـشـاب بـنَـدِّهِ[٣]
وكـأنّـه فـيـهـا وقـد لَـحَـظ الـصَّـبـا ورمـى الـمَـنـام بـبُـعـده وبـصَـدّه
مـهـجـورُ حـبٍّ ظَـلّ يـرفـع رأسَـه كـالـمـسـتـجـيـر بـربّـه مـن ضـدّه
وكـأنّـه إذا غـاب عـنـدَ مَـسـائـه فـي الـمـاء فـأنـحـجـبـت نَـضـارة قَـدّه[٤]
صـبّ يـهـدّده الـحـبـيـب بـهـجـره ظُـلـمًـا فـغـرَّق نـفـسَـه مـن وجـدِهِ

وقال مؤيِّد الدّين الطُّغْرائيّ: [من الطويل]

ونَـيْـلَوْفَـرٍ أعـنـاقُـه أبـدا صُـعْـر كـأنّ بـه سُـكـرًا ولـيـس بـه سُـكْـرُ
إذا انـفـتـحـتْ أوراقُـه فـكـأنّـهـا وقـد ظهـرت ألـوانُهـا الـبِيض والـصُّـفرُ
أنـامـلُ صـبّـاغ صُـبِـغـن بـنِـيـلِهِ وراحـتُـهـا[٥] بـيـضـاء فـي وَسْـطـهـا تـبرُ

(١) رنقًا: كدرًا.
(٢) الخيزرانة: كل عود ليّن، والخيزرانة: الفتاة اللينة كالخيزران.
(٣) الندّ: ضرب من العود يتبخّر به، طيّب الرائحة.
(٤) قدّه: قوامه. (٥) راحتها: كفّها.

وقال السّريّ الرّفّاء: [من السريع]

وبِـركـةٍ حُـفّـت بِـنَـيْـلَوْفَـرٍ ألـوانُـه بـالـحُـسـن مـنعـوتـهْ
نـهـارَه يـنـظـر عـن مـقـلة سـاجـيـةِ الألـحـاظ مـبـهـوتـهْ
وإن بـدا الـلـيـل فـأجـفـانُـه في لُجّة البِـركة مـسبـوتـهْ[(١)]
كـأنّـمـا كـلُّ قـضـيـب لـه يَـحْـمِـل فـي أعـلاه يـاقـوتـهْ

وقال آخر: [من السريع]

وبِـركـةٍ تـزهـو بِـنَـيْـلَوْفَـرٍ نـسيمُه يـشبـه نـشرَ الـحبيبْ
مـفـتَّـحِ الأجـفـان فـي يـومِـه حتى إذا الشمسُ دنت للمَغيبْ
أطـبَـق جـفـنـيـه عـلى حِـبّـه وغاص في البِركة خوفَ الرقيبْ

وقال آخَر: [من الوافر]

تحبُّ الشمسَ لا تبغي سواها وتـلحـظـهـا بـمـقـلة مـسـتـهـامِ
إذا غـابـت تَـكـنَّـفَـهـا اشـتـيـاقٌ فـنـامـت كـي تَـراهـا فـي الـمـنـامِ

وقال الرّفّاء: [من المنسرح]

يـا حُـسـنَ نَـيْـلَوْفَـرٍ شُـغِـفـتُ بـه يـمـنـحـه الـمـاء صـفـوَ مـشروبـهْ
كـأنّـه عـاشـق بـه ظـمـأٌ تَـوهَّـمَ الـمـاءَ ريـقَ مـحـبـوبـهْ

وقال آخَر: [من البسيط]

وشاخصٍ نحوَ عين الشمس يَرمقُها حتى إذا غَرَبتْ أغضَى[(٢)] بتنكيسِ[(٣)]
تَراه من قِطَع المَرجان في قُضُب زرقِ الشوابير[(٤)] أمثالِ الدّبابيسِ
كـأنّـه ودُروعُ الـمـاء تَـشـمَـله تحت الشُّعاع أكاليلُ الطَّواوِيسِ

وقال آخَر: [من الطويل]

ونَـيْـلَوْفَـرٍ قـد لاح فـي زِيٍّ فـاقـدٍ حـبـيـبًـا فـمـنـه يـسـتـعـيـر لـبـاسَهُ

---

(١) مسبوتة: نائمة.
(٢) أغضى: أظلم أو سكت وصبر، وأقفل عينيه.
(٣) تنكيس: إغفاء، وقلب.
(٤) الشوابير: ضرب من الثياب، والمفرد شابور وشوبر.

يَظَلّ نهارًا شاخصَ الطّرف لاحظًا ويَغْمِس جنحَ الليلِ في الماء رأسَهُ
كأنَّ عليه للظَّلام مراقبًا فيَهربُ منه أو يَخاف اختلاسَهُ

وقال مؤيّد الدّين الطُّغرائيّ: [من السريع]

نَيْلَوْفرٍ يَسْبَح في لُجّةٍ[1] عليه ألوانٌ من اللُّبْسِ
مُظاهِرٌ ثوب حِدادٍ على ثوبِ بياضٍ عُلَّ بالوَرْسِ[2]
فالشّطر من أعلاه في مأتَمٍ وشَطره الأسفلُ في عُرسِ
مغمَّضٌ طُولَ الدّجى ناعسٌ جفونُه تُفتَحُ في الشمسِ

الباب الثاني
من القسم الثالث من الفنّ الرابع
فيما يُشمّ رَطْبًا ولا يُسْتَقْطَر

ويشتمل هذا البابُ على ما قيل في البنفسَج والنرجِس والياسَمِين والآس والزعفران والحَبَق.

فأمّا البنفسَج وما قيل فيه ـ فقال الشيخ الرئيس أبو عليّ بنُ سينا: طبعُ البنفسَج باردٌ رَطْب في الأُولى. وقال قوم: إنه حارٌّ في الأُولى. قال: ولا شكَّ في برودته.

وأمّا أفعاله وخواصّه، فقيل: إنه يولِّده دمًا معتدلًا؛ وهو يسكِّن الأورامَ الحارّةَ ضِمادًا مع سَوِيق الشعير؛ وكذلك ورقُه. قال: ودُهنُ البنفسَج طلاءٌ جيّدٌ للجرب؛ وهو يسكِّن الصُّداع الدّمويَّ شَمًّا وطِلاء. قال: وينفع من الرَّمَد الحارّ ومن السُّعال الحارِّ، ويليّن الصّدر، خصوصًا المربَّى منه بالسكّر؛ وشرابُه نافع من ذات الجَنْب[3] والرِّئة والتهاب المعدة؛ وشرابه ينفع من وجع الكُلَى؛ ويابسُه يُسْهِل الصفراء؛ وشرابُه أيضًا يليِّن الطبيعةَ برفق.

(١) اللجّة: معظم الماء.
(٢) الورس: ضرب من النبت الأصفر يشبه الزعفران.
(٣) ذات الجنب: ضرب من الحمّى.

وأمّا ما جاء في وصفه؛ فقال أبو القاسم بنُ هُذَيْل الأندلسيّ ـ ويُروَى لابن المعتزّ ـ: [من البسيط]

بنفسَجٌ جُمّعَتْ أوراقُه فحكت[1] كُحلًا تَشرَّبَ دمعًا يوم تَشتيتِ[2]
أو لازَوَرْدِيّـةٍ أوفـت بـزُرْقـتِـهـا وَسْطَ الرّياض على زُرْقِ اليواقيتِ
كـأنّه وضـعـافُ القُـضـب تـحـمله أوائلُ النار في أطراف كِبريتِ

وقال آخَرُ في معناه: [من البسيط]

بـنفسَـجٌ بـذكـيّ الـريـح مـخـصـوصُ ما في زمانك إذ وافاك تنغيصُ[3]
كـأنّـمـا شُـعَـل الـكِـبـريـتَ مَـنْـظَـرُه أو خدُّ أغيَد[4] بالتخميش[5] مقروصُ

وقال أبو الحسن العُقَيليّ: [من الكامل]

اِشربْ على زَهر البنفسَج قهوةً[6] تنفي الأسى عن كلّ قلب مُكمَدِ[7]
فـكـأنّـه قَـرْصٌ بـخـدّ خَـريـدةٍ[8] أو أعـيـنٌ زُرق كُـحِـلـن بـإثـمِـدِ[9]

وقال آخَر: [من البسيط]

مـاس[10] الـبـنـفـسَـجُ فـي أغـصـانـه فـحَـكَـى
زرقَ الـفـصـوص عـلى بِـيـض الـقـراطـيسِ[11]
كـأنّـه وهُـبـوب الـرّيـح يَـعـطـفـه
بـيـن الـحـدائـق أعـرافُ الـطّـواويـس[12]

وقال آخَر: [من مجزوء الكامل]

أهــدت إلـيّ بـنـفـسَـجًـا أحـبـب بـمُـهـدية الـبـنـفسَـجْ
فـكـأنّـه هـي فـي الـلّطـا فـة والـذّكـاء إذا تـأرَّجْ

---

(١) حكت: ماثلت وشابهت.
(٢) تشتيت: تفريق.
(٣) تنغيص: تكدير.
(٤) أغيد: صفة للشاب في عنقه ميل وبياض وتثنٍّ في القوام.
(٥) التخميش: التجريح بالأظافر.
(٦) قهوة: خمرة.
(٧) مكمد: مهموم، محزون.
(٨) الخريدة: الفتاة البكر لم تمسّ.
(٩) الإثمد: الكحل.
(١٠) ماس: تمايل وتثنّى.
(١١) القراطيس: الأوراق والصحف.
(١٢) أعراف الطواويس: قنازعها وريشها الملوّن المصبوغ.

أوراقُـه الـلَّهـب الـمُـطِـلُ على الذُّبالة[1] حين تُسرَجْ[2]
أو إثـرُ قَـرْص مـؤلـمٍ في وجـنـة الـخـدّ الـمضـرَّجْ

وقال آخَرُ في الأبيض منه ـ وذكر ممدوحًا ـ: [من المتقارب]

كأنّ البنفسَجَ فيما حَكَى من الطِّيب أخلاقَك المونِقَهْ
يلوح فتَحسَب طاقاتِه فصوصًا من الفضّة المحرقَهْ

وقال أبو الحسن الشاطبيّ ـ ويروَى لابن الروميّ ـ: [من مجزوء الكامل]

اِشربْ على زَهر البنفـ ـسَج قبل تأنيب الحسود
فكأنّما أوراقُه آثارُ قَرْصٍ في الخدود

وقال آخَر: [من الخفيف]

وكأنّ البنفسَجَ الغضَّ يحكي أثَر اللَّطم في خدود الغِيد

وقال أبو هِلال العسكريّ: [من الخفيف]

وبحافاتها البنفسَجُ يَحكي أثَرَ القَرْص في خدود العَذارَى

وقال المِيكاليُّ فيه متفائلًا به: [من المنسرح]

يا مُهديًا لي بنفسَجًا أرِجا يرتاح قلبي له وينشرحُ
بشّرَني عاجلًا مصحَّفُه[3] بأنّ ضِيقَ الأُمور ينفسحُ

وتَطيَّر آخَرُ به، فقال: [من المنسرح]

يا مُهديًا لي بنفسَجًا سَمِجًا أوَدُّ لو أنّ أرضَه سَبَخُ[4]
أنذَرَني عاجلًا مصحَّفُه بأنّ عَقدَ الحبيب ينفسخُ

وقال صالحُ بنُ يونس: [من مخلّع البسيط]

بنفسَجٌ جاء في حِدادٍ ووَردنا في معصفَراتِ[5]
فاشربْ على مأتمٍ وعُرْسٍ جَلًّا جميعًا عن الصِّفاتِ

---

(١) الذبالة: الفتيلة.
(٢) تسرج: تهيّيء السراج للإنارة، وتنيره
(٣) مصحّفة: تصحيف اسمه وقلب حروفه.
(٤) سبخ: السبخ من الأرض، ما أرضه ملحيّة لا تصلح للإنبات.
(٥) معصفرات: ثياب ملوّنة بلون العصفر، وهو نبت أصفر اللّون.

ومن رسالة لأبي العَلاء عطاءِ بنِ يوسفَ السِّنديّ يصف طاقةَ بنفسَج، قال: سماويّةُ اللِّباس، مِسكيّةُ الأنفاس؛ واضعةٌ رأسَها على ركبتها كعاشقٍ مهجور، ينطوي على قلبٍ مسجور[1]؛ كبقايا النَّقش في بَنان الكاعب[2]، أو النِّقس[3] في أصابع الكاتب؛ أو الكُحْل في ألحاظ الملاح، المراضِ الصِّحاح؛ الفاترات الفاتنات؛ المحييات القاتلات، لازَوَرْدِيَّةٌ أوفَتْ زُرقتُها على زُرق اليواقيت، كأوائل النار في أطرافِ كِبريت؛ أو كأثَر القَرْص في خدود العَذارَى: [من الخفيف]

* أو عِذارٍ خَلعتْ فيه العِذارا[4] *

وأمّا النَّرجِسُ وما قيل فيه ـ فقال أبو بكر بنُ وحشيّةَ في توليده: إن أردتم النرجِسَ فخذوا قرنَي الغزال، فاقطعوا كلَّ قَرْن نصفين، وانقَعوهما في بول البقر سبعة أيّام، ثم اقلَعوا عينَي الغزال، واجعلوهما فوق رؤوس القرون، واطمِروهما في الأرض في أوّل ساعةٍ من يوم الجمعة، فإنّه بعد خمسةَ عشر يومًا ينعقد نرجِسًا مفتَّحًا. وإن أردتموه مضعَّفًا فخذوا الثُّوم، ثم شُقُّوا البصل، واجعلوا الثُّومة في وَسَطها، ولتكن سِنًّا واحدة، ثم ضُمّوا على الثُّومة نصفَي بصلة النرجِس، واغرِسوها في الأرض، فإنّه ينبت النرجس المضاعَف؛ وإن أردتم المضاعَف الذي بعضُ ورقِه أخضرُ وبعضُه أصفر، فخذوا سِنًّا من الثُّوم، وخذوا عُصارةَ ورق بصل النرجِس، وانقَعوا السّنَّ في العُصارة ثلاثةَ أيّام، ثمّ أدخِلوها في البصلة، واغرِسوها في الأرض، فإنّها تنبت بعد أيّام قلائل. وقال أبو عليّ بنُ سينا: إنّ أصل النّرجِس يُخرِج الشَّوْكَ والسُّلّاء[5]، وخصوصًا مع دقيق الشَّيْلَم[6] والعسل. قال: والنَّرجِس يجلو الكَلَف والبَهَق، وخصوصًا أصلَه بالخَلّ، وينفع أصلُه من داء الثَّعلب[7]؛ ويُعْجَن أصلُه مع العسل والكِرْسِنّةِ فيفجِّر الدّماميل العَسِرةَ النُّضج؛ ويُضمَد بأصله على أورام العَصَب. قال: والنّرجِس يجفِّف الجراحات، ويُلزقها إلزاقًا شديدًا؛

---

(١) مسجور: محمّى بالنّار.
(٢) الكاعب: الفتاة التي كعب نهداها وظهرا.
(٣) النّقس، بكسر النون: المداد الذي يكتب به.
(٤) العذار، الأولى: جانب الوجه، والعذار الثانية: الحياء.
(٥) السّلاء: ضرب من الشوك للنّخل خاصة.
(٦) الشيلم: ما يخالط القمح من حبّ أسود ينبذ ويطرح منه عند التنقية.
(٧) داء الثعلب: داء يصيب الجلد فينزع الشعر عنه.

ودُهنُه ينفع للعَصَب. قال: وينفع من الصُّداع الرَّطب السّوداويّ وكذلك دهنُه، وهو أوفق؛ ويصدِّع الرؤوسَ الحارّة، وإذا أُكِلَ أصلُه هيَّج القَيْء؛ وإذا شُرِبَ منه أربعةُ دراهمَ بماء العسل أسقَط الأجنّة الأحياءَ والأموات؛ ودُهنه يفتِّح انضمامَ الرَّحِم، وينفع من أوجاعِها.

وأمّا ما جاء في وصفه ـ فقال أبو نُواس الحسنُ بنُ هانىء: [من الطويل]

لَدَى نرجِسٍ غضِّ القِطاف كأنّه إذا ما منحناه العيونَ عيونُ
مخالفة في شَكلهنّ بصُفرةٍ مكانَ سوادٍ والبياض جفون

وقال أبو الفتح محمود كُشاجِم: [من مجزوء الرجز]

كأنّما نرجِسُنا قد تَبدَّى من كَثَبْ[1]
أناملٌ من فضّةٍ يَحمِلن كأسًا من ذهبْ

وقال أبو بكر الصَّنَوْبَريّ: [من السريع]

أضْعَفَ قلبي النرجسُ المُضْعَفُ ولا عجيبٌ إن صَبا مُدنَفُ[2]
كأنّه بين رياحينِنا أعشارُ آي[3] ضَمَّها مصحَفُ

وقال آخر: [من مجزوء الرجز]

ونرجِسٍ إلى حدا ئقِ الرياض مُحْدِقِ
كأنّما صُفرتُه على بياضٍ يَقَقِ[4]
أعشارُ جُزءٍ ذُهِّبتْ من وَرِقٍ في وَرَقِ

وقال أبو بكر بنُ حازم: [من البسيط]

ونرجسٍ ككؤوس التِّبر لائحةً من الزّبرجد قد قامت بها ساقُ
كأنهنّ عيونٌ هَدْبُها[5] وَرِقٌ لهنّ من خالص العِقْيان أحداقُ

---

(١) كثب: قرب.
(٢) المدنف: العاشق المولّه، وصبا: مال.
(٣) أعشار الآي: الأقسام من آيات القرآن الكريم.
(٤) يقق: شديد البياض، كاليقق، وهو القطن، أو شحم النخلة ولبّها.
(٥) هدبها: أهدابها، أطراف الرموش.

وقال الصَّنَوْبَرِيّ: [من المنسرح]

ونرجِسٍ مُضْعَفٍ تَضاعَفَ منـ ـه الحُسنُ في أبيضٍ وفي أصفرْ
الدُّرُّ والتِّبر فيه قد خُلِطا للعين والمِسكُ فيه والعنبرْ

وقال أيضًا يصفُه في مَنابِته: [من الكامل]

أرأيتَ أحسنَ من عيون النرجِسِ أو من تَلاحُظِهِنّ وَسْطَ المجلسِ
دُرٌّ تَشقَّقَ عن يواقيتٍ على قُضُب الزبرجد فوق بُسْطِ السُّندسِ
أجفانُ كافورٍ حُشِين بأعيُنٍ من زعفرانٍ ناعمات المَلْمَسِ
مغرورِقاتٍ في تَرقرُق طَلِّها[1] ترنو بعين الناظر المتفرّسِ
فإذا تَنَشَّقَها تَنفَّسَ ناشقٌ عن مِثل ريح المِسك أيَّ تَنفُّسِ
وحَكَى تَداني بعضِها مِن بعضِها يومًا تَداني مؤنِسٍ من مؤنِسِ
وإذا نَعَستَ من المُدام رأتَها ترنو إليك بأعين لم تَنْعَسِ

وقال ابنُ الرُّوميّ: [من المنسرح]

ونرجِسٍ كالثُّغورِ مبتسِمٍ له دموعُ المحدِّق الشاكي
أبكاه قَطْرُ النَّدَى وأضحَكَهُ فهو من القَطْر ضاحكٌ باكي

وقال آخَر: [من الخفيف]

قد عَكَفْنا[2] على عيونٍ من النر جِس بيضٍ مصفرّةِ الأحداقِ
ذابلاتِ الأجفانِ كالعاشق الوا قف يشكو الهوى على فَرْدِ ساقِ

وقال شاعرٌ أندلسيّ: [من البسيط]

أُنظرْ إلى نرجِسٍ في روضةٍ أُنُفٍ[3] غَنّاءَ[4] قد جَمَعتْ شتّى من الزَّهَرِ
كأنّ ياقوتةً صفراءَ قد طُبعتْ في غصنه حولها ستٌّ من الدُّررِ

---

(١) طلّها: نداها. (٢) عكفنا: أقمنا.
(٣) أنف: الأنف من الرياض، ما لم تُرْعَ أبدًا، البكر.
(٤) غنّاء: عامرة بالشجر والعشب.

وقال آخر: [من مجزوء الكامل]

أبـصـرتُ بـاقـةَ نـرجِـسٍ ... فـي كـفٍّ مـن أهـواه غَـضّـهْ[١]
فـكـأنّـهـا قُـضُـبُ الـزَّبـر ... جـد قُـمِّـعـتْ ذهـبًـا وفِـضّـهْ

وقال ابنُ عَبّاد[٢]: [من البسيط]

عَمْري لقد راق طرفي حُسْنُ زاهرةٍ ... تميس في سُندسيّاتٍ من الوَرَقِ
أبدت لنا عَجَبًا منها حديقتُها ... عينًا من التِّبْر في جَفنٍ من الوَرِقِ

وقال أبو الفضل المِيكاليّ: [من المجتثّ]

أهـلًا بـنـرجِـسِ روضٍ ... يُـزهَـى بـحُـسـنٍ وطِـيـبِ
يـرنـو بـعـيـنَـيْ غـزالٍ ... عـلى قـضـيـبٍ رَطـيـبِ
وفـيـه مـعـنًـى خـفـيٌّ ... يَـزيـنُـه فـي الـقـلوبِ
تـصـحـيـفُـه إن نَـسَـقـتَ الـ ... ـحـروفَ بِـرُّ حـبـيـبِ

وقال آخَر: [من السريع]

لـمّـا أطـلـنـا عـنـه تـغـمـيـضًـا ... أهـدَى لـنـا الـنّـرجِـسَ تـعـريـضـا
فـدَلّـنـا ذاك عـلى أنّـه ... قـد اقـتـضـانـا الـصُّـفـرَ والـبِـيـضـا

وقال أبو هلال العسكريّ: [من الرجز]

ونـرجِـسٍ مِـثْـلِ أكُـفِّ خُـرَّدِ[٣] ... دُونَ عـلـيـنـا بـكُـؤوس الـذهـبِ
نـاوَلَـنِـيـهِ مِـثـلُه فـي حـسـنـهِ ... فـحَـلّ من قـلـبيَ عَـقـدَ الـكُـرَبِ
مـبـتـسِـمٌ عـنـه ونـاظـرٌ بـه ... هـذا لَعَـمْري عَـجَـبٌ في عَـجَـبِ

وقال أيضًا فيه: [من المنسرح]

ونـرجـسٍ قـام فـوق مِـنـبـرِهِ ... مثل عَروسٍ تُجْلَى[٤] وتشتَهِرُ
نـام الـنَّـدَى فـي عـيـونـه سَـحَـرا ... فـاعـتـاده فـي مـنـامـه سَـهَـرُ

---

(١) غضّة: طريّة.
(٢) هو الصاحب بن عباد، الوزير والكاتب والشاعر، سبق التعريف به.
(٣) خرّد: جمع خريدة، وهي الفتاة الحسناء الفريدة بجمالها.
(٤) تجلى: يعمل لها الجلوة ليلة الزفاف، وهي الزينة.

لم يَغتمض والظلامُ حَلّ به ... كأنّما في جفونه قِصَرُ
تَحيَّرَ الطَّلُّ في مدامعِهِ ... فليس يَرقا وليس ينحدرُ
كَدمعةِ الصَّبّ[1] كاد يَسكُبُها ... فرَدّها في جفونه الحَذَرُ

وقال ابنُ المعتزّ: [من الطويل]

وعُجبنا إلى الرّوض الذي طَلّه النّدَى ... ولِلصّبح في ثوب الظّلام حريقُ
كأنّ عيونَ النرجِس الغَضّ بينه ... مَداهنُ دُرٍّ حشوهنّ عقيقُ
إذا بَلّهنّ القَطْرُ خِلتَ دموعَها ... بكاءَ جفونٍ كحلهنّ خَلوقُ[2]

وقال ابنُ الروميّ يفضّله على الوَرد: [من الكامل]

خَجلتْ خدودُ الوَرد من تفضيلِه ... خَجَلًا تَورُّدُها عليه شاهدُ
لم يَخْجَل الوَردُ المورَّدُ لونُه ... إلا وناحِلُه الفضيلةَ عانِدُ
للنرجس الفضلُ المبين وإن أبَى ... آبٍ وحادَ عن الطريقة حائدُ
فَضْلُ القضيّة أنّ هذا قائدٌ ... زَهرَ الرّبيع وأنّ هذا طاردُ
شتّانَ[3] بين اثنين هذا مُوعِدٌ ... بتَسلّب الدنيا وهذا واعدُ
وإذا احتَفَظتَ به فأمتَعُ صاحبٍ ... بحياته لو أنّ حيًّا خالدُ
يَحْكِي مصابيحَ السماء وتارةً ... يَحكي مصابيحَ الوجوه تُراصِدُ
يَنْهَى النديمَ عن القبيح بلحظِه ... وعلى المدامةِ والسَّماع يساعِدُ
إن كنتَ تطلب في الملاح سميَّه ... يومًا فإنك لا محالةَ واجدُ
والوَردُ إن فَتّشتَ فَردٌ في اسمِه ... ما في الملاح له سَمِيٌّ واحدُ
هذي النجومُ هي التي رَبَّينها ... بحَيا السحابِ[4] كما يربّي الوالدُ
فأنظر إلى الولدين مَن أوفاهما ... شَبَهًا بوالده فذاك الماجدُ
أين العيونُ من الخدود نَفاسةً ... وَرأسةً لولا القياسُ الفاسدُ

وقال أيضًا فيه: [من المتقارب]

وأحسَنُ ما في الوجوه العيون ... وأشبهُ شيءٍ بها النَّرجِسُ

---

(١) الصب: العاشق المحبّ.
(٢) الخلوق: ضرب من الطّيب شديد الرائحة، ذكيّها.
(٣) شتان: اسم فعل بمعنى: بعد.
(٤) حيا السحاب: مطر الغمام.

وقال أيضًا: [من البسيط]

وزعفرانيّةٍ في اللَّون تحسَبُها إذا تأمّلتَها في ثوبِ كافورِ
كأنّ حَبَّ سَقِيط الطَّلِّ بينهما دمعٌ تَحيَّرَ في أجفان مهجورِ

وقال عبدُ الله بن المعتزّ: [من الطويل]

عيونٌ إذا عاينتَها فكأنّما مَدامعُها من فوق أجفانها دُرُّ
مَحاجرُها[١] بِيضٌ وأحداقُها صُفرُ وأجسامُها خُضرٌ وأنفاسُها عِطرُ

وقال محمدُ بن يزيدَ المبرِّد[٢]: [من السريع]

نرجِسةٌ لاحظني طَرفُها تُشبِه دينارًا على دِرهمِ

وقال عُبيد الله بنُ عبد الله: [من المنسرح]

ترنو بأحداقِها إليك كما ترنو إذا خافت اليَعافِيرُ[٣]
مِثل اليواقيت قد نُظِمن على زبرجدٍ بينهنَّ كافورُ
كأنّها والعيونُ ترمُقُها دراهمٌ وَسْطَها دنانيرُ

وأمّا الياسَمِين وما قيل فيه ـ فالياسَمِين والياسَمون اسم فارسيّ، وهو نوعان: بَرّيّ، ويسمّى بَهْرَامج، وتسمّيه العرب الظَّيان؛ وبستانيّ، وهو أصفرُ وأبيض، والأبيضُ أطيَبُ رائحة. قال الشيخ الرئيس أبو عليّ بنُ سينا: طبعُ الأبيض أسخَنُ من الأصفر، والأصفر من الأُرْجُوَانيّ؛ وهو بالجملة حارٌّ يابسٌ في الثانية. قال: وهو يلطِّف الرطوبات، ودُهْنُه ينفع المشايخ. قال: وهو يُذْهِب الكَلَف رَطْبُه ويابسُه، وكثرةُ شَمّه تورِث الصُّفار؛ ودُهنُه نافعٌ للأمراض الباردة في العَصَب؛ ورائحتُه مصدِّعة، لكنّها مع ذلك تَحُلُّ الصُّداع الكائنَ عن البَلْغَم اللَّزِج إذا شُمّت، والخالص من دُهنه يُرعِف المحرور[٤] إذا شمّه لوقتِه.

---

(١) محاجرها: جمع محجر، ومحجر العين: مستقرّها.
(٢) هو أبو العباس محمد بن يزيد المبرّد، العالم بالنحو واللغة، تلميذ المازني والسجستاني، أديب وشاعر، علّم في بغداد، ومن أهم مؤلفاته «الكامل في اللغة والأدب». مات سنة ٢٨٥ هـ/ ٨٩٨ م.
(٣) اليعافير: جمع يعفور، وهو ولد الظبية، أو البقرة الوحشية، في لونه عفرة.
(٤) المحرور: الذي يعاني من الحمّى وارتفاع الحرارة.

وأمّا ما جاء في وصفه ـ فقال أبو إسحٰق الحَضْرَميُّ يصفه قبل تفتُّحه: [من الطويل]

خليليَّ هُبَّا وانفُضا عنكما الكَرَى وقُومَا إلى روض وكأسِ رحيقِ[1]
فقد لاح رأسُ الياسَمِينِ منوِّرا كأقراط دُرٍّ قُمِّعتْ بعقيقِ
يميل على ضَعْفَي الغصونِ كأنّما له حالتا ذي غَشيةٍ ومُفيقِ
إذا الرّيحُ أدّته إلى الأنف خِلتَه نسيمَ جَنوبٍ ضُمِّخت[2] بخَلوقِ[3]

وقال آخر: [من مخلّع البسيط]

وروضةٍ نَوْرُها[4] يَرِفُّ مثل عروسٍ إذا تُزَف[5]
كأنّما الياسَمِينُ فيها أنامِلٌ ما لَها أكُفُّ

وقال آخَر: [من الوافر]

كأنّ الياسَمِينَ الغَضَّ لمّا أدَرتُ عليه وَسْطَ الرَّوض عيني
سماءٌ للزبرجد قد تبدّت لنا فيها نجومٌ من لُجَيْنِ

وقال آخر: [من السريع]

وياسَمِينٍ عَبِقِ النَّشْرِ يُزْرِي[6] بريح العنبر الشِّحْرِي
يلوح من بين غصونٍ له كمِثل أقراطٍ[7] من الدُّرِّ

وقال المعتمِد بنُ عَبّاد[8]: [من السريع]

كأنّما يَاسَمِينُنا الغَضُّ[9] كواكبٌ في السماء تنقضُّ
والطُّرُقُ الحُمرُ في بواطنِه كخدِّ عذراء مَسَّه عَضُّ

---

(١) الرحيق: الخمرة.
(٢) ضمّخت: شقّقت.
(٣) الخلوق: ضرب من الطّيب.
(٤) نورها: زهرها.
(٥) تزفّ: تنقل إلى بيت عريسها ليلة الزفاف.
(٦) يزري: يُنقص ويعيب.
(٧) أقراط: جمع قرط، وهو ما يعلّق بالأذن، والشّنف.
(٨) المعتمد بن عباد: واسمه محمد، من ملوك بني عبّاد في إشبيلية، وآخر ملك من ملوكهم، كان شاعرًا ومترسّلًا وكاتبًا. مات مسجونًا في أغمات سنة ٤٨٨ هـ/ ١٠٩٥ م.
(٩) الغضّ: الطريّ.

وقال الشُّمشاطيُّ في دوحةٍ جَمعتْ بين الأبيض والأصفر: [من الرّجز]

وياسَمِينٍ قد بدا لونين ... قُراضة من وَرِقٍ وعَيْنِ
رُكِّب في زبرجدٍ نوعين ... فالبِيضُ منه في عِيان العَيْنِ
مِثلُ ثغور البِيض غيرَ مَيْنِ[1] ... والصُّفْرُ لون عاشقٍ ذي بَيْنِ[2]

وقال أحمدُ بنُ عبد الرحمٰن القُرطُبيّ: [من الطويل]

ولَفّاءَ[3] خلناها سماءَ زبرجدٍ ... لها أنجمٌ زُهرٌ من الزَّهَر الغَضِّ
تَناوَلَها الجاني من الأرض قاعدا ... ولم أرَ من يَجني النجومَ من الأرضِ

وقال شاعرٌ يتطيّر به: [من البسيط]

أصبحتُ أذكر بالرَّيحان رائحةً ... منكم ولِلنفس بالرَّيحان إيناسُ
وأهجرُ الياسَمِين الغضَّ من حَذَر الـ ... ـياس إذ قيل في شطر اسمِه ياسُ

وقال آخَر: [من مجزوء الكامل]

لا مرحبًا بالياسَمِين وإن غدا للرَّوض زَينا
صحَّفتُه فوجدتُه ... متقابلًا ياسًا ومَيْنا

ونظيرُه قولُ الآخر: [من السريع]

وياسَمِين إن تأمّلتَه ... حقيقةً أبصرتَه شَيْنا[4]
لأنّه ياسٌ ومَينٌ ومَن ... أحَبَّ قطُّ الياسَ والمَيْنَ

وقال ابنُ الحَدّاد في عكس ذلك: [من البسيط]

بَعثتُ بالياسَمِينِ الغضِّ مبتسِمًا ... وحسنُه فاتنٌ للنفسِ والعينِ
بعثتُه منبئًا عن صدق مُعْتَقَدي ... فانظر تجد لفظَه ياسًا من المَيْنِ

وأمّا الآسُ وما قيل فيه ـ فالآسُ نوعان: بَرّيّ وبستانيّ، فالبَرّيّ هو الّذي يسمّى بدِمَشقَ: قِف أنظر، سُمّيَ بذلك لحُسنِه، وورقُه يشبه ورقَ البستانيّ، إلّا أنّه أعرضُ منه؛ وطَرَفُه محدَّد، يشبه سِنانَ الرُّمح؛ واليونان تسمّي الآس: مَرْسِينَى، وتسمّيه

(١) مين: كذب.
(٢) بين: فراق.
(٣) لفّاء: ملفوف بعضها على بعض.
(٤) شينًا: عيبًا، والشين، خلاف الزّين.

العامّة: مَرْسِينًا. وقال ابن وحشيّة في توليده: وإن خلطتم بأصل اليَبْرُوح عيدانَ الشِّبْث[١] وورقَ الجِرجير[٢] وسحقتم ذلك سحقًا جيدًا وزرعتموه في الأرض، وهو كهيئة الكُبّة، وصببتم فوق الكُبّة الماء، وطمرتموه في التراب، خرجتْ عن ذلك شجرةُ الآس الطويلِ الورق. وإن أردتم المدوَّرَ الورق فاخلطوا مع أصل اليَبْرُوح ورقَ الآس الطويل، ونصفَ وزن أصل اليَبْرُوح من ورق النَّبِق، فإنه يخرج الآس المدوَّر الورق. قال: وإن أردتم الآسَ الأزرقَ اللّون، فاخلطوا بأصل اليَبْرُوح ورقَ النِّيل، واعجنوا معهما من أصل الزيتون وعروقِه، واطْمِرُوه فإنه يَخرُج عنه الآسُ الأزرق.

وقال الشيخ الرئيسُ أبو عليّ بنُ سينا في الآس: أفواه الذي يَضرِب إلى السواد، لا سيّما الخُسْرُواني المستديرُ الورق، لا سيّما الجبليّ، وأجوَدُ زهرِه الأبيض، وعُصارةُ ثمرتِه أجوَد.

وأمّا طبعُه ففيه حرارةٌ لطيفة، والغالب عليه البَرْد، ويُشْبِه أن يكون بَرْدُه في الأُولَى، ويُبْسُه في حدود الثانية.

وأمّا أفعالُه وخواصُه، فإنّه يَحبس الإسهالَ والعَرَقَ وكلَّ نَزْفٍ وكلَّ سَيَلانٍ إلى عضو؛ وإذا تُدُلِّك به في الحمّام قوّى البدن، ونَشَّف الرطوبات التي تحت الجلد، وهو ينفع من كل نَزْف لَطوخًا وضِمادًا ومشروبًا؛ وكذلك رُبُّه ورُبُّ ثمرته؛ وقبضُه أقوى من تبريدِه، وهو يُسرِع جبرَ العظام، وليس في الأشربة ما يَعْقِل وينفع أوجاعَ الرئةِ والسُّعال غيرُ شرابه، ودُهنُه وعُصارتُه وطبيخُه تقوّي أصولَ الشَّعر؛ وورقُه اليابسُ يمنع صُنان[٣] الآباط[٤]، ورَمادُه ينقّي الكَلَف، ويحلو البَهَق. قال: والآسُ يسكّن الأورامَ والحُمرة والنّملةَ والبُثور والقُروحَ والشَّرَى وحَرقَ النّار؛ وورقُه يُضمَد به بعد تخبيصِه بزيتٍ وخمر؛ ويابسُه إذا ذُرَّ على الدَّاحِس[٥] نفعَه؛ وإذا طُبِخَتْ ثمرتُه بالشراب واتُّخذتْ ضِمادًا أبرأت القروحَ الّتي في الكفّين والقدمين وحَرقَ النار وتمنعه من التنفُّط، ومن استرخاء المَفاصل. قال: والآس يَحبِس الرُّعاف ويجلو الحَزاز[٦]، ويجفِّف قُروحَ الرأس، وقروحَ الأذن؛ وينفع شرابُه من استرخاء اللّثة، وورقُه إذا طُبخ

(١) الشبث: نبات من فصيلة الخيميّات يشبه الشّمرة، وهو من التوابل.
(٢) الجرجير: من البقول يؤكل نيًا ومطبوخًا، وهو من التوابل في الطعام.
(٣) صنان: ريح نتن.
(٤) الآباط: جمع إباط، وهو باطن الكتف.
(٥) الداحس: ورم في الأظفار يترك آثارًا وحروقًا.
(٦) الحزاز: ضرب من البثور في الرأس، وهو أيضًا قشرة الرأس.

بالشراب وضُمد به سَكّن الصُداع الشديد؛ وإذا شُرِبَ شرابه قبلَ الشراب مَنَع الخُمار[١]؛ والآس يسكّن الرمد[٢] والجُحوظ؛ وإذا طُبِخ مع سَويق الشَّعير أبرأ أورامَ العين؛ والآس يقوّي القلب، ويُذهب الخفقان، وثمرته تنفع من السُّعال، وهو يقوّي المعدة، خصوصًا رُبَّه، وحَبُّه يَمنع سيلان الفُضول إلى المعدة؛ وهو جيِّد في منع دُرور الحيض؛ وماؤه يَعْقِلُ الطبيعة، ويَحبس الإسهال؛ وطبيخ ثمرته ينفع من سيلان رطوبات الرَّحِم؛ وينفع تضميده للبواسير؛ وينفع من ورم الخِصية؛ وطبيخه ينفع من خروج المقعدة والرَّحِم، وهو ينفع من عَضِّ الرُّتيلاء، وكذلك ثمرته إذا شُربت بشراب، وكذلك من العقرب.

وأمّا ما جاء في وصفه ـ فقال الأخيطل الأهوازيّ: [من الكامل]

لـلآسِ فـضـلُ بـقـائـه ووفـائـه ... ودوامِ نَـضْـرتِـه عـلى الأوقـاتِ
الـجوُّ أغبر وهـو أخضرُ والـثرى ... يَـبْـسٌ ويـبـدو نـاضـرَ الـورَقـاتِ
قـامـت عـلى قُـضـبـانِـه ورَقـاتُـه ... كـنِـصـال نَـبْـلٍ جِـدّ مـؤتـلِـقـاتِ

وقال آخَر: [من السريع]

وغـادةٍ أهـدت إلـى إلـفِـهـا[٣] ... قـضـيـبَ آسٍ زاد فـي ظَـرفِـهـا
كـأنّـمـا خُـضـرةُ أوراقِـه ... بـقـيّـةُ الـحِـنّـا[٤] عـلى كـفِّـهـا

وقال آخَرُ في باقة آس: [من الطويل]

ومشـمـومةٍ مخضرّةِ اللّون غَضَّةٍ ... حـوت مَـنْـظَـرًا لـلـنـاظـريـن أنـيـقـا
إذا شمَّها المعشوقُ خِلتَ اْخضرارَها ... ووجـنـتَـه فَـيْـرُوزَجًـا[٥] وعَـقـيـقـا

وقال ابنُ وكيع: [من الطويل]

خـلـيـليَّ مـا لـلآسِ يـعـبـق نَـشـرُه ... إذا هَـبَّ أنـفـاس الـرِّيـاحِ الـعـواطـرِ

---

(١) الخمار: أثر السُّكر في الرأس، والدّوار.
(٢) الرمد: مرض يصيب العين فيمنعها من الإبصار، وهو أنواع أهمها الرمد الحبيبي والربيعي.
(٣) إلفها: قرينها وصاحبها الذي تألفه.
(٤) الحنّا: نبات يتّخذ ورقه للخضاب الأحمر، وله زهر أبيض كالعناقيد، وهنا المقصود بالحنّا، أثر الحنّا الذي تتركه في اليد.
(٥) الفيروزج: حجر كريم، واللفظة فارسية.

حَكَى لونُه أصداغَ[1] ريمٍ[2] معذَّرٍ[3]
وصورتُه آذانَ خَيلٍ نوافرِ

وأمّا الزُّعفران وما قيل فيه ـ فالزّعفران يسمَّى الجادِيَّ بالدّالين المهملة والمعجمة، والجِساد، والرَّيْهُقَان، والكُرْكُم.

وقال الشيخ الرئيس أبو عليّ بنُ سينا: جيّدُه الطريّ، الحسَنُ اللّون، الذكيُّ الرائحة، على شَعْرهِ قليلُ بياضٍ غير كثير، ممتلىءٌ صحيحٌ سريعُ الصَّبْغ، غير متكرِّج[4] ولا متفتِّت؛ وطبعه حارٌّ في الثانية، يابسٌ في الأولى. وقال في أفعاله وخواصِّه: هو قابضٌ محلِّل مُنضج مفتِّح. قال: وقال الخُوزيّ: إنّه لا يغيِّر خِلْطًا ألبتّة بل يحفظها على السويّة، ويُصْلِح العفونة، ويقوّي الأحشاء؛ وشُربُه يحسِّن اللّون؛ وهو محلِّلٌ للأورام، وتُطلَى به الحُمْرَة. قال: وهو مصدِّع، يضرّ الرأس، وهو منوِّم، وإذا سُقِيَ في الشّراب أسكَر؛ وينفع من الورم الحارِّ في الأُذُن؛ وهو يجلو البصر، ويمنع النوازلَ إليه، وينفع من الغِشاوة، ويُكتحَل به للزُّرقة المكتسَبةِ من الأمراض، وهو مقوٍّ للقلب، مفرِّح يشمّه المبرسمُ[5] وصاحبُ الشَّوْصة[6] للتنويم، وخصوصًا دُهنَه، ويُسهِّل النَّفَس، ويقوّي النفس. قال: وهو مُغْثٍ[7] يُسقِط الشهوة بمضادّته الحموضةَ التي في المعدة وبها الشّهوة، لكنّه يقوّي المعدة لما في من الحرارة والدَّبْغ والقَبْض. وقال قوم: الزعفرانُ جيّدٌ للطِّحال. قال: وهو يهيج الباه[8]، ويُدرّ البول، وينفع من صلابة الرَّحِم وانضامِها والقروحِ الخبيثةِ فيها إذا استُعْمِل بمُوم[9] أو مُحٍّ[10] مع ضِعفِه زيتًا. وزعم بعضهم أنّه سقاه للطَّلْق[11] المتطاوِل فوَلَدت للساعة. قال: وثلاثة مثاقيلَ منه تَقتُل بالتفريح، وإذا عُدِم فبدله وزنه قُسْط، وربعُ وزنه قشورُ السَّليخة[12].

---

(١) أصداغ: جمع صدغ، وهو ما بين العين والأذن.
(٢) ريم: ولد الظبي، كناية عن الحبيب.
(٣) معذّر: له عذار، وهو الشعر في جانب الوجه.
(٤) متكرّج: سريع الفساد والانحلال.
(٥) المبرسم: من أصابه البرسام، وهو ضرب من الأورام تصيب الصدر، ويصحبه ارتفاع في الحرارة حتى الهذيان.
(٦) الشوصة: ضرب من الأورام تصيب الأضلاع.
(٧) مغث: يبعث على الغثيان، وتقزّز النفس.
(٨) الباه: المنيّ للرجل، وقوّة الشهوة.
(٩) الموم: مادة تستخرج من العسل في شهده.
(١٠) المحّ: هو محّ البيضة، أي صفارها.
(١١) الطلق: حال المرأة قبيل الوضع بقليل.
(١٢) السليخة: ضرب من الأفاويه.

وأمّا ما جاء وصفه ـ فقال مؤيّد الدّين الطُّغْرائيّ: [من الكامل]

وحديقةٍ للزعفران تأرّجتْ وتبرّجت في نسجِ وشيٍ مُونِقِ
شكت الحِيالَ[1] فألقحَتْها[2] نطفةٌ من صَوبِ[3] غاديةِ[4] الغمامِ المُغْدِقِ
حتى إذا ما حانَ وقتُ ولادِها فَتَقَ الصَّبا منها الذي لم يُفْتَقِ
عذراء حُبلَى قَمَّطتْ[5] أولادَها حُمرًا وصُفرًا في الحرير الأزرقِ
وكأنّما اقتَتلوا فأصفرُ خائفٌ بحذاء قانٍ بالدّماء مغرّقِ

وقال آخر: [من الكامل]

وكأنّ وَردَ الزعفران مَضاحكٌ
قد جمّعتْ لعَسَ[6] المقبّل[7] واللّمَى[8]
أو أنصُلٌ فوق التراب سديدةٌ
قد فارقتْ بعد الرّماية أسهُما

وقال آخر: [من البسيط]

للزعفران إذا ما قاسه فَطِنٌ
فضلٌ على كلّ ورد زاهرٍ أنِقِ[9]
كأنّه ألسُنُ الحيّات قد شُدِخَتْ
رؤوسُها فاكتست من حُمرةِ العَلَقِ
مِن لابسٍ حُمرةً من وجه ذِي خجلٍ
ولابسٍ صُفرةً من وجهِ ذي فَرَقِ[10]

(١) الحيال: جمع حائل، وهي الشهوة إلى لقاح الذكر.
(٢) ألقحتها: جعلتها تلقح، أي تحمل.
(٣) صوب: مطر.
(٤) الغادية: السحابة الممطرة في الغداة.
(٥) قَمّطت: شدّت بالقماط، وهو اللفافة من الثياب يلفّ بها الولد الرّضيع.
(٦) اللعس: في الشفاه: وهو السّمرة أو السواد فيها.
(٧) المقبّل: الثغر، موضع التقبيل.
(٨) اللمى: سمرة في الشفاه، مستحسنة.
(٩) أنق: ناضر، فيه رونق وحُسن.
(١٠) الفرق: الفزع.

لا شـيءَ أعـجـبُ مـن لـونَـيـهـمـا وهـمـا
نَـشْـوانِ تِـرْبـانِ[١] فـي مَـهْـدٍ[٢] وفـي خِـرَقِ[٣]
فـرعـانِ مـخـتـلِفٌ معـنـاهـمـا وهـمـا
نـتـيـجـتـا جـوهـرٍ فـي الأصـل مـتّـفِـقِ

وقال آخَر: [من الخفيف]

طَلَعَ الـزعـفـرانُ مِـثـلَ زِجـاجٍ ... قد تُنُصِّلن[٤] من سهامِ غِلَاءِ[٥]
وتـراءى كـأنّـه شُـعَـلُ الـكِـبْـ ... ـريتِ ليلًا ضياؤها في غِطاءِ
ورقٌ فـيـه زرقـةٌ تَـجـلِب الـلهـ ... ـو ويَـسـبـي عِـيـانُـه كـلَّ رائـي
يَـتـفـرّى عـن قـانـئـاتٍ حِـسـانٍ ... مثلِ هُدْبِ معصفَرٍ[٦] من رِداءِ
قـائـمـاتٍ كـأنّـهـا أَلِـفـاتٌ ... خُطِّطتْ في الطِّراز ذات استواءِ
يَـتـنـقَّـبـن[٧] لـلـرّجـال مـسـاءً ... ثـم يَـسْـفِـرنَ ضَـحـوةً لـلـنّـسـاءِ
يَتبرّجن في ثياب الثَّكالَى[٨] ... ويُـعـرَّيـن مـنـه بـعـدَ اكـتـسـاءِ
زِيُّ عُـرْسٍ ومـأتـم ذا لـدَى خـ ... ـيـرِ عِـشـاءٍ وذا لِشَـرِّ عِـشَـاءِ
مثلُ غَمٍّ قد انجَلَى عن سرورٍ ... ونـعـيـمٍ قـد انـتُـضِـي عـن بـلاءِ

وقال أبو بكر الخُوارَزميّ: [من البسيط]

أما تَرَى الزعفرانَ الغَضَّ تحسَبه ... جمرًا بدا في رَماد الفحم مضطرِما
كـأنّـه بـيـن أطـراف تَـحُـفّ بـه ... طرائقُ الدّم في خدّين قد لُطِما
دمٌ عِـيـانًـا ومِـسـكٌ نَـشْـرَ رائـحـةٍ ... في طيبِه وكذاك المِسكُ كان دما

وقال آخَر: [من الكامل]

شبّهتُ روضَ الزّعفران بشاطرٍ ... سَلَبَ النّصارى واليهودَ شِعارَها
كصحيفةٍ من سندسٍ عُنِيَتْ بها ... كفُّ صُناعٍ[٩] قَوَّمتْ أسطارَها

---

(١) نشوان تربان: صاحبان نشأتهما واحدة، وعمرهما واحد.
(٢) مهد: سرير. (٣) خرق: لفائف يلفّ بها الرضيع في المهد.
(٤) تنصّلن: استخرجن. (٥) سهام غلاء: سهام بعيدة المرمى.
(٦) المعصفر من الأردية والثياب: ما كان فيها صفرة بلون العصفر، ضرب من النبت.
(٧) يتنقّبن: يلبسن نقابهنّ، وهو غطاء الوجه. (٨) الثكالى: النسوة اللائي فقدن أولادهنّ.
(٩) صناع: حاذقة ماهرة حسنة الصّنع أو الصناعة.

وكأنّما ألِفاتُها قد تُوِّجَتْ بمَجامرٍ[١] تُذْكِي[٢] النسائمُ نارَها
من كلِّ فاقعةٍ تَلَفَّعُ دائمًا بدخانِ كبريتٍ تَجرّ إزارَها
متقنّعاتٍ في الدّجى فإذا بدا للصّبح إسفارٌ سَفَرْنَ خِمارَها[٣]
والشمس طالعةٌ على أخَواتها وإذا توارت[٤] أسبَلتْ أستارَها

وأمّا الحَبَقُ وما قيل فيه ـ فالحَبَقُ أنواع، تُطلِق عليها العامّةُ الرَّيحان؛ ومن أسمائه الباذَرُوج، وهو الحَماحِم. ويسمَّى الباذرنجبوية والباذْرَنْبُويَة، واسمه بالفارسية: المَرْماحِوز، ومنه ما سُمّي الفَرَنْجَمَشْكَ بالفاء والباء؛ ورائحتُه كرائحة القَرَنْفُل، ويقال فيه فَلَنْجَمَشْك، وأَفْلَنْجَمَشْك؛ وكلُّها فارسيّة. ومنه ما يسمَّى بالفارسيّة: الشاهِسْفَرَم، ومعناه مَلِكُ الرّياحين، والعرب تسمّيه: الضَّيْمَران والضَّوْمَران؛ ومنه حَبَقُ الفتى: المَرْزَجُوش والمَرْزَنْجُوش والمَرْدَقُوش والعَبْقَر. ومنه ما يسمَّى المَرْوَ والزَّغْبَر والزَّبْغَر، وهو المَرْو الدقيقُ الورق. والصَّعْتَرِيّ، ورَيحان الكافور، ويسمَّى بالفارسيّة (سَوسَن) وأناه، وشكلُه شكلُ المنثور، ورائحتُه رائحةُ الكافور الرِّياحيّ.

وقال الشيخ الرئيس أبو عليّ بنُ سينا في طبائع الرّياحين: الباذَرُوجُ طبعُه حارٌّ في الأُولى إلى الثانية، يابسٌ في أوّل الأُولى، وفيه رطوبةٌ فَضْليّة. قال: وفيه قَبْض وإسهال، فإنّه يَقبِض، إلّا أن يصادفَ فَضْلًا مستعدًّا، فإذا صادف خِلْطًا أسهَله، وفيه تحليل وإنضاج ونَفْح، ويُسْرِع إلى التعفّن؛ ويولّد خِلْطًا رديئًا سَوداويًا، وبِزْرُه ينفع مَن تتولّد فيه السَّوداء[٥]؛ وإذا طُلِيَ بالخَلّ ودُهن الوَرد على الأورام الحارّة نَفع؛ وعُصارتُه قَطورًا تنفع الرُّعاف، لا سيّما بخلِّ خمرٍ وكافور؛ وهو مما يسكِّن العُطاسَ مِن مِزاج، ويُحرّكه من مِزاج، وهو ينفع من ضربان العين ضِمادًا: ويُحدِث ظُلمةَ البصرَ مأكولًا لتخليط رطوبته وتبخيرها؛ وعُصارتُه تقوّي البصر كُحلًا، وهو يقوّي القلب جدًّا، ويجفّف الرّئةَ والصدر، وسُكُرَّجة[٦] من مائه تنفع من سوءِ التنفّس، وماؤه يُدِرّ اللَّبَن، وبِزرُه ينفع من عُسر البول، وإذا وُضع على لَسْع الزَّنابير[٧] والعقارب سكّنه.

---

(١) مجامر: جمع مجمرة، وهي موضع الجمر والنار.
(٢) تذكي: تضرم، وتقوّي إضرامها. (٣) الخمار: غطاء الرأس.
(٤) توارت: استترت وخفيت.
(٥) السوداء: إحدى الأخلاط الأربعة في الجسم، وهنّ: السوداء، والصفراء، والبلغم، والدّم.
(٦) سكرّجة: إناء صغير يستخدم مكيالًا من المكاييل، واللفظة فارسية.
(٧) الزنابير: ضرب من الحشرات السامّة المؤذية تشبه النحل، أكبر منها، وتفتك بها فتكًا ذريعًا.

وأمّا المَرْماحُوز ـ فهو حارٌّ في الثالثة، يابسٌ في الثانية؛ وهو لطيفٌ محلِّل مسكِّن للرّياح، مفتِّحٌ للسُّدُد البَلْغَميّة حيث كانت؛ والإكبابُ على نطولِه[١] يحلِّل البُخار والصُّداع البارد؛ وهو يقوّي المعدةَ وينشِّف رطوبتَها، ويقوّي الأمعاء.

وأمّا المَرْزَنْجُوش[٢] ـ فهو حارٌّ يابسٌ في الثالثة، وهو لطيف محلِّلٌ مفتِّح؛ وهو طِلاءٌ جيِّدٌ على الأورام البَلْغَميّة؛ ودُهنُه ضِمادٌ للفالج المُميل العنقِ إلى خَلْف ولغيره من الفالج؛ ويفتِّح سُدُدَ الدّماغ؛ وينفع من الشَّقيقة والصُّداع والرّطوبة والرياحِ الغليظة، ومن وجع الأُذُن نَطولًا وقَطورًا، وتُجْعَل فيها قطنةٌ مغموسةٌ في دُهن المَرْزَنْجُوش فتنفع من انسدادها، وطبيخُه ينفع من الاستسقاء، ومن عُسْر البول، والمَغْص، ودُهنُه ينفع من انضمام الرَّحِم المؤدِّي إلى احتقانِها، وهو مع الخلِّ ضِمادٌ للسع العقرب.

وأمّا الفَلَنْجَمَشْك ـ فهو أعْدَلُ من المَرْزَنْجُوش والنَّمّام، وأقلُّ يُبْسًا؛ وهو يفتِّح السُّدُدَ العارضةَ في الدُّماغ والمَنَخْرَين شمًّا وطِلاء وأكلًا؛ وينفع الخفقانَ العارضَ من البَلْغَم والسَّوداء في القلب؛ وهو جيِّدٌ للبواسير.

وأمّا ما وُصِفتْ به الرَّياحين ـ فقال السَّريُّ الرَّفّاء: [من الكامل]

وبساطِ رَيحانٍ كماء زبرجدٍ عَبِثتْ بصفحتِهِ الجَنوبُ فأُرْعِدا
يشتاقُه الشَّرْبُ[٣] الكرامُ وكلّما مَرِض النّسيمُ سرَوا إليه عُوَّدا[٤]

وقال أبو الفضل المِيكاليّ: [من الكامل]

أعددتُ محتفِلًا ليومِ فَراغي روضًا غدا إنسانَ عينِ الباغِ[٥]
روضًا يَرُوض همومَ قلبي حُسنُه فيه لكأسِ اللّهو أيُّ مَساغِ
فإذا انثنت قُضبانُ رَيحانٍ به حيّت بمِثلِ سلاسلِ الأصداغِ

---

(١) النطول: ماء تغلى فيه الأدوية والحشائش ويصبّ فاترًا على العضو المصاب. والإكباب: المداومة.

(٢) المرزنجوش والمردقوش واحد، واللفظة فارسية، نبات عطري من فصيلة الشفويّات، ذو ورق دقيق وزهر صغير، له فوائد طبّية، ويستعمل تابلًا ومقبّلًا في الطعام.

(٣) الشرب: جماعة الشاربين.

(٤) عوّاد: جماعة العائدين وزوّار المريض.

(٥) الباغ: لفظة فارسية، وتعني البستان والجنينة.

وقال أبو هلال العسكريّ: [من الوافر]

وخُضرٍ تَجمع الأعجازُ منها مَناطقَ[1] مِثلَ أطواقِ الحمَامِ
لها حُسنُ العوارض[2] حين تبدو وفيها لِينُ أعطاف الغلامِ

وقال مؤيّد الدّين الطُّغرائيّ: [من الوافر]

مَراضيعٌ من الرَّيحان تُسقَى سَقيطَ الطَّلِّ أو دَرَّ العِهَادِ[3]
ملابسُهنّ خُضرٌ مشبَعاتٌ تشير بزِيِّهنّ إلى السواد
إذا ذَرّت عليها المِسكَ ريحٌ وجاد يفيضهنّ يدُ الغوادي[4]
تَخلَّلَها الرياحُ فسرّحتْها صنيعَ المُشط في اللِّمَمِ الجِعادِ[5]
جرت وَهْنًا بها وسَرَتْ عليها فطاب نسيمُها في كلِّ وادي

وقال ابنُ أفلحَ الأندلسيّ: [من مجزوء الكامل]

وحَماجِمِ كأسنّةٍ في كلِّ معتدِلٍ قويمْ
أو أنجمٍ نَزَعتْ لتَحـ ـرِق كلَّ شيطانٍ رجيمْ[6]
أو مِثلِ أعرافِ الدُّيو ك لدى مبارَزة الخصومْ
أو كالشَّقيق تَحرّشتْ بفروعِه أيدي النسيمْ
أو ثاكلٍ[7] صَبَغتْ بَنا نَا من دم الخدّ اللَّطيمْ[8]

وقال آخَر: [من الوافر]

ورَيحانٍ تَميس به غصونٌ يطيب بشَمِّه شُربُ الكُؤوسِ
كسُودانٍ لَبِسن ثيابَ خَزٍّ وقد تُرِكُوا مَكاشيفَ الرُّؤوسِ

---

(١) مناطق، جمع منطقة: وهي النطاق والحزام، يتمنطق به الخصر.
(٢) العوارض: الأسنان. (٣) العهاد: اسم مطر يهطل في أوّل الربيع.
(٤) الغوادي: السحائب الممطرة في الغداة.
(٥) اللّمم: جمع لمّة، وهي شعر الرأس المجتمع، والجعاد، بخلاف المرسلة.
(٦) رجيم: ملعون.
(٧) الثاكل والثكلى، واحد، وهي المرأة تفقد ولدها.
(٨) اللطيم: الملطوم، أي المضروب باليد.

وقال آخَر: [من السريع]

أما ترى الرَّيحانَ أهْدَى لنا ... حَماجِمًا منه فأحيانا
تحسَبه في طَلِّه والنَّدَى ... زمرّدًا يَخمِل مَرجانا

وقال آخَرُ في الشاهِسْفَرَم: [من الطويل]

وقامةِ رَيحانٍ أنيقٍ نباتُها ... غذاها نميرُ الماء سَقيًا على قَدْرِ
تَكلَّلَ أعلاها بنظمٍ محبَّرٍ[1] ... وضاق عليها الزِّيُّ بالوَرق الخضرِ
وفاحت بنَشْرٍ طيّبِ الشَّمِّ عاطرٍ ... له نَشَواتُ المِسْكِ في سائر العِطرِ
فأصبح شاهًا للرّياحين كلِّها ... فليس لها ما دام شيءٌ من الأمرِ

وقال أبو سعيد الأصفَهانيّ: [من الطويل]

وشمّامةٍ مخضرّةِ اللّونِ غَضّةٍ ... حوت مَنظَرًا للناظرين أنِيقا
إذا شمَّها المعشوقُ خلتَ اخضرارَها ... ووجنتَه فَيْرُوزَجًا وعقيقا

وقال ابنُ وكيع في الصّعتريّ: [من الخفيف]

صَعتريٌّ أدَقّ من أرجل النّمـ ... ـل وأذكى من نفحة الزّعفرانه
كسطورٍ كُسِين نَقْطًا وَشَكْلا ... من يَدَيْ كاتب ظريفِ البَنانِ

وقال أبو بكر الخُوارَزْميّ: [من الرجز]

وَصفتُ رَيحانًا إذا ما وَصَفَهْ ... واصفُه قيل له: زِدْ في الصِّفَهْ
دقَّقَه صانعُه ولطَّفَهْ ... كأنّه وَشْمٌ[2] يدٍ مطرَّفَهْ
أو خطُّ ورّاقٍ أدقَّ أحرُفَهْ ... أو زَغَباتُ[3] طائرٍ مصفَّفَهْ
* أو حُلّةٌ مخضرّةٌ مفوَّفَهْ[4] *

---

(١) محبّر: مزيّن، وموشّى، كالحبرة، وهي الحلّة المخطّطة.
(٢) الوشم: غرز الإبرة في البدن وذرّ النّيلج عليه، وما يحدثه الوشم في اليد أو الوجه من الخطوط يغلب عليه الزّرقة.
(٣) زغبات: جمع زغبة، وهي الشعرة الصغيرة الناعمة جدًا.
(٤) مفوّفة: رقيقة، أو فيها خطوط بيض على الطول.

وقال صاعد الأندلسيُّ[١] في الأترنجانيّ: [من البسيط]

لـم أَدْرِ قـبـلَ تُـرُنْـجـانٍ مـررتُ بـه ... أنّ الـــزمـــردَ أغـــصـــانٌ وأوراقُ

مِـن طـيـبِـهِ سرق الأُتْـرُجُّ نَـكْـهَـتَـه ... يا قومُ حتّى مِن الأشجار سُرّاقُ

وقال آخَرُ وأجاد: [من الوافر]

ذكـيُّ الـعَـرْف[٢] مشكـورُ الأيـادي ... كـريـمٌ عِـرقُـه يُـسـلِـي الـحـزيـنـا

أغـارَ عـلـى الـتُّـرُنْـج وقـد حـكـاه ... وزاد عـلـى اسـمِـه أَلِـفًـا ونـونـا

(١) هو صاعد الأندلسي، وكنيته أبو القاسم، واسمه أحمد، لقّب بصاعد. قاضٍ وأديب ومؤرّخ أندلسي، قرطبي الأصل، ولي قضاء المالكية في طليطلة. أشهر مصنّفاته: «طبقات الأمم» و«مقالات أهل الملل والنحل» و«إصلاح حركات النجوم». توفي سنة ١٠٧٠ م.

(٢) العرف: الرائحة.

القسم الرابع

من الفن الرابع في الرّياض والأزهار
ويتّصل به الصُّموغ والأمنان والعصائر

وفيه أربعة أبواب:

الباب الأوّل

من هذا القسم من هذا الفن
في الرّياض وما وُصِفتْ به نظمًا ونثرًا

اتَّفَق جوّابو[1] الأقطار أنّ مستنزَهاتِ الدنيا أربعةُ مواضع؛ وهي صُغْدُ سَمَرْقَنْد[2]، وشِعبُ بَوّان[3]، ونهرُ الأُبُلّة[4]، وغُوطةُ دِمَشق[5]؛ وقد رأيتُ أن أصفَ هذه المستنزَهات بصفاتها التي شاهدتُها ونُقِلتْ إليّ، وأخبارِها التي عاينتُها وقُصّتْ أنباؤها عليّ؛ فقلتُ في ذلك: ألذُّ ما تَمتّعتْ بحسنه النواظر، وأبهى ما ارتاحت النفوس إلى أزهارِه النّواضر؛ وصفُ رياضٍ تاهت الأرضُ على السماء بأزهارِها، وباهت أنوارَ الكواكب بنُورِها ونُوّارِها.

فمنها صُغْدُ سَمَرْقَنْد ـ الذي تَحُفّ به بساتينُ كست زهرتُها من الأرض عاريها، وأصبح للسماء بكاءٌ في جوانبها وللرَّوض ابتسامٌ في نواحِيها، تتخلّلُها

---

(١) جوّابو: عابرو، ومرتادو.

(٢) سمرقند: مدينة قريبة من بخارى، في الشمال الشرقي من أفغانستان.

(٣) شعب بوّان: شعب عظيم بين العراق وبلاد فارس. ذكره المتنبي في شعره ووصفه جماله أبدع وصف، وأول بيت من قصيدته في وصف شعب بوّان هو التالي:

مغاني الشعب طيبًا في المغاني ... بمنزلة الربيع من الزمان

انظر: ديوان المتنبي، من ٤٣٤ ـ ٤٣٦.

(٤) نهر الأُبلّة، في العراق، إلى الجنوب، وقد يكون ملتقى دجلة والفرات، أو ما يعرف اليوم بشطّ العرب.

(٥) غوطة دمشق: ما يحيط بها من جنّات وبساتين، وتطلق على القسم الشرقي منها خاصةً.

قُصورٌ يتضاءل سَنا[١] النّجم في آفاقِها، وتَحتجب الغزالةُ[٢] عند طلوعها حياءً من بهجتِها وإشراقِها.

ومِنها شِعْبُ بَوّان ـ الذي غدت مغانيه[٣] معانيَ للزّمان، وقَصُرتْ الألسنُ عن وصف محاسنه وطالت إلى اقتطاف ثمرهِ البَنان؛ تكاد شمسُه تَغرُب عند الإشراق، ولا تتخلل أشجارَه إلا والحياءُ يعيدها في قبضة الإطراق، يستغنِي بغُدرانه عن صَوب الصَّيِّب[٤]، ولقد أبدَع في وصفه أبو الطَّيِّب[٥]: [من الوافر]

مَغاني الشِّعب طِيبًا في المَغانِي ... بمنزلة الرّبيع من الزمانِ
ولكنّ الفتى العَرَبيَّ فيها ... غريبُ الوجه واليدِ واللّسانِ
مَلاعبُ جِنّةٍ[٦] لو سار فيها ... سليمانٌ[٧] لسار بتُرْجُمَانِ
طَبَتْ فُرسانَنا والخيلَ حتّى ... خشيتُ وإن كَرُمن من الحِرانِ[٨]
غدونا تَنفُض الأغصانُ فيه ... على أعرافِها مِثلَ الجُمانِ[٩]
فسِرتُ وقد حَجَبن الشمسَ عنّي ... وجئن من الضّياء بما كفاني
وألقَى الشرقُ منها في ثيابي ... دنانيرًا تَفِرُّ من البَنانِ
لها ثمرٌ تشير إليك منه ... بأشربةٍ وقفن بلا أواني
وأمواهٌ يَصِلّ[١٠] بها حَصاها ... صَليلَ الحَلْي في أيدي الغَواني[١١]

---

(١) سنا: ارتفاع وضياء.
(٢) الغزالة: الشمس.
(٣) مغانيه: منازله العامرة بالسكّان.
(٤) صوب الصيّب: المطر المتدافع سقوطه.
(٥) أبو الطيّب: هو أحمد بن الحسين الجعفي، الملقّب بالمتنبّي، أحد أهم وأبرز وأشهر الشعراء العرب في العصر العباسي. ولد في الكوفة، وانتقل إلى الشام، فحلب، فطبرية، فمصر، ومدح الكثير من الأمراء، وأشهرهم سيف الدولة الحمداني، أمير مصر، وكافور الإخشيدي، حاكم مصر. وأخيرًا، قصد العراق فبلاد فارس، فمدح الأمراء البويهيين. مات في طريق عودته إلى العراق قتلًا على يد فاتك الأسدي سنة ٣٥٥ هـ.
(٦) جنّة: الجنّ، بخلاف الإنس.
(٧) سليمان: هو سليمان بن داود، النبيّ، إشارة إلى الجنّ التي خضعت له، واستخدمها في بناء العديد من الصروح والهياكل.
(٨) الحران: النفور والشموس.
(٩) الجمان: اللؤلؤ، وأعرافها: أي أعراف الخيل ونواصيها.
(١٠) يصلّ: يحدث صليلًا، صوتًا.
(١١) الغواني: جمع غانية، وهي التي غنيت بجمالها وحسنها.

إذا غنّى الحَمامُ الوُرْقُ[1] فيها أجابتْها أغانيُّ القِيانِ[2]
ومَن بالشِّعب أحوَجُ من حَمامٍ إذا غَنّى وناح إلى بيانِ
وقد يتقارب الوصفان جدًّا وموصوفاهما متباعدانِ
يقول بشِعبِ بَوّانٍ حِصاني أعَن هذا تسير إلى الطِّعانِ
أبوكم آدمٌ سَنَّ المعاصي وعلّمكم مفارَقة الجِنانِ

وأجاد السّلامي[3] حيث قال: [من البسيط]

إشربْ على الشِّعب واحلُل روضةً أُنُفًا[4]
قد زاد في حسنه فازدد به شغَفا[5]
إذ أَلْبَسَ الهِيفَ[6] من أغصانه حُللًا
ولَقَّنَ العُجْم من أطيارِه نُتَفا[7]
ونَمَّرتْ[8] حُسنَه الأغصانُ مثمِرةً
مِن نازعٍ قُرُطًا[9] أو لابسٍ شَنَفا[10]
والماءُ يَثني على أعطافِها أُزُرًا
والرّيحُ تَعقِدُ من أطرافها شُرَفا
والشمسُ تَخرِق من أشجارها طَرَفا
بنُورها فتُرينا تحتَها طُرَفا[11]
مِن قائلٍ نَسَجتْ دِرْعًا مفضَّضةً
أو قائلٍ ذهَّبتْ أو فَضَّضتْ صُحُفا

---

(١) الورق: صفة للحمام. (٢) القيان: جمع قينة، وهي المغنية.
(٣) السلامي: وكنيته أبو الحسن، شاعر بغدادي، مدح الصاحب بن عباد، ثم انقطع إلى عضد الدولة البويهي بشيراز. مات سنة ١٠٠٣ م.
(٤) الأنف: البكر التي لم تمسّ ولم تُدْعَ. (٥) شغفًا: ولعًا وحبًّا.
(٦) الهيف: جمع هيفاء، وهي الناحلة الضعيفة. (٧) نتفًا: جمع نتفة، وهي القطعة من الشيء.
(٨) نمّرت: زيّنت ورصّعت. (٩) القرط: الشنف يلبس أو يعلّق بالأذن للزينة.
(١٠) الشنف: القرط تزدان به الأذن كلّها أو من أعلى.
(١١) طرفًا: طرائف وبدائع نادرة.

ظَلَّت تَزُفّ إلى الدنيا محاسنَها
وتستعيد لها الألطافَ والتُّحَفا[١]
من عارضٍ[٢] وَكَفا[٣] أو بارقٍ خَطَفا
أو طائرٍ هَتَفا أو سائرٍ وَقَفا
ولستُ أُحْصِي حَصَى الياقوت فيه ولا
دُرًّا أصادفه في مائه صَدَفا
يَظُنّ من وقفتْ فيه الشجونُ[٤] به
أنّ الصّبابةَ[٥] شابت والهوى خَرِفا
تَعسَّفَ[٦] الشوقَ فيه كلُّ ذي شَجِنٍ
والشوقُ ألطَفه ما كان معتَسَفا
فاحلُل عُرا الهمّ واشربها معتَّقةً[٧]
رَقّ النسيمُ مباراةً لها وصَفا

ومنها نهرُ الأُبُلّة ـ الّذي طوله أربعُ فراسخ، ورؤوسُ نخلِهِ على وجه الأرض شوارفُ وأصولُها في الثَّرَى رواسخ؛ بجانبيه بساتينُ إن هَبَّ النسيمُ بأغصانها تعانقَتْ وتمايلتْ، وإن لَعِب بأفنانها تناظرَتْ وتماثلتْ؛ كأنّما غُرِستْ في يوم واحدٍ شجراتُه، وقامت على خَطّ الاستواء نَخَلاتُه؛ وفيه يقول التَّنُوخيُّ[٨] شاعرُ اليتيمة[٩]: [من الكامل]

وإذا نظرتَ إلى الأُبُلّة خِلْتَها   من جنّة الفردوسِ حين تُخيَّلُ

(١) التحف: الأشياء الثمينة النادرة التي تتحف. (٢) العارض: المطر المنهمر بقوّة.
(٣) وكف: انهمر. (٤) الشجون: الهموم.
(٥) الصبابة: الشوق والحبّ. (٦) تعسّف: ركب.
(٧) معتقة: صفة للخمرة القديمة.
(٨) التنوخي: وكنيته أبو علي، واسمه المحسّن، من القضاة والأدباء والشعراء البصريّين. تولّى قضاء بغداد، ثم قضاء الأهواز، له من المصنّفات والكتب «نشوار المحاضرة» و«الفرج بعد الشدّة». مات في بغداد سنة ٩٩٤ م.
(٩) اليتيمة، هي «يتيمة الدهر في شعراء أهل مصر» الكتاب الجامع، للثعالبي، تضمّن أجمل شعر الشعراء المعاصرين له.

كم منزلٍ في نهرِها آلَى[١] السّرو ... ر بأنّه في غيرِه لا ينزِلُ
فكأنّما تلك القصورُ عرائسٌ ... والزهرُ وشيٌ فهي فيه تَرْفُلُ[٢]
غنّت قِيانُ الطّير في أرجائه ... هَزَجًا[٣] يَقِلّ له الثقيلُ الأوّلُ[٤]
وتعانقتْ تلك الغصونُ فأذكرتْ ... يومَ الوَداع وعِيرُهم[٥] تترحّلُ
رَبَعَ الربيعُ بها فحاكت كفُّه ... حُللًا بها عُقَد الهمومِ تُحلَّلُ
فمدبَّجٌ موشَّحٌ ومدنَّرٌ ... ومعمَّدٌ ومحبَّرٌ ومهلَّلُ[٦]
فتخال ذا عَينًا وذا ثَغرًا وذا ... خدًا يعضَّض تارةً ويقبَّلُ

ومنها غُوطةُ دِمَشقَ ـ التي هي شَرَكُ[٧] العقول وقَيْدُ الخواطر، وعِقالُ النفوس ونزهةُ النواظر، خَلْخَلتْ الأنهارُ أسوُقَ أشجارِها، وجاست المياهُ خِلالَ ديارِها؛ وصافحتْ أيدي النسيم أكُفَّ غُدرانِها، ومُثّلتْ في باطنِها موانسُ أغصانها؛ يَخال سالكُها أن الشمس قد نَثرتْ على أثوابه دنانيرَ لا يستطيع أن يقبضها ببَنان، ويَتوهّم المتأمّل لثمراتها أنّها أشربةٌ قد وقفتْ بغير أوانٍ في كلّ أوان؛ فيا لها مِن رياضٍ مَن لم يَطُفْ بزَهرِها من قبل أن يحلّق فقد قصّر، ومن غِياضٍ[٨] مَن لم يشاهدها في إبّانِها فقد فاته من عمره الأكثر.

وهذه الأربعةُ الأماكن أجمَعَ جَوّابُو الأقطار على تفضيلها على ما عداها، وتمييزها على ما سواها.

وللناس في وصف الرّياض محاسنُ سنذكر منها النَّزْرَ اليسير، ونقتصر على لُمْعةٍ[٩] ليس لنَضارتها[١٠] نظير.

فمن ذلك قولُ الثعالبيُّ في (سحر البلاغة وسرّ البراعة): روضةٌ رقّت حواشيها وتأنّقَ واشيها؛ أشجارُها كالعرائش في حُلَلِها وزخارِفها، والقيانِ في وشيها

(١) آلَى: قسم، وحلف. (٢) ترفل: تزدان، وتتبختر.
(٣) هزجًا: طربًا. والهزج: من الأصوات في الغناء، وهي العروض، من الأوزان الشعرية.
(٤) الثقيل الأول، من الألحان. (٥) العير: القافلة.
(٦) جميع هذه الأسماء من المفاعيل، متشابهة المعنى تقريبًا، يجمعها الوشي والزّينة والترصيع.
(٧) شرك: مصيدة.
(٨) غياض: جمع غيضة، وهي مجتمع الشجر الكثيف، والعشب والزهر.
(٩) لمعة: نبذة قصيرة، ونتفة. (١٠) نضارتها: بهجتها وحسنها.

ومَطارِفها[١]؛ باسطةً زَرابيَّها[٢] وأنماطها[٣]، ناشرةً حِبَرَها[٤] ورِياطَها[٥]؛ كأنّما احتَفلَتْ لوفد، أو هي من حبيبٍ على وعد.

ومن كلامه أيضًا: روضةٌ قد تَضوّعتْ بالأرَج الطيِّب أرجاؤها، وتَبرّجتْ في ظُلل الغمام صَحراؤها؛ وتنافحتْ بنَوافج المِسك[٦] أنوارها، وتفاوضت بغرائب المنطق أطيارُها؛ بها أشجارٌ كأنّ الخُرَّد[٧] أعارَتْها قُدودَها، وكستْها بُرودَها، وحَلّتْها عقودَها.

ومن كلام الفتح بنِ خاقانَ في (قلائد العقيان)[٨]: حتى استقرّوا بالرَّوض فحَلّوا منه ذَرا أيكٍ[٩] ربيع مفوَّفةٍ[١٠] بالأزهار، ومطرَّزةٍ بالجداول والأنهار، والغصونُ تختال في أدواجِها، وتنثني في أكُفِّ أرواحِها.

ومن كلامه أيضًا: روضٌ مفترُّ المَباسم، معطَّرُ الرياح النَّواسم؛ قد صَقَل الربيعُ حَوْذَانه[١١]، وأنطَق بلبلَه ووَرَشانه[١٢]، وألْحَفَ غصونَه بُرودًا مخضرّة، وجَعل إشراقَه للشمس ضَرَّه، وأزاهيرَه تنير على الكواكب، وتختال في خِلَع الغمائم السَّواكب.

ومن كلامه: روضةٌ لم يَجُلْ في مِثْلِها ناظر، ولم تَدَّع حُسنَها الخدودُ النَّواضر؛ غصونٌ تثنّيها الرياح، ومياهٌ لها انسياح، وحدائقُ تُهْدِي الأرَجَ والعَرْف[١٣]، وتُبْهِج النفَس وتُمتع الطَّرْف.

(١) مطارفها: جمع مطرف، وهو الثوب أو كل شيء فيه وشي وحلي.
(٢) زرابيها: جمع زربيّ، وهو البساط والفراش.
(٣) أنماطها: جمع نمط، وهو ضرب من البُسُط، أو الثياب الصوفية تطرح على الهودج.
(٤) حبرها: جمع حبرة، وهي ضرب من برود اليمن.
(٥) رياطها: جمع ريطة، وهي الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ونسجًا واحدًا.
(٦) نوافج المسك: أوعيته.
(٧) الخرّد: جمع خريدة، وهي الفتاة البكر التي لم تمسّ.
(٨) قلائد العقيان في محاسن الأعيان: كتاب ألّفه الفتح بن خاقان الإشبيلي، جمع فيه أخبار شعراء المغرب، وشعرهم، وقدّمه للأمير إبراهيم بن يوسف بن تاشفين.
(٩) ذرا أيك: أعالي الأيك، والأيك: الشجر الكثير الملتفّ.
(١٠) مفوّفة: رقيقة، ومخطّطة بخطوط بيض.
(١١) حوذانه: ضرب من الأزهار.
(١٢) الورشان: ضرب من الطيور والحمائم البرّية، لونها أكدر، وفيه بياض فوق الذنب.
(١٣) العرف: الأرج، والرائحة الطيّبة.

ومن كلامه: روضةٌ قد تأرّجتْ نَفحاتُها، وتَدبّجتْ ساحاتُها، وتفتّحتْ كمائمُها، وأَفصحتْ حمائمُها؛ وتجرّدتْ جداولُها كالبواتر[١]، ورمَقتْ أزهارُها بعيون الجآذِر[٢].

وقد أكثر الشعراءُ في وصف الرّياض والغصون ـ فمن ذلك قولُ ابنِ الروميّ: [من البسيط]

حيّتكَ عمّا شَمالٌ طاف طائفُها ... في جَنّةٍ قد حوت رَوحًا[٣] ورَيحانا
هبّت سُحيرًا فناجَى الغصنُ صاحبَه ... سرًّا بها وتَداعَى[٤] الطيرُ إعلانا
وُرقٌ[٥] تغنّي على خضرٍ مهدَّلةٍ ... تسمو بها وتَشمّ الأرضَ أحيانا
تَخال طائرَها نشوانَ من طربٍ ... والغصنَ مِن هزِّه عِطفيه نَشوانا

وقال أبو إسحٰق إبراهيمُ بنُ خَفاجَة[٦]: [من مخلّع البسيط]

سَقْيًا لها من بِطاحِ[٧] أنسٍ ... ودَوحِ حُسنٍ بها مُطِلّ
فما تَرَى غيرَ وجهِ شمسٍ ... أطلّ فيه عِذارُ ظِلّ

وقال أيضًا من أبيات: [من الكامل]

والرّوضُ محنيُّ المَعاطف خِلتُه ... نشوانَ تَعطفه الصَّبا فيَميلُ
ريّانُ فَضّضهُ النّدى ثم انْجلَى ... عنه فذهّب صفحتيه أصيلُ[٨]

وقال الأخيطلُ الأهوازيُّ منشدًا: [من الكامل]

الروضُ يَنْشُر رَفْرَفًا وحريرًا ... ومَطارفًا من سندسٍ وحَبِيرا[٩]
حَلّ الربيعُ نِقابَ كلّ خَميلةٍ[١٠] ... فأراك من صورَ النبات سُفورا

---

(١) البواتر: صفة للسيوف القاطعة التي تبتر وتقطع.
(٢) الجآذر: جمع جؤذر، وهو ولد البقر الوحشيّ.
(٣) الرّوح: الريح والرائحة التي تحيي الروح.
(٤) تداعى: تجاوب. (٥) ورق: صفة للحمائم.
(٦) هو إبراهيم بن خفاجة، الشاعر الأندلسي، أبدع في وصف الطبيعة والرياض. مات سنة ١١٣٨ م.
(٧) بطاح: جمع بطحاء، وهي كل أرض منبسطة بين جبلين أو أكثر.
(٨) الأصيل: الوقت قبيل مغيب الشمس.
(٩) حبير: حِبر، أي حلل وبرود من برود اليمن.
(١٠) الخميلة: الجنينة، ومجتمع الشجر الملتفّ الأغصان.

غِيدُ القوام إذا النسيمُ أمالَها ... ألقين عند صدورهنّ نُحورا
ينحلّ عنهنّ النّدى فتَخال ما ... ينحلّ عنها لؤلؤًا منشورا
كسلُ النعيم يَدِبّ في حركاتها ... فيريك في أعطافهنّ فُتورا

وقال أبو عُبادةَ البحتريّ: [من الكامل]

هذي الرياضُ بدا لطرفك نَوْرُها[١] ... فأرتك أحسنَ من رِياطِ[٢] السّندسِ
ينشرن وشيًا مُذهبًا ومدبَّجًا ... ومَطارفًا[٣] نُسِجتْ لغير المَلْبَسِ
وأرتك كافورًا وتبرا مُشْرِقًا ... في قائمٍ مثلِ الزمردِ أملَسِ
متمايل الأعطاف في حركاته ... كسلُ النعيم وفترةُ المتنفِّسِ
متحلّيًا من كلّ حُسنٍ مُونقٍ ... متنفِّسًا بالمِسك أيَّ تنفُّسِ

وقال التّنوخيّ: [من البسيط]

أما ترى الروضَ قد وافاك مبتسمًا ... ومدَّ نحوَ النَّدامَى للسَّلام يدَا
فأخضرٌ ناضرٌ في أبيضٍ يَقَقٍ[٤] ... وأصفرٌ فاقعٌ في أحمرٍ نُضِدا
مِثل الرّقيب بدا للعاشقين ضُحًى ... فأحمرّ ذا خَجَلًا واًصفرّ ذا كمدا[٥]

وقال أبو بكر الصَّنَوْبَريّ: [من المنسرح]

تَشَبُّهُ الرَّوض بالحبائب قد ... زاد المحبّين في مَحبّتِها
كم من قُدودٍ هناك مِن قُضُبٍ ... تميل من لينِها ونَعمتها
كم وجنةٍ خالُها[٦] يلوح لنا ... سوادُه في صَفاء حُمرتِها
وكم ثنايا تَسْبي بنَكْهَتِها[٧] ... وكم عيونٍ تُصبي[٨] بلحظتِها
تُسارِق الغَمْزَ غَمْزَ خائفةٍ ... رقيبَها من خفاءِ نظرتِها

---

(١) نورها: زهرها.
(٢) رياط، جمع ريطة: وهي الملاءة.
(٣) مطارف، جمع مطرف: وهو الثوب الموشّى المجزّع.
(٤) يقق: شديد البياض.
(٥) كمدًا: حزنًا.
(٦) خالها: الخال، العلامة أو السيماء أو النكتة السوداء في الخدّ.
(٧) نكهتها: رائحتها.
(٨) تصبي: تبعث على الصّبابة.

وقال أبو طاهر بنُ الخُبْزَأرزيّ[1]: [من المنسرح]

وروضةٍ راضَها النَّدَى فغدا ... لها من الزَّهر أنجمٌ زُهُرُ
تَنْشُر فيها أيدي الرّبيع لنا ... ثوبًا من الوَشْي حاكَه القَطْرُ

وقال منصور بنُ الحاكم: [من الخفيف]

روضةٌ غَضّةٌ عَلاها ضَبابٌ ... قد تجلّت خلالَها الأنوارُ
فهي تَحْكِي مَجامِرًا[2] مُذكَياتٍ[3] ... قد عَلاها من البَخور بُخارُ

وقال سعيدُ بنُ حُمَيْد مُقْسِمًا: [من الخفيف]

لا وزهرِ الرياض تَجْرِي عليها ... باكياتٌ ضَواحكَ النُّوّارِ[4]
صافحتْها الرياحُ فاعتَنَق الرو ... ضُ ومالت طِواله للقِصارِ
لائذًا بعضُه ببعضٍ كقوم ... في عتاب مكرَّرٍ واعتذارِ
ما خلفناك بالقبيح ولا الذ ... مُّ على البُعد واقترابِ المَزارِ

وقال أبو هلال العسكريّ: [من الرجز]

وروضةٍ حاليةِ الصدورِ ... كاسيةِ البطونِ والظهورِ
محمودةِ المخبور والمنظورِ ... مُونِقةِ[5] المطويِّ والمنشورِ
معجبةِ الظاهرِ والمستورِ ... ضاحكةٍ كالوافد المحبورِ
باكيةٍ كالعاشق المهجورِ ... شذَّرها[6] الغيثُ[7] بلا شُذورِ
شقائقٌ كناظرِ المخمورُ ... وأقحوانٌ كثُغورِ الحُورِ[8]
ونرجسٌ كأنجم الدَّيْجُورِ[9] ... والطَّلُّ منثورٌ على المنثورِ

* يرصِّع الياقوتَ بالبَلّورِ *

---

(١) هو نصر الخبزأرزّي، الشاعر البصري، قصر شعره على الوصف والغزل. مات سنة ٩٣٩ م.
(٢) مجامر: جمع مجمرة، وهي الوعاء يوضع فيه الخمر.
(٣) مذكيات: مشتعلات. (٤) النّوّار: الزهر.
(٥) مونقة: حسنة المنظر والرونق.
(٦) شذّرها: جعلها شذورًا، أي قطعًا من الذهب.
(٧) الغيث: المطر.
(٨) الحور: جمع حوراء، وهي الفتاة فيها حور، أي شدّة بياض العين وسوادها.
(٩) الديجور: الظلام.

وقال أيضًا: [من الخفيف]

لَبِس الماءُ والهواءُ صَفاءَ ... واكْتَسَى الروضُ بهجةً وبَهاءَ

فكأنّ النّهاءَ[1] صرن رياضًا ... وكأنّ الرياضَ عُدن نِهاءَ

وكأنّ الهواءَ صار رَحيقًا[2] ... وكأنّ الرحيقَ صار هَواءَ

وتَخال السماءَ بالليل أرضًا ... وترَى الأرضَ بالنهار سماءَ

جلّلَتْها الأنوار زُهْرًا وصُفْرًا ... يومَ ظَلّت تُنادِمِ الأنواءَ[3]

فتَراها ما بين نَوْرٍ ونَوْءٍ ... تَتكافا تبسُّمًا وبُكاءَ

وتَظَلُّ الأشجارُ تَتَّخِذ الحسـ ... ـن قميصًا أو الجمالَ رِداءَ

وترَى السَّرْوَ كالمنابر تُزْهَى ... وترَى الطيرَ فوقها خطباءَ

وقال كُشاجِم[4]: [من المتقارب]

أرتك يدُ الغيث آثارَها ... وأعلنت الأرضُ أسرارَها

وكانت أكَنتِ لِكانونِها[5] ... خبيئًا فأعطته آذارَها

فما تقع العينُ إلّا على ... رياض تصنِّف أنوارَها

يفتّح فيها نسيمُ الصَّبا ... خِباها ويَهتِك أستارَها

ويَسفح فيها دماءَ الشّقيق نَدًى ظَلّ يفتضّ أبكارَها

ويُدنِي إلى بعضِها بعضَها ... كضمّ الأحبّةِ زُوّارَها

كأنّ تَفتُّحها بالضُّحى ... عَذارَى تُحلِّل أزرارَها

تَغُضّ لنرجسها أعينًا ... وطَورًا تحدِّق أبصارَها

إذا مُزْنةٌ[6] سكبتْ ماءها ... على بقعة أشعَلتْ نارَها

---

(١) النهاء: مسايل الماء.
(٢) رحيقًا: ضربًا من الطيب.
(٣) الأنواء: الأمطار الساقطة تبعًا للنجوم المسمّاة بالأنواء.
(٤) كشاجم: هو أبو الفتح محمود، الشاعر والكاتب والعالم بالفلك. فارسي الأصل. أقام في العراق ثم الشام، ثم في حلب، ومدح بني حمدان. له «أدب النديم» وديوان شعر مطبوع. مات سنة ٩٦٠ م.
(٥) كانونها: موقد النار، وكانون، أحد الكانونين الأول والثاني من شهور السنة.
(٦) المزنة: الغيمة الممطرة.

وقال البَسّاميّ: [من البسيط]

أما ترى الأرضَ قد أعطتك زهرتَها مخضرّةً واكْتَسَى بالنّور عارِيها
فلِلسماء بكاءٌ في جوانبها وللربيع ابتسامٌ في نواحِيها

وقال آخَر: [من المنسرح]

قهقةَ[1] زهرُ الربيع فاستبشَرْ واكتسَتْ الأرضُ مِطْرَفًا[2] أخضرْ
ترى ربيعًا نُوّارُه ذهبٌ ماء لُجَيْن حَضباؤه[3] جَوهرْ
عَطَّل صبّاغُه الخدودَ بما وَرَّدَ من صِبغِها وما عَصفَرْ[4]
لابسُ قُمصٍ من العقيق على غلائلٍ من زبرجدٍ أخضرْ

وقال المعوّج: [من الطويل]

حِقاقٌ[5] من النُّوّار مزرورةُ[6] العُرا على قِطَع الياقوت واللؤلؤ الغَضّ
فهنَّ على الأغصان أجفان يقظة وبالأمسِ كانت مطبَقاتٍ على الغَمضِ

وقال ابنُ الساعاتيّ: [من البسيط]

لله ما شُقّ من جَيب الرياض بها
وحبّذا من ذُيول السُّحب ما سُحبا
يا ضاحكَ الوَمْض[7] والأنواءُ باكيةٌ
أشبهتَ لَمْياءَ[8] إلّا الظَّلْمَ[9] والشَّنَبا[10]

وقال أيضًا: [من الكامل]

يا حبّذا زمنُ الربيع ودَوْحُه قَيْدُ النواظر بل عُقالُ الأنفُسِ
وافاك يَبْسِم والغمامُ معبِّسٌ فأعجب لطلعة باسمٍ ومعبِّس

---

(١) قهقة: ضحك عاليًا. (٢) مطرفًا: ثوبًا موشّى.
(٣) حصباؤه: حجارته.
(٤) عصفر: لوّن بالعصفر، وهو نبت أصفر اللّون.
(٥) حقاق: جمع حق وحقّة، وهي الوعاء. (٦) مزرورة: مجتمعة موثّقة.
(٧) الومض: البرق واللمعان.
(٨) اللمياء: التي في شفاهها لمى، وهو الزرقة في الشفاه والسواد.
(٩) الظلم: بياض الأسنان ولمعانها.
(١٠) الشنب: الطراوة والعذوبة، وتحديد أطراف الأسنان.

جُليتْ عرائسُه فهَمُ قلوبنا والّلهوُ بين مقوِّضٍ ومعرِّسِ[1]
أنفاسُه من عنبرٍ وسماؤه من لؤلؤ وبِساطُه من سندسِ

وقال أبو عُبادةَ البحتريُّ: [من الطويل]

ولا زال مخضرٌّ من الروض يانعٌ عليه بمحمرٌ من النَّوْرِ جاسدِ[2]
يذكّرني ريّا[3] الأحبّة كلّما تنفَّسَ في جُنحٍ من الليل باردِ

وقال السَّرَويّ: [من الطويل]

غدونا على الرَّوْض الّذي طَلَّه النَّدَى سُحيرًا وأوداجُ الأباريق[4] تُسفَكُ
فلم أرَ شيئًا كان أحسنَ منظَرًا من النَّور يجري دمعُه وهو يَضحكُ

وقال آخَر: [من الخفيف]

حظُّ عينٍ وحظُّ سمعٍ ربيعا نِ وتغريدُ بلبلٍ وهَزارِ[5]
في جِلاء من الزمان ووجهُ الأر ض يُكسَى وشائعَ[6] النُّوّارِ
بابيضاضٍ محدَّقٍ باخضرارٍ واصفرارٍ مبطَّنٍ باحمرارِ
كلّما أشرقت شُموسُ الأقاحِي خِلتَ إحدى الشُّموس شمسَ النهار

وقال كُشاجِم: [من الوافر]

وروضٍ عن صنيعِ الغَيْثِ[7] راضٍ كما رضيَ الصديقُ عن الصديقِ
إذا ما القَطر أسعدَه صَبوحًا[8] أتَمَّ له الصنيعةَ في الغَبوقِ[9]
يُعير الرِّيحَ بالنفَحاتِ رِيحًا كأنَّ ثَراه من مِسكٍ سَحيقِ[10]
كأنَّ الطَّلّ[11] منثِرًا عليه بقايا الدّمع في خدّ المَشوقِ

---

(١) المقوّض: مرتحل. والمعرّس: النازل للاستراحة قبل استئناف المسير.
(٢) جاسد: لونه لون الزعفران الأحمر، والجاسد: الدّم اللاصق بالشيء.
(٣) ريّا: رائحة.
(٤) أوداج الأباريق: كناية عن أوعية الخمر التي تسيل خمرًا.
(٥) الهزار: البلبل، أو هو جنس من البلابل الغرّيدة.
(٦) وشائع: جمع وشيعة، وهي اللفيفة أيًا كانت.
(٧) الغيث: المطر. (٨) الصبوح: خمرة الصباح.
(٩) الغبوق: خمرة المساء. (١٠) سحيق: مسحوق مفتّت.
(١١) الطّل: الندى.

كأنج غصونَه سُقيتْ رَحيقًا[١] فماست مَيْسَ شُرّاب الرّحيقِ
كأنّ شقائقَ النّعمان فيه محضَّرةٌ كؤوسًا من عقيقِ
كأنّ النرجسَ البَرّيَّ فيه مَداهنُ[٢] من لُجَيْنٍ للخَلوقِ[٣]
يذكِّرني بنفسَجُه بقايا صنيعِ اللّطم في الخدّ الرقيقِ

وقال ابنُ سكّرةَ الهاشميّ: [من السريع]

أما ترى الروضةَ قد نوّرتْ وظاهرَ الرّوضة قد أعشَبا
كأنّما الأرضُ سماءٌ لنا نَقطِف منها كوكبًا كوكبا

وقال عليُّ بنُ عطيّةَ البَلَنْسيّ: [من الوافر]

أدِيراها على الزّهر المندّى فحُكمُ الصّبح في الظّلماء ماضِي
وكأسُ الراح تنظر عن حَبابٍ[٤] ينوب لنا عن الحَدَقِ المِراضِ
وما غَربَتْ نجومُ اللّيل لكن نُقِلن من السّماء إلى الرياضِ

وقال شاعرٌ أندلسيّ: [من الطويل]

وفتيانِ صدقٍ عرّسُوا[٥] تحت دَوْحةٍ[٦] وما لهُم غير النبات فِراشُ
كأنّهم والنَّوْرُ يَسْقُط فوقهم مَصابيحُ تَهْوِي نحوهنّ فَراشُ

وقال أبو محمد الحسنُ بنُ عليِّ بنِ وكيع التِّنّيسيّ: [من الرجز]

أسْفَرَ عن بهجتهِ الدهرُ الأغرْ وابْتَسَم الروضُ لنا عن الزَّهَرْ
أبدَى لنا فصلُ الرّبيع مَنْظَرا بمثلِه تُفْتَن ألبابٌ[٧] البشَرْ
وَشْيا ولكن حاكَه صانعُه لا لابتذال اللّبس ولكن للنظرْ
عاينَه طرفُ السماء فأنثنت عشقًا له تَبكي بأجفانِ المطرْ

(١) رحيقًا: رائحة طيّبة، والرحيق الثانية: الخمرة.
(٢) مداهن: جمع مدهنة، وهي الوعاء للدهن وللطّيب.
(٣) الخلوق: ضرب من الطّيب يدّهن به.
(٤) حباب: فقاقيع تظهر على سطح الشراب.
(٥) عرّسوا: أقاموا ليلًا للاستراحة قبل معاودة السّير.
(٦) الدوحة: الشجرة الكبيرة.
(٧) ألباب: عقول.

فـالأرضُ فـي زيٍّ عَروسٍ فـوقَـها مـن أدمـع الـقَـطْـر نِثـارٌ مِـن دُررْ
وَشْـيٌ طَـواه فـي الـثَّـرى صيـانـةً حـتّـى إذا مَـلَّ مـن الـطّـيِّ نَـشَـرْ

وقال أبو طاهر بنُ أبي الرّبيع: [من الكامل]

وكـأنّ مَـوْلَّى[1] الـريـاض ضـرائرٌ تُزْهَى بخُضرتها على الخَضْراءِ[2]
قـد أبـرزَتْ زَهَـراتِـهـا وازَّيّـنـتْ وتـعـطّـرتْ وتَـبـرّجـتْ لـلرّائـي
والنَّوْرُ[3] منحسِرُ القِناع كما بدت لـلـنـاظِـريـن مـحـاسـنُ الـعَـذراءِ[4]
والـنـبـتُ رَيّـانٌ[5] الـمَـهَـزّة مـائـلٌ شَـرِهٌ مَـحـاجِـرُ زَهْـرِه بـالـمـاءِ

البابُ الثاني
من القسم الرابع من الفنّ الرابع
في الأزهار

ويشتمل هذا البابُ على ما قيل في الخِيرِيِّ ـ وهو المنثور ـ والسَّوْسَن، والآذَرْيُون والخُرَّم، والشَّقيق، والبَهار، والأُقْحُوان.

فأمّا الخِيريُّ وما قيل فيه ـ فالخِيريُّ هو المنثور ـ وهو مما أولِع الشعراءُ بوصفه.

فمن ذلك قولُ ابن وَكيع التِّنّيسيّ: [من الرجز]

أُنـظرْ إلـى الـمـنـثـور فـي مَـيْـدَانِـهِ يرنو إلى الناظر من حيث نَظَرْ
كـجـوهـرٍ مـخـتـلِـفٍ ألـوانُـه أسـلَـمَـه سِـلكُ نـظـامٍ فـانـتَـثَـرْ

وقال آخَر: [من السريع]

أُنـظـرْ إلـى الـمـنـثـور مـا بـيـنـنـا وقـد كـسـاه الـطـلُّ قُـمـصـانَـا
كـأنّـمـا صـاغـتـه أيـدي الـحَـيـا[6] مـن أحـمـرِ الـيـاقـوت قُـضْـبـانـا

(١) المولّى: ما سقي بالوليّ من الأرض والنبت والشجر. والوليّ: اسم مطر ربيعي.
(٢) الخضراء: صفة أو اسم يطلق على السماء. (٣) النور: الزهر.
(٤) العذراء: الفتاة البكر. (٥) ريّان: ممتلىء وناضر، من أثر المياه.
(٦) الحيا: المطر.

وقال أبو إسحٰق إبراهيمُ بنُ خفاجةَ يذكر كوتَة لا تَظهَر رائحتُه إلّا لَيْلًا: [من الطويل]

وخيريّةٍ بين النّسيم وبينَها حديثٌ إذا جَنّ[1] الظلامُ يَطيبُ
يَدِبّ مع الإمساء حتّى كأنّما له خلفَ أستار الظّلام حبيبُ

وقال أبو هلال العسكريّ: [من الرجز]

ألوانُ منثورٍ يريك حُسْنُها ألوانَ ياقوتٍ زها في عِقْدِهِ
يا حُسنَها في كَفّ مَن يشبهها فأنظرْ إلى النّدّ[2] بكَفّ نِدّهِ[3]
مِن أشهَلٍ[4] كعينِه وأبيضٍ كشغرِه وأحمرٍ كخَدِّهِ
وأصفرٍ مِثلِ صريعِ حُبّهِ إذا تغشّته غَواشِي صَدِّهِ

وقال آخَر: [من الطويل]

عَجبتُ من الخِيريّ أمتَع في الدّجَى وأصبَحَ رَيّاه مع الصّبح تُحجَبُ
فخِلتُ الرّيا طبعًا له مِثلَ ناسكٍ يرائي[5] نهارًا وهو باللّيل يَشرَبُ

وقال آخَر: [من السريع]

ما أكرمَ الخِيريَّ في فِعْلِهِ يَسْهَر إذ نَوْرُ الرُّبا ناعسُ
كأنّما خافَ عليه العِدا فهو له في ليلهِ حارسُ

وقال ابنُ الحدّاد: [من الكامل]

عافَ النهارَ مخافةَ الرقباءِ فَسَرَى يضمّخ حُلّةَ الظّلماءِ
يَطْوِي شَذاه[6] عن الأنوف نهارَه ويجود في الظّلماء بالإفشاءِ[7]
متهتّكٌ في طبعِهِ متستّرٌ وكذا تكون شمائلُ[8] الظُّرفاءِ

---

(١) جنّ: ادلهمّ واشتدّ.
(٢) النّدّ: ضرب من العود يتبخّر به.
(٣) النّدّ: الخصم.
(٤) أشهل، فيه شهل، والشهل للعين، اتساقها ومخالطة سوادها زرقةً.
(٥) يرائي: يستخدم الرّياء، وهو الكذب.
(٦) شذاه: عرفه ورائحته.
(٧) الإفشاء: الإعلان والإذاعة.
(٨) الشمائل: الطباع الحسنة.

لـمّـا رأى حُـبَّ الأُنـوف لَعـرفِـه لَبِس الغياهب[١] خِيفةَ الرُّقباءِ
كالطَّيْف لا يصل الجفونَ لسُهْدِها[٢] ويَـهُـبّ فـيـهـا سـاعـةَ الإغـفـاءِ

وقال أبو العَلاء المَرَويّ: [من البسيط]

أَهْدَى إليّ فنونَ الشّوقِ والأَرَقِ نسيمُ رائحة الخِيريِّ في طبقِ
كـأنّـه عـاشـق يَطْوِي صَبابَته[٣] صبحًا ويَنشرها في ظلمةِ الغَسَقِ[٤]
وكـلُّ ذي لـوعـةٍ بـاللّـيـلُ راحتُـه واللّيلُ أخفَى لويل الوالِهِ[٥] القَلِقِ

وقال آخَر: [من الطويل]

يَنِمّ[٦] مع الإظلام طيبُ نسيمِهِ ويَخْفَى مع الإصباح كالمتستّرِ
كـعـاطـرةٍ لـيـلًا لـوعـدِ مـحـبِّـهـا وكـاتـمةٍ صبحًـا نسيمَ التعطّرِ

وقال ابنُ الرّوميّ: [من المنسرح]

خِـيـرِيُّ وَردٍ أتاكَ فـي طـبـقِـهْ قد مـلأ الـخـافقَين[٧] من عَبَقِهْ
قد خَلَعَ العاشقين ما صنع الهـ ـجـرُ بـألـوانـهـم عـلى ورقِـهْ

وأمّا السَّوْسَن وما قيل فيه ـ فقال الشيخ الرئيس أبو عليّ بنُ سينا في طبع السَّوسَن: الأبيضُ البستانيُّ منه حارٌّ يابسٌ في الثانية؛ والإيرِساءُ أشدُّ تسخينًا وتجفيفًا، والإيرساءُ هو أصلُ السَّوْسَن الإسمانْجوني. قال: وأصلُه جلّاء، مجفِّفٌ باعتدال؛ ودُهنُه ألطفُ وأشدُّ تحليلًا وتليينًا مطيَّبًا كان أم غيرَ مطيَّب؛ والإيرِساءُ أقوَى في جميع ذلك؛ وهو قابض، وفيه شفاءٌ للأوجاع والعفونات، وينفع من الكَلَف والنَّمَش، وخصوصًا أصلَه، وينقّي الوجه غَسلًا به ويَصقِلُه، ويزيل تشنُّجه؛ وإن دُقَّ بِزْرُه وورقُه ناعمًا وعُمل منه ضمادٌ بالشراب على الحُمرة نفعَها، وكذلك على الأورام البَلْغَمِيّة الفِجّة «والجربِ المتقرّح والخُشْكَرِيشات»، وأصلُه ينفع من حَرْق الماء الحارّ؛ لأنّه مجفِّف مع جِلاء وباعتدال، وكذلك ورقُه مطبوخًا، والأحسنُ أن يكون استعمالُه بدُهن الوَرد وعُصارةِ الإيرِساء؛ وزهرُه يُطْبَخ في الخَلّ والعسل في إناءٍ من نحاسٍ للقُروح

---

(١) الغياهب: الظلمات، جمع غيهب.
(٢) سهدها: عدم نومها.
(٣) صبابته: شوقه وحبّه.
(٤) الغسق: ظلمة أوّل الليل أو آخره.
(٥) الواله: الذاهب العقل، الذاهل من شدّة الوجد والحب.
(٦) ينمّ: يكشف ويعلن.
(٧) الخافقان: المشرق والمغرب.

المُزْمِنة(١) والجِراحات. والبستانيُّ أفضلُ الأدوية لحَرْق الماء الحارّ، وهو جيّدٌ لانقطاع العَصَب؛ وتُتّخذ من أصل البرِّيِّ مضمضةٌ لوجع الأسنان؛ ويوافق دُهنُه قُروحَ الرأس والنُّخالة، وإذا قُطِر في الأُذُن سكَّن الدّويّ(٢)؛ وهو رديءٌ للمعدة، وخصوصًا دُهْنَه، ودُهنُه محلِّل مليِّن لصلابة الرَّحِم شُربًا وتمريخًا(٣)؛ وكذلك إذا طُبِخ أصلُه بدُهن الوَرد، ولا نظير له في أمراض الرَّحِم، وكذلك دُهنُ الإيرِساء؛ ويُخرِج الجنين، وينفع من المَغْص، وإذا طُبِخ أصلُه وحدَه بالخلّ أو مع بِزر البَنْج(٤) ودقيقِ الحِنطةِ(٥) سكَّن الأورامَ الحارّةَ العارضةَ للأنثيين(٦)؛ وإذا شُرِب مِن دُهنِه مقدارُ أوقيّةٍ ونصفِ أسهَل؛ ويَصلُح لأصحاب إيلاوس(٧) الصّفراويّ، ودُهنُ الإيرِساء يفتّح أفواهَ البواسير، وكذلك أصلُ السَّوْسَن كيف كان؛ وهو ينفع من لسع الهَوامّ(٨)، خصوصًا العقربَ هو وعُصارتُه وشرابُه وبِزرُه شُرْبًا، ودُهنُه دِرْياق(٩) للبَنْج.

وأمّا ما جاء في وصفه ـ فقال الأخيطل الأهوازيّ: [من البسيط]

سَقيًا لأرضٍ إذا ما نمتُ أرّقَني ... بعد الهدوء بها قرعُ النّواقيسِ

كأنّ سَوْسَنَها في كلّ شارفةٍ ... على الميادين أذنابُ الطّواويسِ

وقال أيضًا فيه: [من الكامل]

وكأنّ سَوْسَنَها سبائكُ فضّةٍ(١٠) ... غضّ النبات فأزرقٌ أو أحمرُ

حُمِلتْ سقيط الطَّلّ في ورقها ... فكأنّه متبسِّمٌ مستعبِرُ

وقال الصَّنَوْبَريّ ـ ويُروَى للرّفّاء ـ: [من الرجز]

أُنظرْ إلى السَّوسَن في مَنْبَتِهِ ... فإنّه نبتٌ عجيبُ المَنْظَرِ

كأنّه مَلاعقٌ من ذهبٍ ... قد خُطَّ فيها نُقطٌ من عَنْبَرِ

---

(١) المزمنة: الدائمة، لا شفاء لها. (٢) الدّوي: الطنين.
(٣) تمريخًا: دهنًا ودلكًا.
(٤) البنج: ضرب من النبات، بزوره كبزور الخشخاش منوّمة.
(٥) دقيق الحنطة: طحين القمح. (٦) الأنثيان: متاع المرأة.
(٧) إيلاوس، ضرب من الأمراض السارية.
(٨) الهوام: كل ما له سمّ كالحيّة مثلًا، وقد تطلق اللفظة على ما لا يلسع أو يقتل من الحشرات، والمفرد هامّة.
(٩) الدرياق: لغة في الترياق، وهو الدواء الذي يقتل السمّ.
(١٠) سبائك الفضّة: القطع من الفضّة ذوّبت ثم أفرغت في قوالب مخصوصة.

وقال آخَر: [من مجزوء الرجز]

أُنظرْ إلى السَّوْسَن في ... جماله المنعوتِ
مِثل كؤوسٍ خُرِطتْ ... من أزرقِ الياقوتِ

وقال آخر: [من البسيط]

يا رُبَّ سَوْسَنَةٍ قبّلتُها شَغَفًا[1] ... وما لَها غير نَشْرِ المِسْك من رِيقِ
مصفرّةِ الوجه مبيضٌ جوانبُها ... كأنّها عاشقٌ في حَجر معشوقِ

وقال آخر: [من المنسرح]

كأنّ ثغر الربيع مبتسِمًا ... فالسَّوْسَن المجتنَى ثناياهُ[2]
يا حُسنَه ضاحكًا له عَبَقٌ ... كطِيب رِيح الحبيب ريّاهُ

وقال شاعرٌ أندلسيّ: [من السريع]

سَوسَنةٌ بيضاءُ أوراقُها ... فيها خطوطٌ من سوادٍ خَفِي
كأنّه دارسُ خَطٍّ بدت ... أشكالُه في الرّقّ[3] من مصحَفِ

وقال شاعرٌ متطيّرًا بإهدائه: [من السريع]

يا ذا الذي أهْدَى لنا السَّوْسَنا ... ما كنتَ في إهدائه محسِنا
أوّلُه سوءٌ فقد ساءني ... يا ليت أنّي لم أرَ السَّوْسَنا

وقال آخر: [من السريع]

سَوْسَنةٌ أعطيتنِيها فما ... كنتِ فإعطائي لها محسِنهْ
أوّلُها سوءٌ فإن جئتِ لآ ... خُرُ منها فهو سوءُ سنهْ

وأمّا الآذَرْيُون وما قيل فيه ـ فالآذَرْيُون وَردٌ أصفرُ لا ريحَ له ألبتّة؛ وهو صِنفٌ من الأُقحوان، ومنه ما نُوّارُه[4] أحمر. وقال ابن البيضاء في جامعه: أنّه نُوّارٌ ذهبيّ، في وسطه رأسٌ صغير أسود، واسمُه بالفارسيّة: آذَرْكُون، ومعناه لونُ النار.

---

(١) شغفًا: حبًّا وولعًا.
(٢) ثناياه: أسنانه الأمامية.
(٣) الرّق: الورق والصحيفة.
(٤) نوّاره: زهره.

وقال أبو عليّ بنُ سينا: طبعُه حارٌّ يابسٌ في الثالثة؛ [...]ه ينفع من داء الثعلب مسحوقًا بخَلّ؛ ورَمادُه بالخَلّ لعِرْق النَّسا[1]. وقال دِيسْقُ[ورِ]دُوس: إنّ الحُبْلَى إذا مسّته أو تَحمّلتْ منه أسقطَتْ من ساعتها، وهو ينفع من السُّموم كلّها وخصوصًا اللُّدوغ.

وأمّا ما جاء في وصفه ـ فقال شاعرٌ يصفه: [من البسيط]

تاه[2] الربيعُ بآذَرْيُونةٍ وزها ... لمّا بدا منه في [جُنح] الدّجى أرَجُ[3]

كأنّ أغصانَه فَيْروزَجٌ بَهِجٌ ... من فوقه ذهبٌ [في] وَسْطِهِ سَبَجُ[4]

وقال التنُوخيّ: [من الطويل]

وآذَرْيُونٍ مِثْلِ خدِّ متيَّمٍ ... لأحشائه خوفَ الفراق وَجيبُ[5]

شموسٌ لها من حينِ تَطلُع شمسُها ... طلوعٌ وفي وقتِ الغروب غروبُ

تُفتِّح إن لاحت سرورًا بضوئها ... كما سُرَّ بالرأيِ المصيبِ مصيبُ

وتنضمّ إن جاء الظلامُ كأنّه ... رقيبٌ عليها والضياءُ حبيبُ

وقال ابنُ وَكِيع: [من مجزوء الرجز]

قم فاسقني صافيةً ... تَسلُب قلبي فِكَرَهْ

في روضةٍ كأنّها ... خريدةٌ[6] في حِبَرَهْ[7]

كأنّ آذَرْيونَها ... أسودُه وأحمَرَهْ

سَحيقُ مِسكٍ مودَعٌ ... في خِرَقٍ معصفرَهْ[8]

وقال عبدُ الله بن المعتزّ: [من مجزوء الرجز]

كأنّ آذَرْيُونَها ... تحت سماءٍ هاميَهْ[9]

مَداهنٌ من ذهبٍ ... فيها بقايا غاليَهْ[10]

---

(١) عرق النّسا: داء مؤلم يصيب الفخذ والقدم. (٢) تاه: صال، وتباهى.
(٣) أرج: رائحة. (٤) السبج: ضرب من الخرز الأسود.
(٥) وجيب: اضطراب واختلاج وخوف. (٦) الخريدة: الفتاة البكر.
(٧) حبرة: حلل وبرود يمانية موشّاة ومخطّطة. (٨) معصفرة: صفر كالعصفر.
(٩) هامية: سائلة بالمطر. (١٠) الغالية: المسك، أو فتيت المسك.

وقال آخَر: [من الكامل]

أَظْـرِفْ بـآذَرْيُـونـةٍ أبـصـرتُـهـا ... في الروض تلمع كاتّقاد الكوكبِ
وكـأنّـهـا لـمّـا تـكـامَـل حـسـنُـهـا ... مِـسـكٌ تَـفـتّـتَ فـي إنـاءٍ مُـذهَـبِ
وكـأنّـمـا تـشـريـفُـهـا مـن فـوقـهـا ... حَبَبٌ[1] يفرِّج عن رحيقٍ[2] أكهَبِ[3]

وقال السرّيُّ الرّفّاء: [من الطويل]

وروضـةِ آذَرْيُـونَ ذُرَّ بِـوَسْـطِـهـا ... نـوافـجُ[4] مِـسـكٍ قـلـبَ مـهـتـاجِ
تـراهـا عـيـونًـا بـالـنـهـار روانـيـا ... وعند غروب الشمس أزرارَ ديباجِ

وقال الطُّغرائيّ: [من الكامل]

وكـأنّ آذَرْيُـونَ روضـتِـنـا ... كـانـونُ فـحـم حـولَه لَـهَـبُ
أوجـامُ[5] جَـزْعٍ[6] وَسْـطَـه سَـبَـجٌ ... أو سُـؤرِ مـسـكٍ[7] جـامُـه ذَهَـبُ

وأمّا الخُرَّمُ وما قيل فيه ـ فالخُرّم هو الخُزَامى؛ وهو عند المَغاربة السَّوْسَن الأزرق.

وقال ابنُ الروميُّ يصفُه: [من الرجز]

وخُـرَّمٍ فـي صِـبـغـةِ الـطـيـالِـسـهْ[8] ... يَحْكِي الطّواويسَ غدت مُطاوِسهْ
كـأنّـمـا تـلـك الـفـروعُ الـمـائـسـهْ[9] ... تَـغـمِـسـهـا فـي الـلّازَوَرْد غـامـسـهْ

وقال الشّمْشاطيُّ يصفه: [من البسيط]

وخُـرَّمٍ مثـلِ لـونِ الـلازورد جـرى ... منها على فضّة بيضاءَ جارِيها
كـأنّـهـنّ خـدود الـلّاطـمـات ضُـحًـى ... أو الطّواويسُ حَلّتها خَوافيها[10]
ما غُمِّضت لعيون الشمس أعينُها ... إلّا عـلـى لُـمَـع مـن نُـورهـا فـيـهـا

---

(١) حبب: فقاقيع صغار تبدو على سطح السائل.
(٢) رحيق: خمرة.
(٣) أكهب: فيه كهبة، أي كدرة ضاربة إلى السّواد.
(٤) نوافج المسك: أوعيته.
(٥) الجام: الإناء الصغير.
(٦) الجزع: نوع من الخرز.
(٧) سؤر مسك: بقيّة من مسك.
(٨) الطيالسة: جمع طيلسان، وهو الثوب الواسع يلبس فوق الثياب العادية، ولونه أخضر غالبًا.
(٩) المائسة: المتمايلة.
(١٠) خوافيها: الريش في داخل الجناح، يقابلها القوادم.

وقال شاعرٌ أندلسيّ: [من الخفيف]

عافَ لونَ البياض ثوبَ أخيه ... وتَبدّى في حُلّةٍ زرقاءِ
لِتراه العيون في حُلّةٍ يَحـ ... ـكي سَنا نُورها أديمَ السماءِ[١]
لو حواها الطاووس أصبحَ لا شـ ... ـكّ منهئًا بمُلك طيرِ الهواءِ
عِزّةٌ في طباعه وعُلوٌّ ... قد أنافا[٢] به على العَلياءِ

وأمّا الشّقيق وما قيل فيه ـ فالشقيق يسمّى الشّقائق والشَّقِر. قال أبو الخير العشّاب: في ألوانه الأبيضُ والأسودُ والأحمرُ والوَرديُّ والرّماديُّ والأصفر، وفيه بستانيٌّ وبَرّيّ، فالبستانيُّ هو الخَشْخاشُ الأبيض.

قال: ومن أنواعه شقائقُ النُّعمان، ومن الشقائق نوعٌ يسمّى المامِيثا، ولونُه أصفرُ فاقع.

وقال أبو عليّ بنُ سينا: هو حارٌّ في الثانية، رَطْب؛ وهو جَلّاء محلِّل. قال: يسوِّد الشَّعرَ إذا خُلِط بقشر الجوز؛ وإذا استُعْمِل ورقه وقُضبانُه كما هو أو مطبوخًا حسَّن الشَّعر. قال: ويابسُه ينفع من القُروح الوَسِخة؛ وعُصارتُه سَعوط[٣] لتنقية الرأسِ والدّماغ؛ وأصلُه يُمْضَغ لجذب الرطوبات من الرأس؛ وعُصارتُه نافعةٌ من ظُلمة البصر وبياضِه وآثارِ قُروح العين؛ وإذا طُبِخ بالطِّلاء[٤] وتُضمِّد به أبرأ[٥] الأورامَ الصُّلبة؛ وإذا طُبِخَ ورقُه بقُضبانِه بحشيش السَّعْتَر وأُكِل أدرَّ اللَّبن؛ وهو يُدِرُّ الطَّمْث[٦]، والله أعلم.

وأمّا ما جاء في وصفه ـ فقال ابنُ الرّوميّ: [من الطويل]

تَصُوغ لنا كفُّ الربيع حدائقًا ... كعِقْدِ عقيقٍ بين سِمْطِ[٧] لآلي
وفيهنّ نُوّارُ الشقائق قد حَكَى ... خدودَ غَوانٍ نُقِّطت بغَوالِي[٨]

وقال أبو الفتح كُشاجِم: [من الخفيف]

فَرّجَ القلبَ غايةَ التفريجِ ... إبتهاجي ما بين روضٍ بهيجِ
فكأنّ الشّقيقَ فيه أكاليـ ... ـلُ عقيقٍ على رؤوسِ زُنوجِ

(١) أديم السماء: لونها.
(٢) أنافا: أشرفا.
(٣) سعوط: ما يسعط، أي يتنشّق به.
(٤) الطلاء: الخمرة.
(٥) أبرأ: شفي.
(٦) الطمث: دم الحيض عند الفتاة أو المرأة.
(٧) السّمط: الخيط الذي ينتظم حبات العقد من اللآلىء وغيرها.
(٨) الغوالي، جمع غالية، وهي من أنفس ما يستخرج من المسك.

وقال آخر: [من الكامل]

طَرِب الشقائقُ للحَمام وقد شجا[١] ... شجوَ القِيان فشَقّ فضلَ ردائِهِ
وتحَيَّرتْ ما بين إثمِدِ[٢] مآقِهِ[٣] ... في الخدّ دمعتُه وبين حيائه
فكأنّه الحبشيُّ يصبغ جسمه ... فثيابُه مخضلَةٌ بدمائِهِ

وقال القاضي عياض[٤]: [من السريع]

أُنظرْ إلى الزّرع وخاماته ... تَحْكِي وقد مالت أمامَ الرياحْ
كَتِيبةً خضراءَ مهزومةً ... شقائق النعمان فيها جِراحْ

وقال الصَّنَوْبَريّ: [من الخفيف]

كم خدودٍ مصونةٍ من شقيقٍ ... لم تبذَّلْ لِلَثْم أو للعِضاضِ
إعترِضْ ناظرَ الشقيق ففيه ... طُرَفٌ ما يَمَلُّها ذو اعتراضِ
جُمَمٌ[٥] سُرِّحَتْ[٦] بلا مُشْطٍ أو ... طُرَرٌ[٧] قُصِّصت بلا مِقراضِ[٨]
حُمرةٌ فوق خضرةٍ وسوادٌ ... بين هذين مُعلَّمٌ ببياض

وقال أيضًا فيه: [من الوافر]

وجوهُ شقائقٍ تبدو وتَخفَى ... على قُضُبٍ تَمِيد[٩] بهنّ ضَعفا
تَراها كالعَذارَى مُسبِلاتٍ ... عليها من عميم النّبت سَجْفا[١٠]
تَنازعتِ الخدودَ الحمرَ حُسنًا ... فما إنْ أخطأت منهنّ حَرْفا
إذا طلعتْ أرتك السُّرْجَ[١١] تُذْكَى[١٢] ... وإن غَرَبتْ أرتك السُّرْجَ تُطفَا

---

(١) شجا: بكى وحزن.
(٢) إثمد: كحل.
(٣) مأقه: عينه.
(٤) هو عياض القاضي، العالم بالتاريخ والأدب والحديث، ولي قضاء سبتة وغرناطة، واشتهر بالقاضي عياض. له من التصانيف «مشارق الأنوار» و«الشفا بتعريف حقوق المصطفى». مات سنة ٥٤٤ هـ/ ١١٤٩ م.
(٥) جم: جمع جمّة، وهي مجتمع شعر الرّأس.
(٦) سرّحت: مشّطت.
(٧) طرر: جمع طرّة، وهي شعر مقدّم الرأس.
(٨) مقراض: مقصّ.
(٩) تميد: تتثنى.
(١٠) السّجف: السّتر والغطاء.
(١١) السرج: جمع سراج، وهو القنديل.
(١٢) تذكى: تشعل.

تُخال إذا هي اعتدلتْ قَوامًا زجاجاتٍ مُلِئن الخمرَ صِرفا[١]
يزيد بهنّ روضُ الحَزْن حُسنًا إذا ما زهرُهنّ بهنّ حَفّا[٢]

وقال أيضًا من أبيات: [من مجزوء الكامل]

وكأنّ محمرّ الشقيـ ـق إذا تَصوّبَ[٣] أو تَصَعّدْ
أعلامُ ياقوتٍ نُشِر ن على رماحٍ من زبرجدْ

وقال آخر: [من السريع]

شقيقةٌ شَقّ على الورد ما قد لبست من كثرة الصِّبْغ
كأنّها في حسنها وجنةٌ يلوح فيها طَرَفُ الصُّدْغِ[٤]

وقال الأخيطل الأهوازيّ: [من البسيط]

هذي الشقائقُ قد أبصرت حُمرتَها فوق السوادِ على أعناقها الذُّلُلِ
كأنّه دَمعةٌ قد غَسّلتْ كُحُلا جالت بها وقفةٌ في وجنتَيْ خَجِلِ

وقال كُشاجِم من أبيات: [من البسيط]

فأنظر بعينك أغصانَ الشقائق في فروعها زَهَرٌ في الحسن أمثالُ
من كلِّ مُشرِفة الأوراق ناضرةٍ لها على الغصن إيقادٌ وإشعالُ
حمراء من صِبغةِ الباري بقدرتِهِ مصقولةٌ لم يَنَلْها قطُّ صَقّالُ
كأنّما وَجَناتٌ أربعٌ جُمِعَتْ فكلُّ واحدةٍ في صحنِها خالُ[٥]

وقال مؤيِّد الدين الطُّغرائيّ: [من الكامل]

وتَرَى شقائقَه خلالَ رياضِها
أوفَتْ مَطاردُها على أزهارِها
فكأنّها والرّيحُ تَصقُل خدَّها
والسُّحْبُ تملؤها بصَوْبِ قِطارِها[٦]

---

(١) صرفًا: خالصة. (٢) حفّ: أحاط.
(٣) تصوّب: انحدر ومال إلى السقوط.
(٤) الصّدغ: الجانب من الرأس ما بين العين والأذن. وهما صدغان.
(٥) الخال: النكتة السوداء في الخدّ، خاصة. (٦) القطار: جمع قطر، وهو المطر.

أقــداحُ يــاقــوتٍ لِطــافٍ أُتــرِعَــت[١]
راحًــا[٢] فـبـات الـمِـسـكُ سُـؤرَ[٣] قـرارِهـا
وكــأنّــهــا وَجَــنــاتُ غِــيــدٍ أحــدَقــت
بـخـدودهـا حُـمـرًا خـطـوطُ عِـذارِهـا[٤]

وأمّا ما وُصِف به البهار ـ فمن ذلك قولُ الصَّنَوْبَرِيّ: [من المنسرح]

ورَوضـةٍ لا يـزال يـبـتـسـم الـنُّـ ـوار فـيـهـا ابـتـسـامَ مـسـرورِ
كـأنّـمـا أوجـهُ الـبَـهـار بـهـا وقـد بـدت أوجُـهَ الـدنـانـيـرِ

وقال أحمدُ بنُ بُرْد الأندلسيّ: [من الطويل]

تـأمّـلْ فـقـد شَـقّ الـبَـهـارُ مقـلِّصًا كمائمَه عن نَوْرِه الخَضِل النَّدِي
مَداهـن تِـبـرٍ فـي أنـامـلِ فـضّـةٍ على أذرعٍ مخروطةٍ من زبرجدِ

وقال ابنُ دَرّاج القَسْطَليّ[٥] من أبيات: [من المتقارب]

بَـهـارٌ يَـرُوق بـمِـسـكٍ ذكِـي وصِبـغٍ بـديـعٍ وخَـلقٍ عَـجَـبْ
غـصـونُ الـزبـرجـد قـد أورقَـت لـنـا فـضّـةً مُـوَّهـت[٦] بـالـذهـبْ

وقال آخر: [من الكامل]

بَـهَـرَ الـبَـهـار عـيـونَـنـا فـقـلوبَـنـا مـسـحـورة بـجـمـالـه الـسّـحّـارِ
كـسـواعـدٍ مـن سُـنـدسٍ وأكـفُّـهـا من فضّةٍ حَمَلت كؤوسَ نُضارِ

وأمّا الأُقْحُوان وما قيل فيه ـ فقال أبو الخير العشّاب: الأقحوان هو البابونَج؛ وهو نوعان: نوع يَنبت في الجبال الباردة جدًّا، ونوع يزرع في البساتين؛ فما كان جبليًّا فهو البابونج، وما كان مزروعًا فهو أقحوان؛ ومنه ما زهرُه أصفرُ كلُّه؛ ومنه ما زهرُه أبيض، وفي وسطه لُمعةٌ صفراء، ومنه الحَوْذان، وورقُه يشبه ورقَ الخِيريِّ الأصفر؛ وهو مشرَّفٌ تشريفَ المِنشار، ويُعرفُ برأس الذّهب، ويسمّى بمصر:

---

(١) أترعت: مُلِئت.
(٢) راحًا: خمرةً.
(٣) السّؤر: الأثر وبقيّة الشيء.
(٤) العذار: شعر جانب الرأس.
(٥) أحمد بن دراج القسطلي، نسبة إلى قسطلة درّاج، المدينة الأندلسية، من ألمع الشعراء الأندلسيّين. امتاز بالمديح، وعمل كاتبًا للمنصور بن أبي عامر، وكانت وفاته سنة ١٠٣٠ م.
(٦) موّهت: طليت.

الكَرْكَاش؛ وأهلُ مصر يعتنون بأمره في وقت نزول الشمس برجَ الحَمَل[١]، ويحتفِلون به، فيَخرُج كثيرٌ من عوامِّهم وبعضُ الجند وغيرهم إلى البرّ ويقطعونه في الساعة التي تَحُلُّ الشمسُ فيها الحَمَلَ بمَناجلَ من الذهب يصوغونها برسمِه، أو بدنانير؛ ومنهم من يتكلّم بكلام شِبهَ الرُّقْية[٢]؛ لا ينطق بغيره ما دام يحصُده، ويجمعون ما يقطعونه من ذلك بالذّهب، ويدّخرونه في صناديقهم، ويزعمون أنّ مَن قطعه على وضعهِ ملك في تلك السنة ما يَقطعه منه دنانيرَ إن قَطَعَه بالذهب، ودراهمَ إن قطَعه بالفضّة.

وقال الشيخ الرئيس أبو عليٍّ بنُ سينا: طبع الأُقْحُوان حارٌّ في الثالثة، يابس في الثانية. قال: وهو مسخِّنٌ مُنضِج، مفتّحٌ للسُّدُد، وفي الأحمر منه قبضٌ ومنعٌ لأنواع السَّيلان، مع ما فيه من التحليل، وهو يُدِرّ العَرَق، وكذلك دُهنُه مَسُوحًا، ويفتِّح أفواهَ العروق، محلِّل، ملطِّف للأورام والبُثُور، محلِّل للورم الحارّ في المعدة والدمِ الجامد فيها؛ وينفع جميعَ الأورام الباردة، وينفع من النَّواصير[٣]، ويقشِّر الخُشْكَرِيشات[٤] والقُروحَ النَّضيجة، وينفع من جراحات العَصَب، ومن التواء العَصَب إذا بُلّت صوفةٌ بطبيخه ووُضِعَتْ عليه، وهو مُسْبِت[٥]؛ وإذا شُمَّ رَطْبُه نَوَّم، ودُهنُه نافعٌ من أوجاع الأُذُن؛ وهو ينفع من الرَّبو إذا شُرِبَ يابسُه كما يُشرَب الإفتِيمُون[٦]. قال: وهو رديء لفم المعدة، إلّا أنّه يحلِّل يابسًا، ويجفِّف ما يَتحلَّب إليها، ويحلِّل الدمَ الجامدَ فيها.

قال: وهو يُدِرّ بقوّة، ويحلِّل الدمَ الجامدَ في المَثانة بماء العسل، ويفتِّت الحَصاة، وإذا شُرِب مع زهرِه وفُقّاحِه[٧] في الشّراب أدرَّ الطَّمْث، وكذلك احتمالُ دُهنِه فإنّه يُدِرّ بقوّة، واحتمالُ دُهنِه يحلِّل صلابةَ الرَّحِم، ويفتِّح الرَّحِم، ويُشْرَب يابسًا بالسَّكَنْجَبين[٨] كما يُشْرَب الإفْتِيمُون فيُسهل سوداءَ وبَلْغَمًا؛ وينفع من أورام المقعدة

---

(١) برج الحمل: هو أول البروج الاثني عشر، ويبدأ في الحادي والعشرين من آذار، وهو أول البروج الربيعية الثلاثة.

(٢) الرقية: هي أن يستعان للحصول على أمر بقوى تفوق القوى الطبيعية في زعمهم.

(٣) النواصير: جمع ناصور، ويطلق عليه اسم الناسور، أيضًا، وهو العرق الغبر في باطنه فساد، وهي علّة تكون في المآقي وحول المقعدة. واللفظة سريانية معرّبة.

(٤) الخشكريشات: ضرب من القروح والدمامل، تسبّب التهابات حادّة.

(٥) مسبت: منوّم.

(٦) الإفتيمون: ضرب من النبت الطّبي.

(٧) فقّاحه: نوّاره وزهره.

(٨) السكنجبين: خليط سائل من العسل والخلّ.

الحارّة، ويفتّح البواسيرَ وهو ودُهنُه، وينفع من أُدرةِ[1] الماء بعد أن تُشَقّ؛ وينفع من القُولَنج[2] ووجعِ المثانة، وصلابة الطِّحال، هذه منافعُه الطّيبة.

وأمّا ما وصفه به الشعراء ـ فقد أكثر الشعراءُ من تشبيهه بالثغور وتشبيهِ الثغور به، وتشبيهُ الثغور به أكثرُ في أشعارهم من تشبيهه بالثغور؛ وقد أجاد ظافر الحدّادُ الإسكندريُّ في وصفه؛ حيث قال: [من البسيط]

والأُقْحُوَانةُ تَحْكِي ثغرَ غانيةٍ[3]
تَبسّمتْ عنه من عُجْبٍ ومن عَجَبِ

في القَدِّ والبَرْد والرِّيق والشهيِّ وطِيـ
ـب الرِّيح واللّون والتفليجِ[4] والشَّنَبِ[5]

كشمسةٍ من لُجَيْنٍ في زبرجدة
قد شُرِّفتْ حول مسمارٍ من الذهبِ

وقال آخَر: [من البسيط]

والأُقْحُوانةُ تُجْلَى وهي ضاحكةٌ
عن واضحٍ[6] غير ذي ظَلْمٍ[7] ولا شنَبِ

كأنّها شمسةٌ من فضّة حُرِستْ
خوف الوقوع بمسمارٍ من الذهبِ

وهذا والذي قبلَه من بديع التشبيهِ، وهو أجوَدُ من تشبيهها بالثغور وأصنَع فإنّها لا تشبه بالثغر حقيقةً إلّا من وجهٍ واحد، وهذا وقد شبَّهها ووصَفَها بجميع صفاتها وهيئتها.

(١) الأدرة: انتفاخ في كيس الخصيتين.
(٢) القولنج: انسداد يصيب الإمعاء، يمنع من خروج الريح أو البراز.
(٣) الغانية: الفتاة الحسناء التي غنيت بجمالها.
(٤) التفليج: تباعد الأسنان الأمامية عن بعضها بعضًا.
(٥) الشنب: بياض الأسنان ورقّتها وعذوبتها. (٦) الواضح: كناية عن الأسنان.
(٧) الظلم: بريق الأسنان.

وقال ابن عَبّاد: [من الطويل]

ومن لؤلؤٍ في الأُقْحُوان منظَّمٍ ... على نُكَتٍ[١] مصفرّةٍ كالفرائدِ[٢]

يذكّرنا ريّا[٣] الأحبّةِ كلّما ... تَنفّسَ في جُنحِ من الليلِ باردِ

وقال آخَر: [من الخفيف]

كلّ يوم بأُقْحُوانٍ جديدٍ ... تَضحَك الأرضُ من بكاء السماءِ

وَسْطَها جُمّةٌ[٤] من الشَّذْر[٥] حُفّت ... بثغورٍ من فضّةٍ بيضاءِ

وقال جمالُ الدين عليُّ بنُ أبي منصور المصريّ: [من الكامل]

أُنظرْ فقد أبدَى الأقاحُ مَباسمًا ... ضحكتْ بدُرٍّ في قُدودِ زبرجدِ

كفصوص دُرٍّ لُطِّفتْ أجرامُها[٦] ... قد نُظِّمتْ من حَوْلِ شمسةِ عَسْجَدِ

وقال آخَر: [من الكامل]

ظفرتْ يدِي للأُقْحُوان بزَهرةٍ ... باهت بها في الرّوضة الأزهارُ

أبدت ذراعَ زبرجدٍ وأناملا ... من فضّةٍ في كفّها دينارُ

وقال آخر: [من المجتث]

كأنّ نَوْرَ الأقاحي ... إذ لاح غِبَّ القَطْرِ[٧]

أناملٌ من لُجَيْنٍ[٨] ... أكفُّها من تِبْرِ[٩]

وقال آخر: [من الطويل]

لَدَى أُقْحُوَاناتٍ يطفن بناضرٍ ... من الوَرد محمرِّ الثياب نَضيدِ[١٠]

إذا الرّيحُ هزّتها توهّمتَ أنها ... ثغورٌ هوت قصدًا لعضّ خدودِ

---

(١) نكت: جمع نكتة، وهي النقطة السوداء في الأبيض، أو البيضاء في الأسود.
(٢) الفرائد: جمع فريدة، وهي الجوهرة النفيسة.
(٣) ريّا: رائحة.
(٤) الجمّة: مجتمع شعر الرأس.
(٥) الشذر: قطع الذهب.
(٦) أجرامها: أجسامها، جمع جرم.
(٧) غبّ القطر: عقب المطر.
(٨) اللجين: الفضّة.
(٩) التبر: الذهب غير الخالص.
(١٠) نضيد: منضّد ومرتّب.

الباب الثالث
من القسم الرابع من الفن الرابع
في الصُّموغ

ويشتمل هذا الباب من الصَّموغ على ثمانيةٍ وعشرين صنفًا ـ وهي: الكافُور، والكَهْرَبا، وعِلْكُ الأنباط، وعِلْكُ الرُّوم ـ وهو المُصْطَكا ـ وعِلْكُ البُطْم، وصَمْغُ اليَنْبُوت، وصَمْغُ قُوفيّ، والكَثيراء، والكُنْدُر، والفَرْبيُون، والصَّبِر، والمُرّ، والكَمْكام، والضِّجاج، والأُشّق، وترابُ القَيء، والقِنّة، والحِلْتيت، والأَنْزَرُوت، والسَّكَبِينَج، والسَّادَوْران، ودمُ الأَخوين، والمَيْعة، وصَمْغُ قبعرين، والمُقْل الأزرق، والصَّمْغُ العربيّ، والقَطِران، والزِّفت.

فأما الكافور وما قيل فيه ـ فهو أشرفُ الصُّموغ قَدْرًا، وأحقُّها بالتقديم وأَحْرَى؛ لِفَضْلِه في التركيب، ودخولِهِ في أصناف الأدويةِ والطِّيب، ويقال فيه: (القافور) بالقاف بدل الكاف، ويقال: إنّه صَمْغُ شجرةٍ سَفْحيّةٍ بحريّةٍ عظيمةٍ تُظِلُّ مائةَ رَجُل، تكون بأطراف الهند. وتزعم التجّار أنه يوجد في الشجرة الواحدة أصنافٌ من الكافور، فيميِّزون كلَّ صِنف على حدتِه؛ وله مَظانّ[1]: منها (فَنْصُور) وهي جزيرةٌ محيطها سبعُمائة فرسخ، وتُعرَف أرضُها بأرض الذهب؛ والكافور المنسوبُ إليها أفضلُ ممّا عَداه، ومن مَظانّه موضعٌ يُعرَف بأربشير، ومنها الزّابَج؛ والمنسوبُ إليها أدنى أصنافِه. قالوا: وكيفيّةُ جمعِه أن تُقصَد شجرتُه في وقتٍ معلومٍ من السنة فتُحفَر حولها حُفْرة، ويُجْعَل في الحفرة إناءٌ كبير، ثم يُقْبِل الرَّجُل وبِيَدِه فأسٌ عظيمة، وهو ملثَّم، مسدودُ الأنف، ويمكّن الإناءَ من أصل الشجرة، ثمّ يضربها بالفأس ضربة، ويَطرح الفأسَ من يده، ويَهْرُب خشيةَ أن يفور في وجهه ما يخرج من الشجرة من الكافور، فإنّه متى أصاب وجهَه قَتَله، ويجمع ما يخرج من الشجرة عقيبَ تلك الضربة في ذلك الإناء الموضوع في أصلها، فإذا برّد في الإناء جعلوه في أوعيةٍ وقطعوا تلك الشجرة، وتركوها حتى تجفّ، ثم تُقطع أجزاءً صغارًا أو كبارًا. وذهب آخَرون إلى أنه بين اللِّحاء[2] والعُود مِثلَ الصَّمْغ قِطَعًا صِغارًا وكِبارًا. وقال آخَرون: بل يشقّون الخشب فيجدون الكافورَ في قلب العُود منظَّمًا مِثلَ المِلْح، فيَقلعونه منه، وهذا هو الأصحّ عندهم. وقد زعم آخرون أنّ الكافور يُلتَقط من شجرٍ في غياضٍ[3]

(١) مظانّ: مواضع، جمع مظنّة. (٢) اللحاء: قشر الجذع أو الغصن من الشجر.
(٣) غياض: جمع غيضة، وهي الأرض والنّبت الذي لم يُدْعَ.

متلفَّةٍ في سفوحِ جبال، وبين تلك الغِياضِ والبحرِ مسيرةُ أيّام، وأنّ البُبُور[1] تألَف تلك الغِياض، ولا يصل أحدٌ إلى التقاطه خوفًا منها إلّا في وقتٍ معلوم من السنة، وهو زمنِ هِياج هذا الحيوان؛ لأنّه إذا هاج مرض، فتخرج إناثُه وذُكورُه إلى البحر فتَستشفي بمائه نحوًا من شهر، فيُلتقَط في ذلك الوقت. قالوا: ولولا ذلك لكان الكافورُ كثيرًا جدًّا.

والكافورُ أصناف: أفضلُها الرَّباحيّ، وأجود الرَّباحيِّ الفَنْصُوريّ. قالوا: ولا يوجَد هذا الصِّنفُ إلّا في رُؤوس الشجر وفروعِها، ولونُه أحمرُ مُلمَّع، ثم يُصعَّد هناك فيكونُ منه الكافورُ الأبيض، وإنّما سمّيَ الكافورُ رَباحيًّا، لأن أوَّلَ من وقع عليه مَلِكٌ يقال له: (رَباح)، فنُسِبَ إليه؛ ومن الرَّباحيِّ صِنفٌ يسمَّى المَهْنَشان وهو حَبٌّ أبيضُ برّاق، ناعمُ الفَرْك، ذكيُّ الرائحة، ومنه صِنفٌ يُعْرَف بالبرتك ناعمُ الفَرْك، ذكيُّ الرائحة، وليس له صَفاءُ المَهْنَشان، وبعدَه صِنفٌ يُعْرَف بالسِّرحان، وهو أكبر حَبًّا من المَهْنَشان، إلّا أنّه كثيرُ الخشب، ولونُه يَضرب إلى السواد، ناعم الفرك، ومنه صِنفٌ يسمَّى موطيان، ناعمُ الفَرْك، يَضْرِب إلى الحُمرة، ومنه صِنفٌ يسمَّى المهاي لبصيصِه[2]، وهو حبٌّ أحمرُ الظاهر أبيضُ في الفَرْك، جافُّ الجوهر، ومنه صِنفٌ يُعْرَف بالرقرق، وصِنفٌ يُعْرَف بالإسفرك، وهو غُثاء الكافور، وبعده صِنفٌ يسمَّى الكندج، يشبه لونُه نُشارةَ الساج[3]، إلّا أن فيه لِينًا ودَهانة، وفي حَبّه كِبَر، إذا كُسِرَ وُجِد داخلُه أسوَد، فإذا فُرِكَ وُجِد أبْيَض، وكلُّ هذه الأصناف لا تدخل إلّا في الأدوية، إلّا الرَّباحيّ المجلوب من أرض (فَنصور) فإنّه لا ينبغي أن يُسْتعمَل إلّا في الطِّيب لجُودته وحُسْنِه، وقد ذكر محمدُ بنُ أحمد بنِ سعيد التَّميميُّ المقدسيُّ في كتابه المترجَم (بجيب العروس) من الكافور أصنافًا كثيرة، منها الذي أوردناه.

وقال أبو عليِّ بنُ سينا: طبعُ الكافور باردٌ يابسٌ في الثالثة، واستعمالُه يُسرع الشَّيب، ويمنع الأورامَ الحارّة، وإذا خُلِط بالخَلّ أو مع عصير البُسْر[4] أو مع ماء الآسِ[5]

(١) البيور: جمع بير، وهو ضرب من السّباع الهندية، وهو أبيض البطن والجانبين، ومخطّط بخطوط سود.

(٢) البصيص: البريق واللّمعان.

(٣) السّاج: شجر من فصيلة رعي الحمام. جميل المنظر، وهو ينتج أحد أجود الأخشاب الصلبة المعروفة.

(٤) البسر: التمر الذي لوّن ولم ينضج.

(٥) الآس: شجر دائم الخضرة، بيضيّ الورق، أبيض الزهر أو ورديّه، عطري، ثماره سود، تؤكل غضّة وتجفّف فتكون من التوابل.

أو ماءِ الباذَرُوج[١] مَنَع الرُّعاف، ونفَعَ الصُّداعَ الحارَّ، وهو يقوِّي حَواسَّ المحرور؛ وهو يَقطع الباه، ويولِّد حَصَى الكُلْية والمَثانة.

وأمّا الكَهْرَبَا وما قيل فيه ـ فالكَهْرَبا يسمَّى مصباحَ الرُّوم. قال عبدُ الله بنُ البيطار[٢] في مفرداته: من زعم أنّ الكَهْرَبَا صَمْغُ الحَوَرِ الرُّوميّ فليس قولُه بصحيح. والكَهْرَبا صِنفان: منها ما يُجلَب من بلاد الرّوم والمشرق؛ ومنها ما يوجَد بالأندلس في غربيِّها عند سواحل البحر تحت الأرض، ويوجد في واحاتِ مصر. ويقال: إنّه رطوبةٌ تقطر من الدَّوْم[٣] من ورقِه، شبيهةٌ بالعسل، يكون منها الكَهْرَبا، وقد يوجَد في داخلِها الذُّبابُ والتِّبنُ والحِجارة. وأمّا من زعم أنّه صَمغُ الحَوْر الرُّوميّ المعروفِ بالتّوز، فيقول: إنّ صَمغَته ذهبية، تسيل في النّهر الذي يسمّى أمريدانوس، فتَجمُد فيه، فيكون منه الكَهْرَبا؛ ولهذا الشجر ثمرةٌ تسمَّى السدد والكَهْرَبا يَجْذِب التِّبنَ إلى نفسِه، ولذلك يسمَّى كاهْ رُبَا، أي سالبُ التِّبْن، وأجوَدُه الشَّمْعيُّ اللّون.

وقال ابنُ سينا: طبعُ الكَهْرَبا حارٌّ قليلًا، يابسٌ في الثالثة، وهو قابضٌ وخصوصًا للدّم من أيِّ موضعٍ كان. قال: وقال بعضهم: إنّه يُعلَّق على الأورام الحارّةِ فينفع منها، وهو يَحْبِسُ الرُّعاف؛ وإذا شُرِب منه نصفُ مثقالٍ بماءٍ باردٍ نَفَع من الخَفَقان، ويَمنع من نَفْث الدَّم جدًّا، وهو يَحْبِس القَيْء، ويمنع الموادَّ الرديئةَ عن المعدة، ومع المُصْطَكا يقوّي المعدة، وهو يَحْبِس نَزْفَ الرَّحِم والمَقْعَدة، وينفع من الزَّحير[٤].

وأمّا عِلْكُ الأنباط ـ فهو صَمْغُ شجرةِ الفُسْتُق، يُستخرَج منها كسائر الصُّموغ، وذلك أنّهم يَعْقِرون الشجرةَ في مواضعَ كثيرة، فيسيل من تلك العُقور فيُجمَع ويجفَّف في الشمس، ولونُه أبيضُ كَمِد[٥]، وفي طعمِه شيءٌ من مرارة.

---

(١) الباذروج: ضرب من الرّيحان الحرّيفة.

(٢) هو عبد الله بن أحمد، بن البيطار، الطبيب والعالم الأندلسي بالنبات، خدم الأيوبيين، ومن مؤلّفاته: «الجامع لمفردات الأدوية والأغذية»، ويعرف بمفردات ابن البيطار، توفي سنة ١٢٤٨ م.

(٣) الدّوم: جنس شجر من فصيلة النخليات، ساقه مشعّبة، يستخرج من ثماره نوع من الدّبس، يعرف بشجرة المُقل، وهو ضخم الجرم.

(٤) الزّحير، والزحّار، واحد، وهو استطلاق البطن، أو التقطيع فيه، يمشّي دمّا، ويسبّب ألمًا، تقابله لفظة «ديسنطاريا».

(٥) كمد: فيه كمدة، أي غُبرة.

وأمّا عِلْكُ الرُّوم ـ فهو المُصْطَكَا ـ ويسمّى مصطيجا ـ وأجْوَدُه ما كان له بريق، وكان أحمرَ مُشْرَبًا، وأبيض، والأصفرُ دونهما.

وقال أبو عليّ بنُ سينا فيه: الطبعُ حارٌ يابسٌ في الثالثة؛ وهو قابضٌ محلّل، ودُهنُ شجرتِه ينفع من الجَرَب، حتى جَرَب المواشي والكلاب؛ ويُصَبّ طبيخُ ورقِه وعُصارته على القُروح فتنبِت اللّحم، وكذلك على العظام المكسورةِ فتُجْبَر، ومَضغُه يَحْلِبُ البَلْغَم من الرأس وينقّيه، وكذلك المضمضةُ به تَشدّ اللّثة، وهو يقوّي المعدةَ والكبد، ويَفْتِقُ الشهوة، ويطيّب المعدة، ويحرّك الجُشاء، ويُذيب البَلْغَم، وينفع من أورام المعدةِ والكبدِ في الوقت، ويقوّي الكبدَ والأمعاءَ وينفع من أورامهما؛ وطبيخُ أصلِه وشرِه ينفع من دُوسِنطَاريا والسَّحْج، وكذلك نفسُ ورقِه، وينفع من نَزْف الدَّم من الرَّحِم وجميعِ أوجاعِ الأرحام وسيلانِ رطوباتِها الرّديئة، ومن نُتوء الرَّحِم والمَقْعدة، وكذلك دُهنُ شجرتِه. قال: ويُدِرّ.

وأمّا عِلْكُ البُطْم ـ فهو صَمْغُ شجرةِ الحبّةِ الخَضْراء، ويؤتَى به من بلاد المغرب وبلاد فِلَسْطِين وسُورِيَةَ وما جاورها. وقال ابنُ البيطار: العِلْك أنواع: أفضلُها عِلْكُ الرُّوم، وبعدَه عِلْكُ البُطْم، وبعدَه صَمْغُ اليَنْبُوت، وهو صَمْغ شجرِ قَضْمِ قُريش، وهو الصَّنَوْبَر الصّغير، وبعده صَمْغُ القُوفيّ، وهو الأَرْز. وقالوا: اليَنْبُوتُ هو الخُرْنُوبُ النَّبَطيّ.

وأمّا الكَثِيراء ـ فقال أبو حنيفةَ الدِّينَوَريّ[١]: الكَثِيراء ممدود؛ هكذا نطقتْ به العرب، وهو صَمْغُ القَتاد، وهي شجرةٌ شَوِكة تكون بأرض خُراسان؛ وهي أيضًا توجد في الجبال المُطِلّةِ على طَرابُلِس الشام، ورأيتُها أنا تَنبُت بجبل الثّلج، وهي جُمَم، لا ترتفع عن الأرض أكثرَ من نصفِ ذراع، يكون فيها الكَثِيراء.

وقال ابنُ سينا: طبعُ الكَثِيراء باردٌ إلى يُبْس، وفيه تجفيف.

وأمّا الكُنْدُر ـ فهو اللُّبَان، والكُنْدُر كلمةٌ فارسيّة، وهو لا يكون إلّا بالشِّحْر[٢] من اليَمَن، وشجرتُه لا ترتفع أكثرَ من ذراعين، ومنابتُها الجبال، وورقُها مِثلُ ورقِ

(١) أبو حنيفة، أحمد الدينوري، نسبة إلى دينور، المدينة الإيرانية القديمة، هو عالم ومؤرّخ مشهور. أهم آثاره «الأخبار الطوال» في التاريخ، و«النبات» في علم الطبيعة. مات سنة ٨٩٥ هـ. انظر ترجمته وافيةً في مقدمة «الأخبار الطوال» تحقيق عند المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٦٠.

(٢) الشحر: مدينة في حضرموت إلى الجنوب الشرقي من اليمن.

الآس، وثمرتُها مِثلُ ثمرته، لها مرارةٌ في الفم،وعِلْكُها يظهر في أماكنَ تُقَصّ بالفُؤوس.

وقال الشيخ الرئيس أبو عليّ بنُ سينا: أجْوَدُ الكُنْدُر الأبيَض المدحرَج، الدِّبْقيُّ الباطن،الذهبيُّ المَكسِر، وطبعُه حارٌّ في الثانية، مجفِّفٌ في الأُولى، وقِشرُه مجفِّفٌ في حدود الثالثة. قال: وهو حابسٌ للدّم؛ والاستكثار منه يحرِق الدّم، ودُخانُه أشدُّ تجفيفًا وقبضًا، وإذا خُلِط الكُنْدُر في العسل ووُضع على الدّاحس أذهبه، وقُشورُه جيّدةٌ لآثار القُروح، وينفع بالخَلّ والزَّيت لَطوخًا من الوجع المسمّى مرميقيا، وهو وجعٌ يَعْرِض منه في البدنِ كالثَّآليل، مع شيءٍ كدَبيب النمل، وإذا خُلِط بالخَلّ والزِّفتِ ولُطِخ به في ابتداء حدوث الثَّآليل الّتي تسمَّى النملةَ أزالها، ويَدخل في الضِّمادات المحلِّلة لأورام الأحشاء، وهو مدملٌ جدًّا، وخصوصًا للجراحات الطريّة، ويَمنع الخبيثة[1] من الانتشار، ويَصلُح للقُروح الكائنة من الحَرْق، ويقطع نَزْف الدم الرُّعافيّ إذا خُلِط بزفتٍ أو زيتٍ أو بلبن، ويَدمُل قُروحَ العين، ويُنْضِج الورمَ المزمنَ فيها، ودُخانُه ينفع من الورم الحارّ، ويقطع سيلانَ رُطوبات العين، ويَدمُل القُروحَ الرديئة، وينفع من السّرطان في العين، وإذا خُلِط بقَيْمُوليا[2] ودُهن الوَرد نَفَع الأورام الحارّة الّتي تَعْرِض في ثَدي النُّفساء[3]، ويَدخُل في أدوية قصبة الرّئة، وهو يَحبس القَيْء، وينفع الهضم، ويَحبس نَزْفَ الدَّم من الرَّحِم والمقعدة، وينفع من دُوسِنْطاريا، ويمنع من انتشار القُروح الخبيثة إذا اتُّخِذَتْ منه فَتيلة، وينفع من الحُمَّيات البَلْغَميَّة.

وأمّا الفَرْبَيُون ـ ويسمَّى اللُّبانة المغرِبيّة، فشجرتُه تُشبه شجرةَ القَنا في شكلها، وصَمْغُها مفرطٌ في الحِدّة، يَحذره من يستخرجه لإفراط حِدته، فيَعمِدون إلى كُروش الغنم فيغسلونها ويشدّونها على ساق الشجرة، ثم يطعنونها بعد ذلك بمزاريق[4]، فينصبّ منها في الكَرِش صَمْغٌ كثير، كأنّه ينصبّ من إناء؛ ويَخرج من شجرِه صِنفان: منه ما هو صافٍ يشبه الأَنْزَرُوت، ومنه ما يشبه السكّر؛ وأكثر ما يوجد شجرُه ببلاد

(١) الخبيثة: ربما يقصد بها السرطانات الجلدية، والأنواع الأخرى من الجروحات والتقيّحات التي لا تبرأ.

(٢) القيموليا: ضرب من العقاقير القديمة يدخل في تركيبه مواد كثيرة.

(٣) النفساء: المرأة غبّ وضعها ولدها.

(٤) مزاريق: جمع مزراق، وهو الرمح أو ما يشبه الرمح يطعن به.

البربر[١]، خصوصًا بجبل دَرن[٢]، وهو عَساليجُ[٣] عريضةٌ كالألواح، مِثلُ عَساليج الخَسّ، بيض، لها شُعَب، وهي مملوءةٌ لَبَنًا،ولا يَنبت حولَ شجرِه نباتٌ آخر. ومنه صِنْفٌ آخَرُ ينبت ببلاد السُّودان، وشجرتُه شَوكَةٌ كثيرةُ الأغصان، تنبسط على الأرض. ويقال: إن ببلاد إفريقيةَ شجرةَ صَمْغُها الفَرْبَيُون، وإن الصَّمغَ يسيل منها فيَجمُد، وبعضُ أهل البلد يَشرط الشجرة، ويعلّق على موضع الشَّرْط ما تسيل فيه تلك الرطوبة، ولا يمسّون الشجرةَ بأيديهم، ولا تلك الرطوبة؛ لأنها سمّ قاتل مُشِيط[٤]، يُحرِق كلَّ ما لامَسَه أو باشره من أبدان الناس.

وقال الشيخ الرئيس: إنّ قوّةَ الفَرْبَيُون تتغيّر بعد ثلاثٍ أو أربعِ سنين، والعتيقُ منه يضرِب إلى الشُّقْرة والصُّفْرة، ولا يُداف[٥] في الزَّيت إلّا بصعوبة؛ والحديثُ خلافُ ذلك. قال بعضهم: إنه إذا جُعِل في إناءٍ مع الباقلّى[٦] المقشَّر انحفظت قوّته. قال: وجيّدُه الحديثُ الصافي الأصفرُ إلى الشُّقْرة، الحادُّ الرائحة، الشديدُ الحراقة؛ وغيرُ هذا فهو مغشوشٌ بالعَنْزَرُوت[٧] والصَّمْغ، وهو جالٍ، وله قوّةٌ لطيفةٌ محرقةٌ جَلّاءة؛ والحديثُ منه أشدُّ إسخانًا من الحِلْتِيت[٨]، على أنه لا صَمغَ كالحِلْتِيت في إسخانِه، ويُخلَط ببعض الأشربة المعمولةِ بالأفاوِيهِ فينفع من عِرْقِ النَّسَا؛ ويُمرَخ به الفالجُ والخَدَرُ فينفع جدًا، وإذا اكتُحِلَ به كان جاليًا، ولكن يدوم لذعُه النّهار كلَّه، فلذلك يُخلَط بالعسل. قال: وينفع من بَرْد الكُلَى، وينفع أصحابَ القُولَنْج؛ والشَّربةُ منه مع بعض البُزور وماءِ العسل ثلاثةُ أُوبُولُوسات. وقال بعضهم: إنّه يَضمّ فَمَ الرَّحِم ضمًّا شديدًا حتّى يَمنع الأدويةَ المسقِطَة أن تُسقِط الجنين، ويُسهِل البَلْغَم اللَّزِج الناشبَ في الوَرِكين والظهر والإمعاء فيما قالوا. قال: وقال بعضهم: إنّ من نهشه شيءٌ من الهوامّ فشَقّ جلد رأسه وما يليه حتّى يظهر القِحْف[٩]، ويجعل فيه من هذا الصَّمْغ مسحوقًا، ثمّ يَخيطه، لم يصبه مكروه. قال: وثلاثةُ دراهمَ منه تقتل في ثلاثةِ أيّامٍ تقريحًا للمعدة والمِعَى.

---

(١) بلاد البربر: يطلق هذا الاسم على مواطن البربر في شمال إفريقية، وتمتدّ هذه المواطن من جنوب ليبيا إلى أقصى المغرب على الأطلسي.

(٢) درن: جبل من جبال البربر يعيش فيه قبائل كثيرة. انظر: معجم البلدان ٢/ ٤٥٢.

(٣) عساليج: جمع عسلوج، وهو ما لانَ من قضبان الشجر.

(٤) مشيط: مهلك. (٥) يداف: يخلط ويذاب.

(٦) الباقلّى: الفول، أو ضرب قريب منه.

(٧) العنزروت: ضرب من الأصماغ النباتية يعالج به.

(٨) الحلتيت: ضرب من الصموغ النباتية. (٩) القحف: عظام الجمجمة من الرأس.

وأمّا الصَّبِر ـ فهو من الصُّموغ، وصفة شجرتِه فيما قيل: إن ورقها يشبه ورقَ الإسْقِيل[١]، وعليه رطوبةٌ تلصق باليد، وفي حَرفَيْ كلّ ورقةٍ شبهُ الشّوك، قصيرٌ متفرّق، وعِرْقُها واحد؛ وهذه الشجرةُ تَنْبُت ببلاد الهند كثيرًا، وفي بلاد المغرب. ويقال: إنها ثلاثة أصناف: الأُسْقُطْريّ[٢]، والعربيّ، والسِّمِنْجاني[٣]؛ ويقال أيضًا: إن نباتَه كنبات الراسَن الأخضر، غير أنّ ورقَ الصَّبِر أطوَلُ وأعرض وأغلَظ، وهو كثيرُ الماء جدًّا، ويُلقَى في المَعاصر، ثم يُدَقّ بالخشب، ويداس بالأقدام حتّى يسيلَ عصيرُه، ويُترَك حتى يَثْخُن، ثم يُجعَل في الجُرُب[٤]، ويشمَّس حتى يجفّ؛ وأجوَدُه الأُسْقُطْريّ، وأُسْقُطْرَى جزيرةٌ قريبةٌ من ساحل اليَمَن. وقال إسحٰقُ بنُ عمران: الصَّبِر ثلاثةُ أصناف، فمنه الأحمر الأُسْقُطْرِيّ، ومنه الأسودَ الفارسيّ ومنه الأحمر الملمّعُ بصُفرة، ويؤتَى به من اليمن.

وقال الشيخ الرئيس أبو عليّ بنُ سينا: أجوَدُ الصَّبِر الأُسْقُطْرِيّ، وماؤه كماء الزّعفران، ورائحتُه كالمرّ[٥]، بَصّاص[٦]، منفرِك، نقيٌّ من الحصى؛ والعربيُّ دونه في الصُّفرة والرزانة والبصيص؛ والسِّمِنْجانيُّ رديء، منتِن الرائحة، قليلُ الصُّفرة، لا بَصيص له؛ وإذا عَتُق الصَّبِر اسودّ. قال: وطبعُه حارٌّ في الثانية يابسٌ فيها، وقيل: حارٌّ يابسٌ في الثالثة، وليس كذلك. وقوّتُه قابضةٌ مجفِّفةٌ منوِّمة، والهنديُّ كثيرُ المنافع؛ مجفِّفٌ بلا لذع، وفيه قبضٌ يسير، وهو بالعسل يَدمُل الدّاحس المتقرِّح، وبالشراب إذا جُعِل على الشَّعر المتساقط مَنَع تساقطَه، وهو ينفع أورامَ الدُّبُر والمَذاكير[٧]، وخاصّةً أورامَ العَضَل الّتي على جانبَي اللّسان إذا كان بالشّراب أو العسل؛ وهو صالحٌ للقُروح العَسِرة الاندمال، وخصوصًا في الدُّبُر والمَذاكير والأنف والفم، وينفع من أوجاع المفاصل، وينقّي الفُضولَ الصّفراويّةَ الّتي في الرأس، وإذا طُلِي به على الجبهة والأصداغ نَفَع من الصُّداع، وهو من الأدوية النافِعة من مرض

---

(١) الإسقيل: ضرب من النبات يطلق عليه اسم العنصل.

(٢) الأسقطري: نسبة إلى جزيرة سقطرى، في البحر العربي، هي أقرب إلى برّ العرب منها إلى برّ الهند، في الطريق إلى بلاد الزنج. انظر: معجم البلدان ٣/ ٢٢٧.

(٣) السمنجاني: نسبة إلى سمنجان، بلدة بطخرستان، وراء بلخ وبغلان. معجم البلدان ٣/ ٢٥٢.

(٤) الجرب: جمع جراب، وهو الوعاء من الجلد وغيره.

(٥) المرّ: ضرب من العود يتبخّر به، وقد يكون صمغًا من الشجر المسمّى باسمه.

(٦) بصّاص: لمّاع.

(٧) المذاكير: كناية عن أعضاء الرجل التناسلية.

الأُذُن. قال: وفي الطّبّ القديم أنّ الصَّبِر يُسهِل السوداء، وينفع من الماليخُوليا[(١)]؛ والصَّبِر الفارسيُّ يذكّي العقل، ويُجِدّ الفؤاد. قال: والصَّبِر ينفع من قُروح العين وجربِها وأوجاعِها ومن حِكّة المَآقي، ويجفِّف رطوبتَها؛ وينقِّي الفُضولَ الصّفراويّةَ والبَلْغَمِيّة التي في المعدة إذا شُرِب منه مِلعقتان بماءٍ باردٍ أو فاتر؛ ويُصلح الحُرْقةَ والالتهابَ الكائنَين في اللَّهاة[(٢)]، وربّما نفع أوجاعَ المعدة في يوم واحد؛ ويفتّح سُدُدَ الكبد؛ لكنّه يضرّ بالكبد، وهو يُزيل اليَرَقان[(٣)] بإسهاله. قال: وَدَرخَميّ ونصف منه بماءٍ حارٍّ يُسهِل، وثلاثُ دَرْخَميات تنقّي تنقيةً كاملة؛ والمعتدِل دَرْخَميان بماءِ العسل يُسهِل بَلغمًا وصفراء؛ وهو أصلحُ مسهِلٍ للمعدة؛ والمعسولُ أضعفُ إسهالًا لكنّه أنفع للمعدة، وخَلْطُه بالعسل يَنْقُص قوّتَه حتّى يكاد لا يُسهِل. قال: وإذا شُرِب العربيُّ منه كَرَبَ[(٤)] وأمْغَص وأسْهَلَ، ونَقَبتْ قوّتُه إلى صِفاقات[(٥)] المعدة إلى يومٍ أو يومين، وسَقْيُ الصَّبِرِ أيّامَ البَرد خطر؛ وربّما أسهَل دمًا، وقد يُجْعَل بالشراب الحلو على البواسير النابتةِ وشُقاق المقعدة، ويقطع الدم السائلَ منها. قال: وبدلُه مِثلاه حُضُض[(٦)].

وأمّا المُرّ - فهو صَمغُ شجرةٍ تكون ببلاد المغرب شبيهةٍ بالشجرة الّتي تسمّى باليونانية: الشوكةَ المصريّة، تُشْرَط فتخرج منها هذه الصَّمْغة، فتسيل على حُصْرٍ وبواريَّ[(٧)] قد أُعدّت لذلك؛ ومنه ما يوجَد على ساق الشّجرة.

وقال أبو عليّ بنُ سينا: أجْوَد المُرّ ما هو إلى البياض والحمرة، غير مختلِط بخشبِ شجرتِه، طيّبُ الرائحة، وطبعُه: حارٌّ يابسٌ في الثانية، وهو مفتّحٌ محلِّلٌ للرّياح، وفيه قبضٌ وإلزاقٌ وتليين، ودخانه يَصلُح لما يَصلُح هو، ولكنّه أشدُّ تجفيفًا؛ وهو يمنع التعفُّن، حتى إنّه يُمْسِك الميتَ ويحفظُه من التغيّر والنَّتْن، ويجفِّف الفُضول، وإذا خُلِط بدُهن الآس واللاذَن[(٨)] أعان على تقوية الشَّعر

(١) الماليخوليا: اضطراب الفكر، ورداءته، وغلبة السوداويّة على صاحبه.
(٢) اللهاة: اللحمة الزائدة في أقصى الحلق.
(٣) اليرقان: مرض يصيب الكبد، فيسبّب اصفرار الجلد.
(٤) كرب: ضيّق النفس.
(٥) صفاقات: جمع صفاق، وهو الجلد دون الجلد الظاهر.
(٦) حضض: ضرب من عصارات بعض الأشجار المزهرة، يستخدم في العلاج الطبّي.
(٧) البواري: الحصُر.
(٨) اللاذن: جنس شجيرات مائية من فصيلة اللاذنيات، دائم الورق، زهره عريض، وردي=

وتكثيفِه، ويجلو آثارَ القُروح ويطيّب نَكْهة الفم إذا أُمسك فيه، ويُزيل البَخر[١]، ويُلطَخ بالشراب والشَّبّ على الآباط فيزيل صُنانَها[٢]، ويُلطَخ بالعسل والسّليخةِ[٣] على الثّآليل، وهو نافعٌ من الأورام البَلْغَميّة، ويَدْمُل الجروحَ والقُروح، ويكسو العظامَ العارية، ويُستعمل بالخَلّ على القَوابي، ويبرىء الجراحات المتعفِّنة، ورائحته مصدِّعةٌ للرأس، وإذا تُمُضْمِض به بشرابٍ وزيتٍ شدّ الأسنان جدًّا وقوّاها، ومَنَع من تأكُّلِها، ويَشدّ اللِّثة، ويُذهِب رطوبتَها، ويجفِّف قُروحَ الرأس، ويُلطَخ به المنخران للنوازل المُزْمِنة فيحبسها، وقد يُسْعَط بوزن دانَقٍ منه فينقّي الدّماغ، وهو يجلو آثارَ القُروح في العين، ويجلو البياض، وينفع من خشونة الأجفان، ويحلّل المِدّة[٤] في العين بغير لذع، وربّما حلّل الماءَ في ابتداء نزوله إذا كان رقيقًا، وهو جيّدٌ للسُّعال المُزمِن الرَّطْب، ومن الرَّبْو[٥] وأوجاعِ الجَنْب، ويصفّي الصوت، ويُجْعل تحت اللّسان ويُبلَع ماؤه لخشونة الحَلْق، وينفع من استرخاء المعدة والنفخة فيها؛ ويُدرّ الحيض، وخصوصًا الاحتقان به بماء السَّذاب[٦] أو ماء الأَفْسَنْتِين[٧] أو ماءِ التُّرْمُس[٨]؛ ويُخْرِج الأجنّةَ والدّيدان، ويليِّن انضمامَ فم الرَّحِم، ويُسقَى بالشراب للسع العقرب.

وأمّا الكَمْكَامُ - فهو صَمْغُ شجرة الضِّرْو، ويقال: إنّه ورقُها؛ وقيل: لِحاؤها[٩]، وهو يسيل لَزِجًا أسودَ مِثلَ القار[١٠]، وشجرتُه تُشبِه شجرةَ البُطْم[١١]. وقيل: إنها تُشْبِه شجرةَ البَلُّوط العظيمة، إلّا أنها أَلْيَنُ وأنْعَم، وتُثْمر عناقيدَ مثل عناقيد البُطْم إلّا أنّها أكبر.

= أو أبيض.

(١) البخر: رائحة الفم المنتنة.

(٢) الصّنان: رائحة العرق النتنة، تنبعث من الآباط أو من أصابع القدمين.

(٣) السليخة: دهن ثمر البان قبل أن يربّب، وقد يكون من شجر الرّمث ونحوه.

(٤) المدّة: ما يجتمع في الجرح من القيح.

(٥) الرّبو: علّة تحدث في الرئة فتصير التنفس صعبًا.

(٦) السّذّاب: نبات من فصيلة السذابيات، قوي الرائحة، أزهاره صغيرة جدًّا، له فوائد طبّية متعدّدة.

(٧) الأفسنتين: من النباتات المزهرة، يستخدم في أغراض طبّية متنوّعة.

(٨) الترمس: جنس نباتات من فصيلة القطانيّات، ساقه قويّة مستقيمة، وزهرته بنفسجيّة كبيرة، قرونه عريضة تحتوي على حبّات مرّة الطعم تؤكل بعد معالجتها بالنقع.

(٩) لحاؤها: قشرها. (١٠) القار: القطران، والزّفت.

(١١) البطم وحبّه يطلق عليه اسم الحبّة الخضراء، تدخل في العلاج الطبّي.

وأمّا الضَّجَاج ـ فقال أبو حنيفةَ الدِّينَوَرِيّ: الضَّجاج، مِثلُ شجر اللُّبان يكون في جبلٍ يقال له: (قَهْوان) من أرض عُمان، وهو صَمْغٌ أبيَض تُغْسَل به الثيابُ فينقّيها مثل الصَّابون؛ ولهذه الشجرة حَبٌّ مثل الآس، أسود، يَلذع اللّسان.

وأمّا الأُشَّق ـ ويقال فيه وُشَّق وأُشَّجَ ولصاق الذهب، والكَلَخ، وهو صَمغ الطُّرْثُوث، وهو نباتٌ يَنْبُت تحتَ أصولِ الحُمَّيض، وهو صِنفان: حلوٌ يؤكل ولونُه أحمر؛ ومرّ، ولونُه أبيض. وقال الخليل: هو نباتٌ مستطيلٌ دقيقٌ يَضْرِب إلى حُمرة. وقيل: إنه صمغُ نباتٍ يشبه القَنا في شَوْكِهِ، ينبت في بلاد نِينَوَى[١] على ما زعم دِيسقُورِيدُوس[٢]. وقال أبو عليّ بنُ سينا: هو حارٌّ في آخر الثانية، يابسٌ في الأولى، وتجفيفُه وتحليلُه قويّ، وفيه تليينٌ وجذبٌ للأورام والفُضول؛ وإذا طُلِيَ به أو ضُمِد نَفَع من الخنازير[٣] والصَّلابات والسِّلَع، وهو نافعٌ للجراحات الرديئة، يأكل اللّحمَ الخبيث، ويُنْبِت الجيّد، وإذا سُقِيَ بالعسل أو بماء الشَّعير نفع أوجاعَ المفاصل؛ وإذا ضُمِد به بالعسل والزفت حَلَّل تحجّرَ المفاصل، وهو يليِّن خشونةَ الأجفان والجَرَب، ويجلو البياض، وينفع رطوبات العين، وينفع من الرَّبو وعُسْر النَّفَس إذا لُعِق بعسلٍ أو بماء الشّعير، وينفع من الخَوانق[٤] التي من البَلْغَم والمِرّةِ السَّوداء؛ وإذا طُلِيَ به نفع من الاستسقاء[٥]؛ وهو يُدِرّ البول حتّى يبولَ الدم، ويقتل الدّود ويُخْرِج الجنين حيًّا أو ميتًا، وإذا لُطِخَ به الأنثيان بخَلٍّ ليَّن صلابتَهما.

وأمّا ترابُ القَيء ـ ويسمَّى الكَنْكَرْزَد، فهو صَمْغُ الحَرْشَف، والحَرْشَف يسمَّى خَسَّ الكَلْب، وهو يَنْبُت على شطوط الأنهار وسواقي المياه، وعليه شَوْكٌ مُتفشّج[٦].

(١) نينوى: في العراق، بها آثار وديار دارسة.

(٢) ديسقوريدوس: ويطلق عليه اسم ديسقوريدوس العين زربي، نسبة إلى بلدة عين زربة في شمال الجزيرة الفراتية. كما يطلق عليه اسم السايح، لأنه ساح في البلاد بحثًا عن الأدوية والعقاقير. له من الكتب: «الحشائش» و«الدواب» و«السموم». انظر: الفهرست، لابن النديم ص ٤٠٧.

(٣) الخنازير: هنات لحمية زائدة، أو أورام تحدث في اللحم الرّخو، في العنق خاصةً.

(٤) الخوانق: جمع خانقة، وهي ضيق النفس.

(٥) الاستسقاء: مرض يصيب الجسم فتمتلىء الخلايا والأنسجة في الجوف بالماء.

(٦) متفشج: متباعد ما بين شوكه.

وأمّا القِنّة ـ فهو بالفارسيّة البارْزَد، وشجرُه صِنفان: صِنفٌ زُبْديٌّ[١] ضعيفُ الورق أبيض؛ والآخَرُ كثيفٌ ثقيل؛ وهو ثلاثةُ أنواعٍ بَرّيّ وعربيّ، وجبليّ وأجوده العسليُّ الصافي اللّون. وقال دِيسْقُوريدُوس: هو صَمْغُ نباتٍ يشبه القَنا في شكلِه يَنْبُت في بلادِ سُورِيَة، وأجوَدُه ما كان شبيهًا بالكُنْدُر، وكان متقطّعًا، نقيًّا يَدبَق باليد، وهو يُغَشّ بالأُشّق[٢] ودقيقِ الباقِلّاء[٣]. وقال أبو عليّ بنُ سينا: طبعُه حارٌّ في الثانية، مجفِّفٌ في الثالثة؛ وقوّتُه مليِّنةٌ محلِّلة، وهو مما يُفسِد اللحم، وفيه تسخينٌ وإلهابٌ وجَذْب، وهو يَقْلَع العدسيّات، وينفع من الخنازير ويُطلَى به على القُروح اللَّبنيّة بالخَلّ، وينفع من تشنُّج العَضَل، ومن الصّداع، وإذا شمَّه المصروع[٤] انتَعَش، وينفع من وجع الضِّرس والسِّنّ المتآكلة في الحال، وينفع من الأوجاع الباردة في الأُذُن، ويحلِّل أورامَها وأوجاعَها بغير أذًى إذا حُلَّ في دُهن السَّوْسَن وفُتِّر وقُطِر، وينفع من الرَّبو والسُّعال المُزْمِن، ويُدِرّ الطَّمْث بقوّة، ويُسْقِط الأجنّة، وينفع من اختناق الرَّحِم سَقيًا بالشراب، ويُزيل عُسْرَ البول؛ وهو تِرياقٌ[٥] للسّمّ الذي تسقاه السّهامُ إذا سُقي بشراب، ولسُموم الحيّات والعقارب، ودخانُه يطردَ الهوامّ، وبدلُه السَّكْبِينَج[٦].

وأمّا الحِلْتِيت ـ فهو صَمْغُ شجرة الأَنْجُذان، وهو نوعان: أحدُهما أبيض وهو المأكول، والآخَر أسود، منتن الرائحة. وقال أبو حنيفةَ الدِّينَوَرِيّ: نباتُه الرّمل الذي بين بُسْت[٧] وبلاد القِيقان[٨]، والحِلْتِيت صَمْغٌ يخرج من أصل ورقِه بأن يُشرَط أصلُه وساقُه. وقال أبو عليّ بنُ سينا: طبعُه حارٌّ في أوّل الرابعة، يابسٌ في الثانية؛ وهو يُكثِر الرِّياحَ ويطردها بتحليله، وهو مع ذلك نَفّاخٌ مقطِّع، ويحلّ الدمَ الجامدَ في الجوف، وينفع من داء الثعلب لَطوخًا بالخَلّ والفُلْفُل؛ وإذا استُعْمِل في المأكولات حسّن اللّون، ويقلع الثّآليل المسماريّة، وإذا جُعِل على الأورام الخبيثة

(١) زبدي: نسبة إلى الزّبد، وهو خلاصة اللبن، تنجم عن خضّه وتحريكه.
(٢) الأشق: ضرب من الشجر، سوقه تشبه القنا.
(٣) الباقلّاء، والباقلّى: ضرب من ضروب الفول.
(٤) المصروع: المصاب بالصرع، وهو علّة تمنع الأعضاء النفسانية عن أفعالها منعًا غير تام. ويصحبه هياج شديد.
(٥) ترياق: شفاء.
(٦) السكبينج: ضرب من الأصماغ مختلف الألوان.
(٧) بست: اسم مدينة في أفغانستان.
(٨) القيقان: منطقة قريبة من خراسان، في بلاد طبرستان.

نَفَعَها؛ وإذا شُرِب بماء الرّمّان نَفَع من شَدْخ[١] العَضَل؛ وينفع من أوجاع العَصَب مثل التمدّد والفالج بأن يؤخَذ منه، أُوبُولُوس ويُخْلَط بالشّمع، ويُبلَعَ أو يُشْرَبَ بالشراب مع فُلْفُلَ وسَذاب؛ وإذا تُغُرْغِرَ به قَلَعَ العَلَق من الحَلْق وهو جيّدٌ لابتداء الماء في العين كُحلًا بعسل؛ وإذا أُدِيفَ[٢] في الماء وتُجرِّع صفّى الصوت، ونفع من خشونة الحَلْق المُزْمِنة، وإن تُحُسّيَ[٣] بالبَيض نَفَع من السُّعال المُزْمِن والشَّوْصة[٤] الباردة، وإن استُعمل بالتّين اليابس نَفَع من اليَرَقان؛ وهو ممّا يضرّ بالمعدة والكبد؛ وينفع من البواسير[٥]؛ ويقوّي الباه، ويُدِرّ البول، وينفع من المَغْص، ومن قُروح الأمعاء، ومن حُمَّى الرِّبْع[٦]، وإذا جُعِل على عَضة الكَلْب الكَلِب والهَوامّ خصوصًا العقربَ والرُّتَيْلاءَ فإنّه ينفع من جميع ذلك شُربًا وطِلاء بالزيت؛ ويدفع ضررَ السِّهام المسمومة.

وأمّا الأَنْزَرُوت فهو صَمغُ شجرةٍ شائكة، وفيه مرارة، ومنه أبيضُ وأحمر، ويكون بجبال فارس، وأجوَده الشبيهُ باللُّبان.

وقال ابن سينا: قال بعضُهم: هو حارٌّ في الثانية، يابسٌ في الأُولى؛ وهو يسكّن الأورامَ كلَّها ضِمادًا، ويأكل اللّحم الميّت، وينفع من الرَّمَد[٧] والرَّمَص[٨]؛ وهو يُسْهِل البَلْغم الغليظ.

وأمّا السَّكْبِينَج ـ فقال دِيسْقُوريدوس: هو صَمْغُ نباتٍ يشبه القَنا في شكله، يَنْبُت في البلاد التي يقال لها: (ماه) ويسمّيه اليونان: (سكافتيون).

وقال ابنُ سينا: هو صمغُ شجرةٍ لا منفعة فيها، بل في صَمغِها. قال: وأجوَدُ نوعَيْه الأكثُف الأصفى، الذي يُضرب داخلُه إلى الحُمرة، وخارجُه إلى البياض، وينحلّ في الماء سريعًا، وخيرُه الأصفَهانيّ قال: وطبعُه حارٌّ في الثالثة، يابسٌ في الثانية، وهو محلِّلٌ ملطِّف، مُفِشّ[٩]، مسخِّنٌ، جالٍ؛ وينفع من الفالج، ويُسْهِل المادّة التي في الوَركين حُقنةً وشُربًا، وكذلك أوجاع المفاصل الباردة، ويحلِّل الصُّداعَ

---

(١) شدخ: تشقّق.
(٢) أديف: أذيب.
(٣) تحسّي: اتّخذ حساءً.
(٤) الشوصة: ضرب من الأورام.
(٥) البواسير: دمامل وقروح تصيب المستقيم في الدّبر.
(٦) حمى الربع: حمّى، تهدأ ثم تعاود في اليوم الرابع.
(٧) الرمد: مرض يصيب العين، منه الرمد الحبيبي، والربيعي.
(٨) الرمص: وسخ أبيض في مجرى الدمع من العينين.
(٩) مفشّ: مزيل للأورام.

الباردَ والرِّيحيّ، وينفع من الصَّرْع[١]، ومن ظُلمة العين كُحلًا، ومن غِلَظ الأجفان، ومن الآثار في العين، وهو أفضلُ الأدوية للماء النازل فيها، وإن سُحِق بالخَلّ وجُعل على الشَّعيرة[٢] أذهبها، وهو نافع من وجع الصدر والجنب، ومن السُّعال المُزْمِن، يُسقَى بماء السَّذاب المعصور ثلاثة أرباعِ دِرهم لسوءِ النَّفَس؛ وهو ينقّي الصدر، ويُخرج الأخلاطَ النّيئة، وهو نافعٌ من الاستسقاء، ويُخرج الماءَ الأصفر، وينفع من القُولَنْج حُقْنةً وشربًا من المَغْص، ويُخْرج الحَصاة، ويزيد في الباه، وينفع مِن أوجاع الأرحام، وإذا شُرِب أدَرّ الطَّمْث، وقَتَل الجنين، ويُخرج الخِلْطَ اللَّزِجَ والماءَ الأصفر؛ وهو ينفع من الحُمَّيات الدائرة، وإذا سُقِيَ في الشراب أفاد لسعَ الهَوامّ، ومن جميع السُّموم القاتلة.

وأمّا السّادَوْرَان ـ فهو شيءٌ أسوَدُ شبيهٌ بالصَّمْغ مِثلُ حَصَى السَّبَج[٣] يتكوّن في التجويفات الكائنةِ في أصول أشجار الجَوْز الكبارِ العتيقةِ إذا تجوّفتْ أصولُها، فإذا قُطعت الشجرةُ وُجدَ في وسطِها، ولونُه محلولًا إلى الصُّفرة، وله بَصيصٌ[٤] إذا كُسِر.

وأمّا دمُ الأخوَيْن ـ ويسمَّى القاطِر، فقال أبو حنيفةَ الدِّينَوَري: هو صَمغٌ أحمرُ يؤتَى به من جزيرة سُقُطْرى، ويسمَّى الأَيْدَع، ودمَ التِّنّين، ودمَ الثعبان، ويقال: إنه دموعُ شجرةٍ كبيرةٍ ببلاد الهند، معروفةٍ هناك.

وأمّا المَيْعةُ[٥] ـ فهي صِنفان: سائلة، ويابسة، وكلاهما دَسِمٌ مرّ؛ ومنها صِنفٌ هو صَمْغُ شجرةٍ تشبه شجرةَ السّفرجل، أجوَدُه ما كانَ لونُه أشقرَ دَسِمًا يَميل إلى البياض؛ ومن هذا الصِّنف ما هو أسْوَدُ هَشٌّ[٦] كالنُّخالة، وهو روميّ.

وقال إسحٰق بنُ عمران: شجرةُ المَيْعَة شجرةٌ جليلة كشجرة التُّفاح، ولها ثمرةٌ بيضاءُ أكبرُ من الجَوز تشبه عيونَ البقر الأبيض، يؤكل الظاهر منها، وفيه مرارة وثمرتُه الّتي داخل النوى[٧] دَسِمة، يُعتصَر منها دُهن هو المَيْعة اليابسة، ومنه تُسْتَخرَج المَيْعة السائلة.

---

(١) الصرع: الهياج واختلاط الفكر، بسبب حدّة السّوداء وغلبتها على صاحبها.
(٢) الشعيرة: ضرب من التقرحات أو الأورام تصيب جفن العين.
(٣) السبج: ضرب من الجزع أو الخرز الأسود. (٤) بصيص: بريق ولمعان.
(٥) الميعة: شجرة جميلة من فصيلة المشتركات تستعمل في الصيدلة، والميعة صمغ عطر يسيل من شجرة الميعة ويتطيّب به.
(٦) هشّ: ليّن، فيه خلخلة وعدم تماسك. (٧) النوى: البزرة.

وقال ابنُ جُرَيْج: الميعةُ تسيل من شجرةٍ تكون في بلاد الرّوم تتحلّب منها، ثم تؤخد فتُطبَخ، وتُعتصَر أيضًا من لِحاء تلك الشّجرة، فما عُصر فهو المَيْعَةُ السائلة وما طُبخَ فهو المَيْعَةُ اليابسة.

وقال الشيخ الرئيس أبو عليّ بنُ سينا في المَيْعَة ـ وسمّاها لبنى ـ قال: ويقال للسائل: عسل اللُّبْنَى والأَصْطُرك، وهو دَمعة شجرةٍ كالسّفرجل. قال: وأجوَدُ أصناف الميعة السائلُ بنفسه، الشّهْديّ، الصّمْغي، الطيّبُ الرائحة الضاربُ إلى الصُّفْرة. قال: وطبعُ الميعة حارٌ في الأُولى يابسٌ في الثانية، وله قوّةٌ مُنْضِجة، مليّنةٌ جدًا، مسخِّنةٌ محلِّلة، ودخانُه شبيهٌ بدُخان الكُنْدُر[١]، وفيه تخديرٌ بالطبع، ودُهنُه الذي يُتخَذ بالشام مليّنٌ تليينًا قويًا، وينفع الصّلابات في اللّحم، ويُطلَى به على البُثور[٢] الرَّطْبة واليابِسة مع الأدهان؛ ويُطْلَى به على الجَرَب الرَّطب واليابس، وهو طِلاءٌ جيّدٌ عليه؛ وهو يقوّي الأعضاء وينفع تشبُّكَ المَفاصل جدًّا شُرْبًا وطِلاء؛ ورَطْبُه ويابسُه يحبس النّزلة تبخيرًا، وهو غايةٌ للزُّكام، وفيه قوّةٌ مسبِتة[٣]، لا سيّما في دُهنه، وينفع من السُّعال المُزمِن والبلغمِ ووجعِ الحَلْق ويصفّي صوت الأبحّ مع تليين شديد، وهو يَهضم، ويليِّن الطبيعة، ويُدرّ البول والطَّمْث إدرارًا صالحًا شُرْبًا واحتمالاً؛ ويليّن صلابة الرَّحِم، واليابسة تَعْقِل[٤] البطن؛ قال: وإذا شُرِب من الميعة السائلة مثقال مع مثلِه من صَمغ اللّوز أسْهَل بلغمًا من غير أذًى. وبدلُ المَيْعة جُنْدَبادَسْتَر، ومثلاه من دُهن الياسَمين.

وأمّا صَمْغُ قبعرين ـ فقال دِيسْقُورِيدُوس: هو صَمغُ شجرةٍ تكون ببلاد العرب، وفيه شبهٌ يسيرٌ من المرّ إلّا أنّه كريهُ المطعم زَهِم[٥]. وزعم قومٌ أنّه السَّنْدَرُوس[٦]. وقال آخرون: هو اللُّك[٧]. قال ابنُ البيطار: وليس كما زعموا.

وأمّا المُقْل[٨] الأزرق ـ فيسمَّى كُورًا، ويُعْرَف بالمُقْل المكّيّ، وبمُقْل اليهود، والمُقْل الهنديّ، وإن كان لا يوجد إلّا بأرض العَرب، ومنه صِقِلّيّ، ومنه عربيّ، وهو صَمغٌ يشبه الكُنْدُر، طيّب الرائحة، وشجرتُه كشجرة اللُّبان، وأكثرُ نباتِه بأرض اليمن

---

(١) الكندر: صمغ شجرة شائكة ورقها كالآس. (٢) البثور: القروح.
(٣) مسبتة: منوّمة. (٤) تعقل: تمسك.
(٥) زهم: فيه زهومة، أي دسومة.
(٦) السندروس: صمغ أو معدن شبيه بالكهرباء، يتّخذ منه فصوص للخواتم، واللفظة يونانية.
(٧) اللّكّ: ثفل نبات اللّك وعصارته، واللّك: صبغ أحمر تصبغ به الجلود ونحوها.
(٨) المقل: ثمر شجر الدّوم، وهو صمغ يتداوى به.

فيما بين الشّحر وعُمانَ بجبلٍ هناك، ولشجره ثمرٌ يسمّى ديميس إذا كان رَطْبًا، فإذا يبس فهو الوَقْل، والّذي يؤكل منه يسمّى الحَتِيّ. وقال أبو الخير العشّاب: المُقْل المكّيُّ هو صمغُ الدَّوْم؛ لأنَّ الدَّوْم هناك يدرِكُ ويُصمِغ، وليس في سائر البلاد كذلك إلّا بمكّةَ لا غير.

وأمّا الصمغ العربيّ - فهو صمغ القرظ، وهو الّذي يُستعمَل في المركّب ولا يَصلح لغيره، فإنّه ينحلّ في الماء بسرعة من غير تعقيد، وما عداه من الصُّموغ التي تُجمَع من أشجار الفواكه متى جُعِل في المركّب أفسده. ولهم أيضًا صمغ السُّمّاق وصَمْغُ السَّذاب، وصَمغُ الخَطْميّ[1]؛ ومن الصُّموغ التي جرت عليها التسمية بالعربيّ صمغ الإجّاص، وصَمغُ الدّاميثا، وهو شجرٌ ببلاد فارس، وصمغُ اللّوْز، وصمغُ الزّيتون البرّيّ والبستانيّ، والبريّ يشبه السَّقَمُونيا في لونه، ومنه ما هو أحمر، وصَمغ السَّرْو؛ ومن الصُّموغ الرّاتينَج وهو القُلْقُونيا، ومنه ما هو أبيض، ومنه ما هو أسود وهو صَمغُ الصَّنَوْبَر الذَّكر.

وأمّا القَطْران - فهو معدودٌ من الصُّموغ، وشجرته تسمّى شَرْبين، وهي شجرةٌ عظيمة، لها ثمرٌ يشبه ثمرَ السَّرْو، غيرَ أنّه أصغر منه، والقَطْران دُهنٌ يَخرج منه، فأجوَدُه ما كان صافيًا، كريهَ الرّائحة. وقال الزمخشريّ[2] في تفسير قوله تعالى: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ﴾ [إبراهيم: الآية ٥٠]، هو ما يُحلب من شجرٍ يسمّى الأَبْهَل فيُطبخ، فتُدهَن به الإبلُ الجُرْب فيحلق الجربَ لحدَّتِه وحَرِّه، وهو أسوَدُ اللّون، مُنْتِن الرائحة.

وقال أبو عليّ بنُ سينا: القَطْرانُ حارٌّ يابسٌ في الرابعة، وهو يقتل القملَ والصِّئْبان، وهو يقوّي اللحمَ الرّخو، وخصوصًا دُهنَه من الجَرَب، حتّى جرب الحيوان من ذوات الأربع، وينفع من شَدْخ العَضَل واجتماع الدّم والقيح[3] فيها، وهو دواء لداء الفيل[4] لَعوقًا ولَطوخًا. قال: وهو أعظمُ شيءٍ في تسكين الصُّداع

---

(١) الخطمي: ضرب من النّبت، يستخدم في الأغراض الطبّيّة، ويغسل به الشعر.

(٢) الزمخشري: أبو القاسم محمود، العالم باللغة والنحو والتفسير. ولد في زمخشر، وجاور بمكّة فلقب بجار الله، كان معتزليّ الهوى والرأي. أشهر كتبه: «أساس البلاغة» و«المفصّل» و«الكشاف» في تفسير القرآن الكريم، توفي سنة ١١٤٤ م. وانظر ترجمته مفصلة في أساس البلاغة، للزمخشري، من م. دار المعرفة، بيروت ١٩٧٩.

(٣) القيح: الدم الفاسد.

(٤) داء الفيل: تورّم يصيب الساق والقدم، فتصير القدم أو الساق كقدم وساق الفيل، ضخمة.

البارد طِلاءً للرأس ويُقطَر في الأذن فيقتل دودَها، ويُقطَر فيها بماء الزُّوفا[١] للطّنين والدّويّ، وينفع الأسنانَ المتآكلة، وهو يُحدّ البصر، ويجلو آثارَ القُروح في العين، ولَعْقُ أوقيّةٍ ونصف منه ينفع لقُروح الرّئة، وينفع من السُّعال العتيق، ويَقتُل الدودَ في الأمعاء وخصوصًا الاحتقانَ به، ويُدِرّ الطَّمْث، ويَقتل الجنين، ويُفسد المنيّ، وإذا لُطخ به الذّكر قبل الجماع مَنَع الحَبَل، وينفع من تقطير البول، ويُضمَد به على نَهْش الحيّة ذاتِ القرن، وإذا أذيبَ في شحم الأُيَّل[٢] ومُسِحَتْ به الأعضاءُ لا تقربها الهَوامّ.

وأمّا الزِّفت ـ فيكون من شجر التَّنُّوب[٣] وغيرِه من ضروب الصَّنَوْبَر، وهو قريبٌ من دُهن القَطْران.

الباب الرابع
من القسم الرابع من الفنّ الرابع
في الأمنان

ويشتمل هذا الباب على العسل والشَّمَع واللُّكّ والقِرْمِز واللّاذَن والأَفْتِيمُون والقِنْبِيل والوَرْس والتَّرَنْجُبِين والشِّيْرخُشْك والمَنّ والكَشُوث وسُكّر العُشَر.

فأمّا العسل والشَّمَع ـ فقد قال التميميُّ في المرشد: إنّ العسلَ مَنٌّ يَسقط من الهواء بكلّ بلد وبكلّ إقليم من الأمصار المسكونة، وسقوطُه على أنواع كثيرة من الأزهار والنُّوّار والأوراق يلتقطه النّحل الّذي قد ألهمه الله جمعَه وإلقاءَه إيّاه في كَوائره[٤] التي هو ساكنها، وهي أقرصةُ شَهدِه، ويدّخره لقُوته عند حلول الشتاء عليه وانقطاعه عن الطَّيَران وعند حِصار الأمطار والثلوج له. وزعم كثيرٌ من الفلاسفة والأطبّاء أن الشَّمَع الذي تتخذ منه النحلُ مساكنَها، وتربّي فيه فراخَها، وتُوعِي فيه أعسالها، نوع من المَنّ السّاقط من الهواء؛ والله تعالى أعلم.

(١) الزّوفا: أو الزوفاء، نبات برّي أريجيّ من فصيلة الشفويات، ساقه دقيقة مربّعة، وورقه كورق الصّعتر، يتداوى به لتقطيع البلغم.
(٢) الأيّل: حيوان من ذوات الأظلاف، للذكر منها قرون غير مجوّفة، متشعّبة.
(٣) التنوّب: من أهم الأشجار الحرجيّة، من فصيلة الصنوبريّات، جذعها مستقيم ويزرع منه نوع للتزيين في الحدائق العامة.
(٤) كوائر: جمع كوارة، وهي قفير النّحل.

وأمّا اللُّكّ ـ فيقال إنّه يسقط على قُضبان الكُروم في بلاد الهند، فينعقد عليها. وزعم قومٌ أنه صَمغٌ يُلقَط من قُضبان الكُروم؛ والله أعلم.

وقال ابنُ سينا: إنّه ينفع من الخَفَقان، ويقوّي الكَبد، وينفع من اليَرَقان والاستسقاء.

وأمّا القِرْمِز ـ فقد قال أبو الخير في كتاب النبات: القِرْمِز طَلٌّ يقع في العام الكثيرِ الرُّطوبات والأنداء على شجر البَلُّوط والتَّنُّوب فينعقد على خشبه حَبٌّ أبيضُ اللّون مِثلُ حَبِّ الكِرْسِنّة، فإذا انتهى ونَضِج وكان في قَدر الحِمَّص صار لونُه أحمرَ قانئًا برّاقًا، فيُجمع في شهر إبريل ومائة، فيجفّف ويُخزن لتُصبَغ به الثياب؛ ومن خاصيّته أنّه لا يُصبَغ به إلّا ما كان من حيوان، كالحرير، والصوف، وإن هو لم يُجمع خرج منه دود صِغار، ويَصنع على نفسه نَسْجًا مِثلَ نسج العنكبوت، ويموت فيه.

وأمّا اللّاذَن ـ فهو مَنٌّ يسقط بجزيرة قُبْرُسَ على شجرٍ ترعاه الأغنام، فإذا باكرت الرَّعيَ من تلك الأشجار عَلِق اللّاذَن بلِحَى التُّيوس وخراطيمها وأظلافها، فيُجمع منها بأمشاط معدّة له. وأمّا ما يُجمع من الشجرة فإنّه يكون في خزائن الملوك لطِيب رائحته.

وقال ابنُ سينا: أجوَدُه الدَّسِم الرّزين القُبْرُسيُّ الطيّبُ الرائحة، الّذي هو إلى الصُفرة ولا رمليّةَ فيه، وينحلّ كلُّه في الدُّهن فلا يَبقى منه ثُفل[1]؛ والأسوَدُ القاريُّ[2] غيرُ جيّد؛ وطبعه حارٌّ في آخِر الأُولى، يابسٌ في الثانية؛ والذي يكون في البلاد الجنوبيّة أسخن. قال: وقال الخوزي: إنه بارد قابض؛ وليس ذلك. قال: وهو لطيفٌ جدًّا، وفيه يسيرُ قبض، منضِج للرّطوبات الغليظة اللَّزِجة يحلّها باعتدالٍ فيه، وفيه قوّةٌ حادّةٌ مسخِّنةٌ مفتِّحةٌ لأفواه العروق، ويَدخل في تسكين الأوجاع؛ وهو يُنبت الشَّعر ويكثّفه ويكثّره ويحفظهن، خصوصًا مع دُهن الآس ومع الشّراب؛ ويُقطَر منه مع دُهن الورد في الأذن الوَجِعة، ويَدخل في علاج الصُّداع والضَّرَبان وينفع من السُّعال، ويحلّل أورامَ الرَّحِم محتملًا[3]؛ ويُخرج الجنين الميّتَ والمَشيمةَ[4] تدخينًا به[5]؛ وإذا شُرِب بشرابٍ عتيقٍ عَقَل البطنَ وأدرَّ البول.

---

(١) الثفل: ما يستقرّ في أسفل الشيء من كدره.

(٢) القاريّ: نسبة إلى القار، وهو الزفت والقطران.

(٣) محتملًا، أي معمولًا منه «تحميلة»، أي قطعة توضع في المهبل من الرّحم.

(٤) المشيمة: الحبل السّرّي، يكون ملتصقًا بذكرة الولد حين الولادة.

(٥) تدخينًا به: أي أن يحرق فيتنشّق دخانه.

وأمّا الأَفْتِيمُون ـ فهو مَنٌّ يسقط من الهواء على صِنفٍ من الصَّعاتر برياض جزيرة أَقْرِيطِش[(١)] وبُرْقَة[(٢)] وفي جبال بيت المقدس.

وأمّا القِنْبِيل ـ فهو شبيه بالوَرْس، يَسقط في اليمن مثل الرمل الأحمر وتُمازِج حمرتَه صُفرةٌ ظاهرةٌ فيه. ويقال: إنّه يوجد أيضًا بخُراسانَ على وجه الأرض غِبَّ المطر[(٣)] فيجمع.

وأمّا الوَرْس ـ فهو مَنٌّ يسقط بأرض الصِّين والهند والحبشة وأرض اليمن على ورق شجرٍ يشاكل[(٤)] الباذَرُوج، فتُجمَع الشجرةُ بما عليها منه، وتُلقَى في الشمس حتى تَنْشَف، ثم تُنفَض على أنطاع الأَدَم[(٥)] فيَسقط ورقُها وعليه الوَرْس متعلّقًا به، ولونُه أحمر، فإذا طُحِن صار أصفرَ، وأجوَدُه الهنديّ، ثم الحبشيّ، ثم اليمانيّ.

وأمّا التَّرَنْجُبِين ـ فمعناه عسل النَّدَى، وهو يَسقط ببلاد خُراسانَ وما وراءَ النهر على العاقُول[(٦)]، ويسمَّى الحاج؛ وقد يقع على سَعَف[(٧)] النخل ببلاد قُسْطِيلِيَة[(٨)]، وعلى ورق الأَثْل[(٩)]، وورقِ الطَّرْفاء[(١٠)].

وقال ابنُ سينا: أجوَدُه الطري الأبيض؛ وطبعُه معتدِلٌ إلى الحرارة، وهو مليِّن، صالحُ الجِلاء، وينفع من السُّعال، ويليِّن الصدر، ويسكِّن العطش، ويُسهِل الصَّفراء برفق، وإسهالُه بخاصيّةٍ فيه، والشَّرْبةُ عشرةُ مثاقيلَ إلى عشرين مثقالًا.

---

(١) أقريطش: هي جزيرة كريت، اليوم، في أرخبيل اليونان.

(٢) برقة: شبه جزيرة في ليبيا شرقي خليج سرت، في شماليها هضبة الجبل الأخضر، ومن مدنها طبرق، وبنغازي، ودرنة.

(٣) غبّ المطر: بعد سقوطه مباشرة.

(٤) يشاكل: يماثل.

(٥) أنطاع الأدم: البُسط من الجلد.

(٦) العاقول: ضرب من النبت البرّي، والعاقول، أيضًا: منعطف الوادي، ومعظم الماء.

(٧) سعف النخل: أوراقه.

(٨) قسطيلية: اسم مدينة أندلسية، وهي أيضًا في إفريقيا، عبارة عن كورة كبيرة، أي منطقة، من مدنها نفطة، والحمّة، وتوزر. انظر: معجم البلدان ٤/ ٣٤٨.

(٩) الأثل: شجر من فصيلة الطرفائيات، أوراقه دقيقة وأزهاره عنقودية، تصنع من خشبه الصلب والقصاع والجفان.

(١٠) الطرفاء: ضرب من الشجر من العضاه، هدبه مثل هدب الأثل، تتمخّض به الإبل. لحاؤه يستخدم تابلًا في الطعام، ومن الأفاويه.

وأما الشِّيرْخُشْك ـ فقال ابن البيطار: قال علماؤنا: الشِّيرْخُشْك طَلٌّ يقع من السماء بهَراةَ[١] من بلاد خُرَاسانَ على شجر الخلاف[٢]، حلو إلى الاعتدال. وقال التّميميّ: أمّا كيفيّتُه فإنّه حَبٌّ أبيَضُ مثلُ حَبِّ التَّرَنْجُبِين، بل هو أكبر، وهو قريب من مِزاج الكافور[٣] وطعمِه ورائحتِه، وإذا بقي في اليد انحلّ ودَبِقَ باليد[٤].

وأمّا المَنّ ـ فهو يسقط على ورق البَلّوط والسِّدْر[٥] والخَوْخ والمِشمِش مِثلَ العسل، فما تَخلَّص منه كان أبيضَ، وما لم يَتخلّص وجُمع بورقه كان أخضرَ وسقوطُه يكون بجبال ربيعةَ ومُضَرَ وجبال الشأم إلى نحو دِمَشقَ والساحل.

وأما الكَشُوث ـ فقال التّميميّ: الكَشُوت يَسقط بأرض العراق على شجرٍ يشاكل الباذَرُوج، وهو مركَّبٌ من قُوًى مختلفة من مرارة وعُفوصة:

وقال ابنُ سينا: طبعُه حارٌّ قليلًا في أوّل الأُولى يابسٌ في آخِر الثانية؛ وهو منقٍّ يُخرج الفُضول اللّطيفةَ من العروق وينقّيها؛ وهو يقوّي المعدة، وخصوصًا المقليَّ منه؛ وإذا شُرب بالخل سَكّن الفُؤاق[٦]، وهو يفتّح سُدُدَ الكبد والمعدة ويقوّيهما؛ وماؤه عجيبٌ لليَرَقان[٧]؛ وهو ينقّي الأوساخَ عن بطن الجنين، ويُدِرّ البولَ والطَّمْث[٨]؛ وينقّي سيلان الرَّحِم، وبِزرُه وماؤه ينفع من الحُمّيات العتيقة جدًّا.

---

(١) هراة: من مدن أفغانستان في الشمال الغربي من البلاد، كانت ممرًا للقوافل في القديم.
(٢) الخلاف: صنف من شجر الصفصاف.
(٣) الكافور: طلع النّخل، أو وعاؤه. والكافور: شجر أريجيّ من فصيلة الغاريّات، أوراقه دائمة الخضرة، أزهاره بيض وصفر، يستخرج منه الكافور، المادّة العطريّة المستعملة في الطبّ.
(٤) دبق باليد: لزق بها.
(٥) السّدر: شجر النّبق.
(٦) الفؤاق: ما يأخذ المحتضر عند النزاع، وهو ترجيع الشهقة العالية، وتسمّى بالعاميّة «الحازوقة».
(٧) اليرقان: مرض يصيب الكبد، ويسبّب اصفرار اللون في الجسم، وفي العينين خاصة، ويعرف بالعامية باسم «الصّفيراء».
(٨) الطمث: دم الحيض، عند المرأة.

وأمّا سكّر العُشَر ـ فقال التّميميّ: هو طَلٌّ يَسقط على شجر العُشر[١] بأرض اليمن والحجاز، فإن أصابه الهواء جَمَد. وقال أبو حنيفة الدِّينَوَريّ: العُشَر ضربٌ من العِضاة[٢]، يَنبت صُعُدًا، عريض الورق، وله سكّر يَخرج من فصوصِ شُعَبه[٣]؛ والله أعلم بالصّواب.

كمل الجزء الحادي عشر من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب
لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النُّوَيْريّ ـ رحمه الله ـ
ويليه الجزء الثاني عشر، وأوّله:
القسم الخامس من الفنّ الرابع في أصناف الطِّيب والبَخورات والغَوالي والنُّدود والمستقطَرات والأدهان والنضوحات وأدوية الباه والخواصّ
والحمد لله ربّ العالمين

(١) العشر: ضرب من الشجر من فصيلة الصّقلابيات، له صمغ يتطيّب به.
(٢) العضاه: كل شجر يعظم وله شوك. (٣) فصوص شعبه: أزراره، وأكمامه.

المصادر والمراجع

١ - **الأخبار الطوال**، لأبي حنيفة الدينوري، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٦٠.

٢ - **إخبار العلماء بأخبار الحكماء**، للقفطي، دار الآثار، بيروت.

٣ - **أساس البلاغة**، للزمخشري، دار المعرفة، بيروت ١٩٧٩.

٤ - **التنبيه والإشراف**، للمسعودي، دار صعب، بيروت.

٥ - **ديوان أبي الطيب المتنبي**، شرح عبد الوهاب عزام، دار الزهراء، بيروت ١٩٧٨.

٦ - **ديوان الخنساء**، طبعة دمشق ١٩٧٣.

٧ - **ديوان النابغة الذبياني**، دار صعب، بيروت ١٩٨٠.

٨ - **زهر الآداب**، للحصري (هامش العقد الفريد)، دار ومكتبة الهلال، بيروت ١٩٨٦.

٩ - **طبقات الشعراء الجاهليين والإسلاميين**، لابن سلّام الجمحي، طبعة أوروبا.

١٠ - **فقه اللغة**، للثعالبي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٢٠.

١١ - **الفهرست**، لابن النديم، دار المعرفة، بيروت ١٩٧٨.

١٢ - **معجم البلدان**، لياقوت الحموي، دار صادر، دار بيروت، بيروت ١٩٨٦م.



فهرس المحتويات

الفنّ الرابع
في النّبات

القسم الأول
من هذا الفنّ في أصل النبات
وما تختصّ به أرضٌ دون أرض
وتتّصل به الأقوات والخَضْراوات والبُقولات

القسم الثاني
من الفنّ الرابع في الأشجار

القسم الثالث
من الفن الرابع
في الفواكه المشمومة

القسم الرابع
من الفن الرابع في الرّياض والأزهار
ويتّصل به الصُّموغ والأمنان والعصائر